

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الأستاذ الدكتور/يوسف القرضاوي

الحمد لله الذي ينعمه تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات،  
وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات. وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم  
الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، ومخرج الناس من الظلمات إلى  
النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا  
محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، واقتدى بسيرته،  
وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

فهذا هو الجزء الثالث من خطبي، قام بإعدادها والتعليق عليها، وتخريج  
أحاديثها، وترقيم آياتها الأخ الحبيب العالم الفاضل والداعية النابه الشيخ خالد  
السعد، جزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به العلماء  
العاملين، والدعاة الصادقين.

وقد راجعته كما راجعت الجزء بين الماضيين، وأجبت ما طلبه مني الأخ  
خالد من استكمال بعض الفجوت التي تحدث عادة في الأشرطة، وتخريج  
بعض الأحاديث التي لم يهتد إليها، وتهذيب بعض العبارات. وقد وضعت  
بعض العناوين الجانبية، لبعض الخطب، وإن لم يسعفني الوقت لإتمامها.

وهذا الجزء يمضي على سنة أخويه السابقين الأول والثاني، خدمة وعناية  
وتوفيقاً، وأدعو الله تعالى أن يشرح للأخ خالد صدره، وييسر له أمره،

ويمنحه التأييد والتسديد، حتى يخرج الأجزاء السبعة التي هي تحت يديه الآن، ويعينه على إتمامها، عسى أن يجد فيها المسلمون ما ينير لهم الدرب، وما يضيئ العقول بحسن الفهم، وما يوقظ القلوب بصدق الإيمان، وما يحرك العزائم ببواعث الشوق إلى الله، وعوامل الخشية من الله، ودواعي الرغبة والرغبة، إلى استباق الخيرات، والتنافس في الصالحات، والمسارة إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين.

ولعل أكثر من ينتفعون بهذه الخطب هو إخواننا وأبنائنا من خطباء المساجد، الذين ينتشرون في أنحاء العالم، ليأخذوا بأيدي الناس إلى الله، ويضيئوا لهم الطريق، بنور الإسلام الصحيح، فقد يجدون في هذه الخطب بعض الزاد الذي قد ينفعهم، مع وصيتي لهم بضرورة رعاية ظروف المكان والزمان وحال الإنسان.

فهذه خطب طويلة بطبيعتها، ولا أنصح كل خطيب أن ينهج نهجي في التطويل، فقد احتماني الناس، على هذه الإطالة، وهذا من فضل الله تعالى علي، وما كل خطيب يحتمله الناس، والسنة هي التقصير.

وشكر الله لمكتبة وهبة قيامها بنشر هذه الخطب، وكل من ساهم في تعميم النفع بها. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الدوحة: ربيع الأول سنة 1421هـ

حزيران «يونيو» سنة 2000م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الشيخ: خالد السعد

أحمد الله تعالى، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وبعد ...

فهذا هو الجزء الثالث من «خطب الشيخ القرضاوي» ظظظ، أقدمه للقراء الكرام، مشتتلاً - كالجزءين السابقين - على عشرين خطبة من خطب الجمعة والعيد، تنوعت موضوعاتها ومناسباتها وأزمنتها، ولكنها التقت كلها حول هدف واحد هو: تجديد الإسلام وإحيائه في العقول والقلوب والأنفس، وحشد الناس ألوفاً ألوفاً في ساحته، وجمعهم صفوفاً صفوفاً على دعوته.

وأنا - إن شاء الله - على العهد والوعد، مواصلاً المسيرة في إخراج أجزاء أخرى من هذه الخطب، ولا يزال لدي - بحمد الله - ما يكفي لإخراج سبعة أجزاء أخرى تضم سلسلات متنوعة منها: العقيدة الإسلامية، والخلفاء الراشدين، ووصايا سورة الإسراء، والمرأة، والشباب، والحياة الزوجية، وأمراض الأمة، والمبشرات بانتصار الإسلام.

والله أسأل أن يمدني بروح من لدنه، ويكرمني بعونه وتوفيقه، حتى أكمل بقية الأجزاء.

كما أسأله سبحانه أن يجزي شيخنا الجليل، وأستاذنا الكبير، العلامة

«يوسف القرضاوي» عن الإسلام وأمته خيرًا، ويجزل له المثوبة بقدر ما  
أحيا من قلوب، ونشر من علم، وأشاع من حكمته.  
وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

خالد السعد

\* \* \*

## 1- أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا  
على المحجة البيضاء، على الطريقة الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ  
عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله  
ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابته،  
وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرة، مع الذين  
أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك  
رفيقاً.

أما بعد ... فيا أيها الإخوة المسلمون:

هذا مسجد أبي بكر الصديق:

هذا المسجد ينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «مسجد أبي بكر  
الصديق»<sup>(1)</sup>.

(1) أسندت خطبة الجمعة بهذا المسجد بالدوحة منذ إنشائه إلى الشيخ القرضاوي، وهذه أول  
خطبة أقيمت فيه منذ أكثر من ربع قرن، وكان ذلك قبل إنشاء مسجد عمر بن الخطاب

لماذا ينسب المسلمون مساجدهم ومدارسهم ومؤسسات كثيرة عندهم إلى أبي بكر الصديق، وإلى أمثاله من الغر الميامين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إن هذا اعتراف من المسلمين بفضل أولئك السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه. وجوب التعرف على جيل الصحابة:

لهذا كان من واجبنا أن نتعرف على هذه الصفوة المباركة، على هذا الجيل الرباني الذي تخرج في مدرسة النبوة، في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم. كان من واجبنا أن نتعرف على هؤلاء، فإن الإسلام لم يصلنا، وإن القرآن والسنة لم يأتيا إلينا إلا عن طريق هؤلاء. إن هذا الإسلام الذي نعيش في رحابه، ونحيا في ظله، لم يصل إلينا عفواً صفواً، وإنما وصل إلينا عبر جهاد طويل، من أناس بذلوا أنفسهم ونفائسهم في سبيل الله، وكان في طليعة هؤلاء: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

أبو بكر الرجل الثاني في الإسلام:

أبو بكر أول من أسلم من الرجال، وأول من جمع القرآن، وأول من سماه «مصحفاً»، وأول خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أبو بكر الصديق - كما قال سعيد بن المسيب سيد التابعين رضي الله عنه كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، وكان ثانياً في الغار: {

... ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ { [التوبة: 40]، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في إمامة المسلمين الصغرى، وإمامتهم الكبرى. وكان ثانيه في القبر، وما قدم المسلمون ولا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر أحدًا.

أجل، أبو بكر الصديق أول من أسلم من رجال هذه الأمة، جاء في الحديث: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم «أي تلبث» عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه»<sup>(2)</sup>، فبمجرد أن دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل في الإسلام، لأنه كان يعرفه من قبل، معرفة الصديق بصديقه، الذي يعرف مظهره ومخبره، ومدخله ومخرجه، من خلال عشرة طويلة. وكان يرى فيه دلائل نبوة، ويعرف من أخلاقه أنه ليس بكذاب، فما أن عرض عليه الإسلام حتى أسلم.

ولما كان يوم الإسراء وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا بما وفقه الله إليه من رحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، واستبعد هؤلاء ذلك، وذهب أحدهم إلى أبي بكر يعرض عليه ما قال صاحبه، كأنه يتخيل أن يوافقه أبو بكر على التكذيب، قال له: أو قال ذلك؟ قال: نعم. قال: إن كان قاله فقد صدق. إني أصدقه في خير السماء - أن جبريل يأتي من فوق سبع سموات إلى الأرض بآيات الله في لحظة - أفلا أصدقه أن يذهب إلى بيت المقدس في ليلة؟ ولهذا سمي «الصديق»، لسرعة تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم، ولما لزمته للصدق في حياته كلها.

(2) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (26/3) عن ابن إسحاق من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي.

كان أبو بكر: الرجل الثاني في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف ذلك المسلمون، عرفوا فضله، حتى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تغاضب أبو بكر وعمر في قضية من القضايا، واشتد أبو بكر على عمر في هذه القضية، ثم طلب أبو بكر من عمر السماح، فلم يسمح عمر وأبي، قال له: اغفر لي يا عمر، فلم يفعل. فذهب أبو بكر يشكو عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأدرك عمر خطأه، فذهب إلى أبي بكر ليعتذر إليه، فلم يجده في البيت، فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد وجهه متعمراً - أن يستسمحه أبو بكر فلم يسمح - وخشي أبو بكر أن يغضب عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم منه ... أنا كنت أظلم منه - يريد أن يعفو عنه النبي صلى الله عليه وسلم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: «إن الله يعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟»<sup>(3)</sup>.

هكذا كانت منزلة أبي بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث المشهور: «... ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام...»<sup>(4)</sup>.

(3) البخاري (ج4) كتاب «فضائل الأصحاب» باب (5) عن أبي الدرداء.

(4) رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد: كتاب «فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم»، فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (150/15 - 151) ط. دار الفكر، (1401هـ - 1181).



إشارات نبوة لترشيح أبي بكر لقيادة الأمة:

كانت منزلة أبي بكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند المسلمين منزلة كبيرة، ولهذا لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قدمه ليصلي بالناس، وهذا حديث متواتر، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»<sup>(5)</sup>، وكانت عائشة رضي الله عنها تحاول أن لا يجعله خليفته في الصلاة حتى لا يتشاءم الناس به، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أصر أن يكون أبو بكر خليفته على الإمامة بالناس. وكان في هذا إشارة إلى ترشيحه، وقد فهم المسلمون الإشارة وقالوا قولتهم بعد ذلك: رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدينانا؟!!

وكانت هناك إشارات كثيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ترشيح أبي بكر.

فقد جاءت امرأة تسأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ - كأنها تعني الموت - فقال: «فإن لم تجدني فأتى أبا بكر»<sup>(6)</sup> كل هذا إشارة إلى ترشيحه.

وفي الحديث الآخر: أراد أن يكتب كتاباً لأبي بكر حتى لا يتمنى متمن، ويقول قائل أنا أولى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويأبى الله والمؤمنون

(5) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ورواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن سالم بن عبيد الأشجعي رضي الله عنه. «فيض القدير» للمناوي (521/5) برقم (8175).

(6) رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه «صحيح مسلم بشرح النووي» (154/15).

إلا أبا بكر»<sup>(7)</sup>. حتى ذهب من ذهب من علماء المسلمين إلى أن أبا بكر منصوص عليه، أخذاً من مجموع هذه الإشارات والكلمات.

كان أبو بكر أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جديراً أن يكون مقدم هذه الأمة، فقد عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها، ولم يغادره في سفر ولا حضر.

يوم وليلة من أبي بكر خير من عمر:

ولما سمع عمر في خلافته أن بعض الناس يقدمه على أبي بكر، صعد المنبر وقال: أما إنني سمعت بعض الناس يقول: كذا وكذا، وإن يوماً وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر، وذكر الليلة وذكر اليوم.

أما الليلة فكانت ليلة الهجرة، ليلة الغار، حيث صحب أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار معه إلى الغار، فكان تارة يمشي أمامه، وتارة يمشي خلفه، وتارة يمشي عن يمينه، وتارة يمشي عن شماله، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أتذكر الرصد - أن يكون هناك أحد مترصدًا لك - فأمشي أمامك، حتى إذا حدث شيء تلقيته عنك، ثم أتذكر الطلب - أن يكون أحد يطلبنا من خلفنا - فأمشي خلفك، ثم أمشي عن يمينك، ثم أمشي عن شمالك<sup>(8)</sup>.

معنى هذا أنه كان يريد أن يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه،

(7) رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها «صحيح مسلم بشرح النووي» (155/15).

(8) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» عن ابن أبي مليكة، (ج1) حديث رقم (22).

ولم يدخل الغار حتى تحسسه أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه ليلة ذكرها عمر.

أما اليوم: فيوم مات النبي صلى الله عليه وسلم، وطاشت العقول، وغابت الأحلام، حتى ذهب بعض الناس إلى أنه لم يموت، وحتى إن عمر نفسه قال: لا تقولوا هذا، من قال: إن رسول الله قد مات، ضربت عنقه! فوقف أبو بكر - هذا الرجل اللين البكار الخاشع - كأنه الجبل الأشم والطود الراسخ، وقال في خطبته الشهيرة: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقد قال الله تعالى له في كتابه: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ...} [الزمر: 30]، وقال له: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: 34]، وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]. قال الصحابة: كأننا لم نسمع هذه الآيات التي طالما تلوناها وسمعناها إلا اليوم. أذهلتهم المصيبة وأدهشتهم الصدمة، ولكن أبا بكر - وهو أشد الناس حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقاً به - لم تذهله الصدمة، وكشف عن وجهه صلى الله عليه وسلم وقال: طببت حياً وميتاً يا رسول الله!

كان أبو بكر رجل الموقف، كان هو الرجل الذي يحتاجه الموقف في تلك الساعة، وإنما الرجال بمواقفهم.

وقد ظهر فضله، وظهرت صلابته، وظهرت شجاعته، في المواقف كلها.

أبو بكر الخليفة الأول:

لقد قدمه المسلمون واختاره وبايعوه خليفة لرسول الله ... تلكاً الأنصار في أول الأمر، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير. حتى وقف أبو بكر فخطب فيهم خطبته وقال: يا معشر الأنصار، والله لا ننكر فضلكم، وأنتم كذا وكذا، ولكننا عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، ولا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما آتاهم الله تعالى، نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، ها أنا أرضي لكم أحد هذين الرجلين: عمر أو أبا عبيدة. قال عمر وقال أبو عبيدة: ما تقدم عليك أحداً. وسارع عمر فبسط يده فبايعه، وبايعه أبو عبيدة، ثم تسارع الأنصار بعدهما فبايعوه مختارين راضين.

لقد قال لهم بشير بن سعد كلمة قلبت الموقف كله، قال لهم: يا معشر الأنصار، لقد كنتم أول من آوى ونصر، فلا تكونوا أول من بدل وغير، فقالوا: والله ما نقدم على أبي بكر أحداً.

كلمة واحدة قالها رجل مخلص، ففعلت فعلها في النفوس، لأن النفوس كانت مطمئنة بالإيمان، كانت الفطر سليمة، فإذا وجدت الكلمة الصادقة فإنها تفعل فعلها في هذه النفوس.

رجل المواقف: حروب الردة:

تجلت مواقف أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي خلافته التي كانت خيراً وبركة على المسلمين رغم قصر مدتها - سنتان وبضعة أشهر - ولكنها حفظت الإسلام وأبقته حياً مترعاً.

لولا وقفة أبي بكر وصلابته ما قام للإسلام قائمة، ولكن الله قبيض لهذا الدين هذا الرجل.

انظروا: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسامع العرب بموته، تسامعت القبائل - وكان إسلامها لم يتمكن بعد - فارتد الكثيرون، ومنع الزكاة الكثيرون، وساروا وراء المتنبيين الكذابين: مسيلمة في بني حنيفة، وسجاح بنت الحارث في بني تميم، والأسود العنسي في اليمن، وطليحة الأسدي في أسد وغطفان، وكانوا يعملون أن هؤلاء كذابون، ولكنها العصبية الجاهلية كانوا يقولون: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، يريدون نبياً قومياً وطنياً قبلياً، من قبيلتهم، ولو كان كاذباً.

انتشرت الردة في كل مكان، وقال آخرون: نصلي ولا نزكي، إنما كانت الزكاة لرسول الله، لأن صلاته سكن لنا، أما أبو بكر فلا يأخذ منا الزكاة، لأن صلاته ليست سكناً لنا.

حدث هذا كله، فماذا صنع أبو بكر؟

أول من حارب من أجل الفقراء:

أبى أبو بكر إلا الإسلام كله، أبى أن يتنازل عن شيء من الإسلام، حتى إن عمر بن الخطاب على قوته وجبروته في دين الله، جاء إليه يقول له: يا خليفة رسول الله، تألف القوم فإنهم كالوحش وارفق بهم. فقال: ماذا تقول يا ابن الخطاب؟! أجباب في الجاهلية خوار في الإسلام؟! أأرجوا نصرتك فتجيني بخذلانك؟! ماذا تريدني أن أفعل بهم؟ أتبيهم بشعر مفتعل أم بسحر مفترى؟! والله لأجاهدنيهم ما استمسك السيف بيدي، والله لأقاتلن من فرق بين

الصلاة والزكاة. قال عمر: كيف تقاتلهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»<sup>(9)</sup>. قال أبو بكر: أما والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال: أي وقد قال: «إلا بحقها».

فكان أبو بكر أفاقه من عمر في فهم الحديث.

ولذلك لما رأى عمر صلابته واستمساكه قال: فما أن رأيت أبا بكر قد انشرح صدره للقتال إلا وقد علمت أنه الحق.

ووقف الصحابة جميعاً بجانبه، وجهاز أحد عشر لواء، وعقد لأحد عشر قائداً من قواد المسلمين، يذهبون إلى هؤلاء القبائل الذين ارتدوا والذين منعوا الزكاة، وقال قولته المعروفة: والله لو منعوني عناقاً - أي عنزاً صغيرة - وفي رواية: لو منعوني عقالاً - أي حبلاً يربط به البعير - كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

وكان أبو بكر أول حاكم يعرفه التاريخ، بجيش الجيوش، ويعلن الحرب، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من أيدي الأغنياء، قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكية والشيعية وغيرها. وإنما فعل ذلك بأمر الله ورسوله، إنه يعلم أن الزكاة حق، تؤخذ طوعاً وإلا أخذت كرهاً.

كان أبو بكر أول من حارب من أجل الفقراء، ما سير الفقراء مظاهرة

(9) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «شرح السنة» للبخاري بتحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط (66/1) برقم (32).

تطالب بحقوقهم، ولا عقدوا مؤتمرًا، ولا قدموا عريضة، ولكن هو الحق الذي قرره لهم الإسلام.

هكذا، كان هذا الرجل البكاء، الذي كان إذا دخل في الصلاة، وقرأ القرآن بكى حتى يختفي صوته من البكاء، وانهمرت دموعه حتى تبلل لحيته، ولكنه في المواقف الصعبة يظهر أسدًا هصورًا.  
إنفاذ جيش أسامة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر الحب بن الحب، أسامة بن زيد - الشاب المؤمن ابن الثامنة عشرة - على جيش فيه من كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أمره ليذهب إلى حيث ذهب أبوه من قبل في مؤتة، ليذهب للقاء الروم، حتى لا يظن الروم أن المسلمين قد ضعفوا، أو أنهم قد يئسوا. أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يلقي الرعب في قلوب القوم، وأمر عليهم هذا الشاب المتوثب من شباب المسلمين، الذين كان يشغلهم الجهاد والفتح وإعلاء كلمة الإسلام في الأرض.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ثقل به المرض، فقالت فاطمة بنت قيس زوجة أسامة: إن النبي صلى الله عليه وسلم ثقل، فلا تعجل بالذهاب.

وشاء الله أن يختار رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، فكان رأي المسلمين - بعد أن رأوا ما من ارتداد من ارتد - ألا ينفذ جيش أسامة.

ارتدت العرب ... ذهبت فيهم الردة كل مذهب، ولم يبق هناك إلا المدينة ومكة والطائف، هنالك جاء بعض المسلمين يقولون لأبي بكر: لا تنفذ جيش أسامة، نحن في حاجة إليه، رد أسامة ومن معه، فإن القبائل قد ارتدت حول

المدينة، فقال: ماذا تقولون؟ أتريدون مني أن أؤخر جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله لو رأيت السباع تتخطفني، ولو جرت الكلاب بخلاخل أمهات المؤمنين، ما أخرت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم!

وأبى إلا أن ينفذ جيش أسامة.

كان أبو بكر متبعاً لا مبتدعاً، كان مؤمناً بالله ورسوله، كانت مزيته هو هذا اليقين الذي يملأ عليه جوانب صدره، ولذلك جاء في الأثر: «ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في صدره» بسر وقر في صدره، هو سر الإيمان واليقين الذي لا يتزعزع أبداً.

أنفذ جيش أسامة، فما كان يمر بقبيلة من قبائل العرب إلا قالوا: ما ذهب هؤلاء للقاء الروم إلا وبهم قوة ومنعة. فأدخل ذلك الرعب في قلوبهم، وقالوا: ننتظر حتى نرى ماذا يفعلون مع الروم أو يفعل معهم الروم.

فذهب أسامة ومن معه وقاتلوا وقتلوا، ونصرهم الله وهزم عدوهم وعادوا سالمين غانمين، فكان في ذلك خير وبركة على الإسلام والمسلمين.

كان أبو بكر هو رجل الموقف بحق، بعث الجيوش هنا وهناك لتأتي بالزكاة من المانعين، وترد هؤلاء المتنبيين الكذابين ومن معهم إلى حظيرة الإسلام. من عاد إلى الإسلام بالحسنى فيها، وإلا فالحكم بينه وبين المسلمين السيف، وقد حكم المسلمون سيوفهم في أولئك حتى رجعوا إلى الإسلام.

معركة اليمامة:

كان من المعارك الفاصلة في عهد أبي بكر: معركة اليمامة، معركة



المسلمين مع مسيلمة الكذاب وقومه، كان يوماً من أيام الله، قاتل فيه بنو حنيفة تحت راية مسيلمة قتالاً لم يعهد مثله، كانوا مستبسلين. وقاتل الصحابة قتالاً لم يعهد مثله وصبروا صبراً لم يعهد مثله.

قيس بن ثابت حفر لنفسه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، حتى لا يفر ولا يغادر مكانه إلا أن يموت في سبيل الله.

زيد بن الخطاب - شقيق عمر - قال: يا قوم، عضوا على أضراسكم، واثبتوا على أقدامكم، وامضوا قدماً، والله لا أتكلن بكلمة حتى تنتصر، أو ألقى الله شهيداً في سبيل الله، فأكلمه بحجتي، فلم يتكلم حتى خر شهيداً، ولقى الله مع الشهداء.

حذيفة بن اليمان كان ينادي في الناس: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال.

كان نداء الصحابة ونداء القراء: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم.

قيل لسالم مولى أبي حذيفة: إننا نخشى أن نؤتى من قبلك. قال: تخشون أن تؤتوا من قبلي؟! بئس حامل القرآن أنا إن أوتيت من قبلي!

ولذلك كان معظم الشهداء في هذا اليوم من حملة القرآن.

كان يوماً من أيام الله، انتصر فيه الإسلام، وقتل فيه مسيلمة الكذاب، قتله وحشي بن حرب، ذلك الرجل الأسود الذي قتل بحريته أسد الله وأسد رسوله: «حمزة بن عبد المطلب» في أحد. هذه الحربة قال: لا بد أن أقتل بها مسيلمة تكفيراً عن خطيئتي من قبل. ولذلك كان يقول: قتلت خير الناس، وقاتلت شر

الناس.

انتصار الإسلام في عهد أبي بكر:

هكذا كان انتصار الإسلام في عهد أبي بكر رضي الله عنه. وكان هذا دليلاً على القوة الكامنة في طبيعة الإسلام، والتي تظهر أقوى ما تكون في أيام المحن والشدائد.

في عهد أبي بكر رضي الله عنه عاد الناس إلى حظيرة الإسلام. هؤلاء المرتدون أبوا إلى رشدهم، ورجعوا إلى الإسلام، وكان منهم بعد ذلك من وهب نفسه للقتال في سبيل الله، تكفيراً عما صدر منه في حرب الإسلام وأهله، فكانوا في طليعة المقاتلين الذين قاتلوا تلك الدول الطاغية المتجبرة في الأرض: فارس والروم.

هكذا كانوا وذلك بفضل أبي بكر رضي الله عنه وموقفه الصلب الشجاع.

ردة ولا أبا بكر لها:

ونحن اليوم حينما نرى ألواناً من الردة تظهر في مجتمعاتنا الإسلامية، تعلن عن نفسها، وتتحدى عقائد الأمة ومشاعرها، وتتهجم على القرآن، وعلى الرسول، وعلى الشريعة، نقول بألم وحسرة ما قاله العلامة أبو الحسن الندوي: «ردة ولا أبا بكر لها»<sup>(10)</sup>!

الباذل كل ما عنده للإسلام:

عاش أبو بكر رضي الله عنه حياته للإسلام منذ آمن ولم يعرف إلا هذا

(10) عنوان رسالة لطيفة للداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله.

الدين، بذل نفسه وبذل ماله لله، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من أمن الناس على أبو بكر في ماله وصحبته»، وقال: «ما نفعتي مال ما نفعتي مال أبي بكر» فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله، وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟! (11).

كان عنده أربعون ألف دينار - أو درهم - قبل الهجرة، فلما هاجر لم يكن معه منها إلا خمسة آلاف، لم تزد كما يزيد مال التجار، وإنما نقصت إلى هذا الحد، وإنما أنقصها أنه كان يشتري العبيد المستضعفين الذين يعذبون ويعتقهم. اشترى سبعة أنفس ممن يعذبون في الله منهم «بلال بن رباح»، ولذلك كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا.

وقد أجمع المفسرون على أن الآيات الكريمة في سورة «الليل» نزلت في أبي بكر: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى 17 الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى 18 وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى 19 إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى 20 وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: 17 - 21].

قال عمر: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بالصدقة، وقد اجتمع عندي مال، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فأخذت نصف مالي - وهو يظن أن أحداً لن يصل إلى ما وصل إليه - وذهبت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ماذا تركت لأهلك يا عمر؟ قلت: تركت لهم مثله يا رسول الله، فدعاني. ثم جاء أبو بكر بماله، فقال: ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله - أي جاء بماله كله - فقال عمر: والله لا أسابقك إلى شيء أبداً (12).

(11) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري كتاب «مناقب الأنصار» باب (45 ج 4).

(12) رواه أبو داود عن عمر بن الخطاب حديث رقم (1678) - الترمذي حديث رقم

رجل القرآن:

كان السابق في الخيرات، كان المقدم في كل شيء: في الإيمان، في الفقه، في البذل، في السلوك.

عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وبضعة أشهر، ثم وافاه المرض، فلما مرض نظرت إليه «عائشة» ابنته، الصديقة بنت الصديق - وهو على فراش الموت - فتمثلت بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن إذا حشرجت يوماً وضاق بها  
فكشفت أبو بكر عن وجهه - وهو يعاني سكرات الموت - وقال: لا تقولي هذا يا بنية، ولكن قولي: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}  
[ق: 19].

هذا أبو بكر يعيش مع القرآن، حتى ساعة الاحتضار، وقد أغناه القرآن عن الشعر، هذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
التدقيق في الكلمات:

دخل عليه بعض الناس بعد الخلافة، فقال له: يا خليفة الله. قال: لا، بل أنا خليفة رسول الله، وأنا راضٍ به<sup>(13)</sup>.

خشي أن تستخدم هذه الكلمة، كأنه يتلقى عن الله، أو نحو ذلك، كما يقوله دعاة «الحق الإلهي» الذي كان يدعيه بعض الناس لملوكهم وأباطرتهم: أن عروقه يجري فيها دم إلهي معين - غير دماء الناس - يعصمهم من الخطأ،

(2902) وقال: حسن.

(13) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (183/3)، عن ابن أبي مليكة.

فنفى أبو بكر ذلك من أول الأمر وقال: أنا خليفة رسول الله.

رضي الله عن أبي بكر، ورضي عن عاونه وناصره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، ووصلى الله على محمد وآله، أدعوا الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعز من يشاء ويذل من يشاء. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون. ورضي الله عن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من الواجب علينا أن نرجع إلى تاريخنا، وأن نتعرف على هؤلاء الميامين المباركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بإحسان.

إن الكثيرين منا يجهلون هذا التاريخ العظيم، وهو تاريخ حافل، وأكثر من يعرفون منا شيئاً عنه، إنما يعرفون الوقائع السياسية الشهيرة، ولا يعرفون ما تمتلئ به صفحات الكتب من فضائل ومناقب لكل هؤلاء الأبطال.

إن الإسلام إنما انتشر في الأرض بأخلاق هؤلاء. ما انتشر الإسلام بالسيف كما يقول الأفاكون، إنما انتشر الإسلام بالأخلاق ... بالإيمان ...

بالعمل.

رأى الناس في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيمن تبعهم بإحسان: الإسلام مجسماً، رأوا فيهم الصدق ... الأمانة ... الزهد في الدنيا ... الرغبة فيما عند الله عز وجل، حب الخير للناس، الرحمة بخلق الله، فأحبوا هذا الدين.

إن الذي يحجز الأمم عن الإسلام اليوم إنما هم «المسلمون». أغلظ حجاب حاجز عن الدخول في الإسلام هو: حال المسلمين وسلوك المسلمين، هؤلاء الذين يعبتون بالأموال، بالملايين في أوربا وأمريكا، هؤلاء الذين لا يراهم الناس إلا مخمورين، هؤلاء الذين يراهم الناس بهذا السوء، ثم يعرفون أنهم «مسلمون» فينفرون الناس من الإسلام.

إن أحوج ما نحتاج إليه: أن نعرف تاريخنا، ونعرف أول ما نعرف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين ظلمهم من ظلمهم.

تصوروا أن هناك فئة من الناس تدم أبا بكر وعمر، وأمثالهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم!

هل رأيت الدنيا مثل هؤلاء؟!!

هل اكتحلت عين الدنيا برؤية مثل هؤلاء الصفوة الأخيار؟!!

هذا الجيل الرباني ... الإنساني ... القرآني ... الأخلاقي ... الذي لم ير مثله قط هو ثمرة التربية النبوية، وخريج المدرسة المحمدية فمن طعن فيه فكأنما يشكك في ثمار النبوة.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يسيرون وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويهتدون بهدي أصحابه، وأن يجعلنا من {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: 18].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا. اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: 10].

وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

## 2- رسالة المسجد في الإسلام

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حديثنا اليوم عن رسالة المسجد في الإسلام.

المسجد في الإسلام دار العبادة، ومكان الصلاة.

كلمة المسجد مشتقة من «السجود»، أي: موضع السجود، وعبر عن الصلاة - أعظم العبادات - بالسجود، لأنه الركن الذي يتجلى فيه الخشوع الكامل، والخشوع الشامل، لله تعالى، كما في الحديث الصحيح: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد...»<sup>(14)</sup>.

المسجد هو مكان الصلاة، مكان هذه العبادة اليومية، التي جعلها الإسلام عموداً له، فـ «الصلاة عماد الدين»<sup>(15)</sup> من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها

(14) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتتمته: «فأكثرُوا الدعاء». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي برقم (193، 923) و«شرح السنة» للبعوي: (151/3) برقم (558).

(15) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «التلخيص الحبير» (173/1). «فائدة: قال في «الوسيط»: قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة عماد الدين»، فقال النووي في «التنقيح»: هو منكر باطل، قلت: وليس كذلك، بل رواه نعيم شيخ البخاري في «كتاب الصلاة»، عن حبيب بن سليم، عن بلال بن يحيى، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسأله فقال: الصلاة عمود الدين، وهو مرسل رجاله ثقات...». بقول يوسف القرضاوي:

وجاء في حديث معاذ بن جبل عند الترمذي وغيره: «ألا أدلك على رأس الأمر، وعموده،



فقد هدم الدين.

وجعلها الله خمس مرات في اليوم واللييلة، أشبه بالوجبات الروحية التي يحتاج إليها الإنسان، كما يحتاج إلى الوجبات الغذائية المادية لجسمه، حمام ينظهر به كل يوم خمس مرات: «أرأيت لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دونه<sup>(16)</sup> شيء؟»، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»<sup>(17)</sup>.

وقد ندب الإسلام إلى الصلاة في المسجد ... صلاة الجماعة، فهي إما سنة مؤكدة، وإما فرض كفاية، وإما فرض عين كما يرى ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه.

فلجماعة أهميتها في الإسلام، ومن هنا نشأت أهمية المساجد لتبني الإيمان وتزرع اليقين، وتذكر بالله تعالى وبالיום الآخر، وتصل المسلم بحقائق الإسلام، يتعلم في المسجد ما جهل، ويتذكر ما نسى، ويقوى ما ضعف من أمر دينه.

ليس ارتباط المسلم بالمسجد كما يرتبط النصراني مثلًا بالكنيسة، يزورها مرة في الأسبوع، لا، إن المسجد يرتبط بحياة المسلم يوميًا، وإذا تكاسل عن الجماعة صلاة أو صلاتين تفقده إخوانه وسألوا عنه، فإن كان مريضًا عادوه، وإن كان مشغولًا أعانوه، وإن كان مسافرًا دعوا له وتفقدوا أهله، وإن كان

وذروة سنامه؟ رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد».

(16) الدرر: هو الوسخ.

(17) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (168/1)، برقم (184).

ناسياً ذكره، وهكذا.

كان المسجد هو الملتقى اليومي للمسلمين، ومن هنا حث الإسلام على بناء المساجد، وجعل لبناء المسجد قيمة عند الله، جعله باباً إلى الجنة، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً قدر مفضل قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة»<sup>(18)</sup> القطاة: طائر صغير، ومفضل قطاة: هو المكان الضيق الذي تفحص التراب عنه لتبيض فيه. أي مهما بلغ من الصغر والضيق فإن له عند الله بيتاً في الجنة.

هكذا تسابق المسلمون قديماً إلى بناء المساجد، ولا يكاد يوجد خليفة أو سلطان أو أمير إلا حاول أن ينشئ مسجداً، أو يحيى مسجداً، ولا غرو أن كان أول مؤسسة أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة هي المسجد النبوي، الذي كان محور النشاط في المجتمع كله.

ومن هنا كانت أهمية المشي إلى المسجد، كل من مشى إلى المسجد كتب الله له بكل خطوة حسنة، ورفع له بها درجة، ومحا عنه سيئة<sup>(19)</sup>، ولهذا لما أراد بنو سلمة من الأنصار أن يتركوا أماكنهم البعيدة وينتقلون إلى أماكن قريبة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم منعهم النبي عليه الصلاة والسلام.

(18) رواه البزار واللفظ له، والطبراني في «الصغير»، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، ورواه ابن حبان في «صحيحه». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (159/1)، برقم (155).

(19) ففي الحديث الذي رواه أبو داود: «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة، لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عز وجل عنه سيئة...». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (162/1) برقم (168).

أرادوا أن يتركوا أماكنهم التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم وأن يأتوا قرب المسجد فقال لهم: «يا بني سليم، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»<sup>(20)</sup> أي الزموا دياركم، وآثاركم وخطواتكم مكتوبة لكم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المشاؤون إلى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله تعالى»<sup>(21)</sup> من مشى للمسجد وخاصة في ظلمات الليل أولئك الخواضون في رحمة الله، وقال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»<sup>(22)</sup>.

فكل غدوة أو روحة إلى المسجد لها أجرها عند الله، وفي الحديث: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»<sup>(23)</sup>. هكذا كانت قيمة المسجد، وهكذا منزلة المسجد.

ولهذا كان اعتياد المشيء إلى المساجد وعمارته بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن دليلاً على الإيمان.

روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الرجل يعتاد

(20) رواه مسلم وغيره من حديث جابر رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (163/1) برقم (169).

(21) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة حديث رقم (779)، وسكت عنه البوصيري، ولم يذكره الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(22) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث غريب، وفي نسخة: حسن غريب. من حديث بريدة، قال الحافظ المنذري: رجال إسناده ثقات، ورواه ابن ماجه بلفظه من حديث أنس. وانظر . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (164/1) برقم (173).

(23) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (163/1) برقم (172).

المساجد فاشهدوا له بالإيمان»<sup>(24)</sup> ثم تلا قول الله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنٌ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...} [التوبة: 18] والعمارة ليست بالبناء فقط، من ذهب إلى المسجد مصلياً أو مسبحاً أو تالياً أو جالساً في حلقة علم أو منتظر للصلاة أو لتلاوة قرآن فهو يعمر المساجد. والحديث ضعيف الإسناد ولكن عمدتنا هي الآية الكريمة.

للمسجد منزلة أي منزلة في الإسلام، ولهذا كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مركز الدعوة، ودار الدولة، الدعوة تنطلق من المسجد، والدولة أيضاً كانت تتمثل في المسجد، كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل المندوبين والوفود والسفراء القادمين من البلاد الأخرى في المسجد، ويقابل أصحابه في المسجد، ويعلمهم في المسجد، وتنطلق الجيوش من المسجد، وكان المسجد محور الحياة الإسلامية، ومحور النشاط الإسلامي كله.

المسجد جامع وجامعة:

كان المسجد جامعاً للعبادة، وجامعة للعلم. كان جامعة شعبية مفتوحة الأبواب في الصيف والشتاء، في الخريف والربيع، للرجال وللنساء، للكبار وللصغار، يتعلم فيها الدين، ويتعلم فيها الأدب، ويتعلم فيها الخلق، مدرسة تعلم العلم والعمل، وتربى النفوس، وتعلم الرؤوس، تعني بالتطبيق قبل النظرية.

(24) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن حبان والحاكم والبيهقي في «السنن» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن غريب. وانظر «فيض القدير» للمناوي (357/1 - 358) برقم (634). والحديث من رواية دراج عن أبي الهيثم، ولذا ضعفه العلماء.

كانت الجوامع جامعات، ومن هنا عرفنا الجامعات العلمية العريقة في العالم الإسلامي باسم الجوامع: جامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في المغرب. هذه الجامعات من أعرق - أو هي أعرق - الجامعات في العالم، نشأت تحت سقوف الجوامع وفي ساحات المساجد.

المسجد للرجل والمرأة جميعًا:

كان المسجد جامعة شعبية مفتوحة للرجل والمرأة، لم تكن المرأة محرومة من المساجد، كما حرّمها المسلمون في العصور الأخيرة. كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يتسع للرجال والنساء، كان للرجال الصفوف الأمامية، وكان للنساء الصفوف الخلفية، ولم يكن بينهم أي حاجز لا من خشب ولا من بناء، ولا من نسيج.

وكانوا يدخلون من أبواب واحدة، ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات مزاحمة الرجال بالنساء، فقال: «لو تركنا هذا الباب للنساء»<sup>(25)</sup>. قال ابن عمر: فلم أدخل منه ولم أخرج بعد منه<sup>(26)</sup>.

صار هذا الباب للنساء، ولا زال إلى اليوم مكتوبًا عليه: «باب النساء». من زار مسجد النبي في المدينة، رأى هناك بابًا يسمى باب «النساء».

ولهذا مما سرني في هذا المسجد أن يكون هنا مكان للمرأة المسلمة، تأتي

(25) رواه أبو داود عن ابن عمر، وفي رواية أخرى أن قائل ذلك هو عمر، قال: وهذا أصح

«سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود» (277/2 - 278) برقم (567).

(26) وهذا مشهور من سيرة ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان شديد الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لتسمع الموعدة، وتشارك في العبادة الإسلامية، كما شارك نساء الصحابة، وأمهات المؤمنين في العهد النبوي وعهد الصحابة رضي الله عنهم.

لم يحرم الإسلام المرأة من العبادة، ولا من الموعدة، ولا من الدروس، فلا داعي للتشدد الذي تشدد به بعض العلماء في العصور الفاتنة. فإن المرأة اليوم قد خرجت وذهبت إلى المدرسة، وذهبت إلى الجامعة، وذهبت إلى السوق، وسافرت بكل وسائل النقل، فلماذا نحرّمها من المسجد ... وقد قال العلماء: إنها تبقى في بيتها وعلى زوجها - أو على أبيها - أن يفقهها في دينها، ولكن أين الأب الذي يعلم ابنته؟ وأين الزوج الذي يفقه امرأته؟ وقد قيل: فاقد الشيء لا يعطيه!

فعلى المرأة أن تأتي إلى المسجد، وليس لزوجها أن يمنعها، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»<sup>(27)</sup>، إذا أرادت المرأة أن تصلي في المسجد مثل هذه الصلاة «صلاة الجمعة» أو تحضر درساً أو موعدة، فلا يجوز لزوجها أن يمنعها، إذ لا ينبغي أن تمنع إماء الله مساجد الله، المسجد جامعة ... مدرسة عامة للمسلمين والمسلمات جميعاً.

المسجد برلمان للأمة:

والمسجد برلمان للأمة. كان المسلمون إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم ملمة، اجتمعوا في المساجد يتشاورون ماذا يفعلون؟ كان المسجد ملتقى الحاكم والمحكوم، بل كان حاكم المسلمين هو الذي يؤمهم، فليس في الإسلام انفصال بين الدين والدنيا، ليس هناك رجال الدين ورجال الدنيا، كل مسلم رجل لدينه،

(27) متفق عليه عن ابن عمر، كما في «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» (254).

الذي رشح أبا بكر للخلافة في نظر المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه لإمامة الناس في الصلاة، فقال عمر كلمته: رضيه رسول الله لدينا أفلا ترضاه لدينانا؟!

الحاكم يعرض سياسته من فوق المنبر، يقول للناس: ماذا يريد منهم؟ وماذا يريدون منه؟

اعتلى أبو بكر رضي الله عنه المنبر ووقف يقول: أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطل فقوموني، القوي فيكم هو الضعيف عندي حتى أخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ الحق له، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم!!

بيان ألقاه خليفة يقول فلا يكذب، ويعد فلا يخلف. وسمعتُه أمة تسمع فلا تنسى، وتحاسب فلا تخشى.

برلمان نوابه: {التَّائِبُونَ الْعَادُونَ الْحَمِدُونَ السَّخَّيُونَ الرُّكَّعُونَ السُّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 112].

المساجد الجامعة:

الميجد مؤتمر عام للمسلمين، وخاصة في مثل هذا الاجتماع الأسبوعي: اجتماع الجمعة. المفروض أن يلتقي أهل الحي في مسجدهم في الصلوات الخمس، ويجتمع أهل المدينة أو أكبر مجموعة منها في الجامع الكبير لصلاة الجمعة. كانت سياسة المسلمين إذا بنوا مدينة أن بنوا مسجدًا جامعًا يسع أهلها

جميعاً. هذه كانت سياستهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

بنى النبي مسجده في المدينة لیسع أهل المدينة، ولما كثر المسلمون وسعه الخلفاء الراشدون.

لما دخل عمرو بن العاص إلى مصر بنى جامعة في الفسطاط، في مصر القديمة، لیسع أهل الفسطاط في ذلك الوقت.

ولما بنى أحمد بن طولون بعد ذلك مدينة القطائع بنى جامعاً ضخماً لیسع أهل المدينة التي بناها.

ولما بنى جوهر الصقلي بعد ذلك مدينة القاهرة بنى جامع الأزهر لیسع أهل القاهرة.

لم تكن سياستهم بناء جوامع صغيرة أو مساجد ضيقة تسع مائة أو مائتين، وتزخرف وتزين، ولكنها لا تتسع لآلاف من الناس، لا، المفروض في المساجد أن تتسع لآلاف، وأن يكون المسجد مجتمعاً للجماهير المسلمة، وكان الحاكمين والساسة يخافون من التجمعات الدينية الإسلامية، فأعزوا أن تكون المساجد من الضيق والصغر بحيث لا تسع الناس.

الأصل في المساجد أن تكون جامعة، وأن يقل عددها، وتتسع مساحتها، ولو كانت المساجد بهذه المثابة لاستطعنا أن نهى لها خطباء مجيدين ووعاظاً نابغين، أما أن يكون في المدينة الواحدة ألف مسجد، فمن أين تأتي بألف خطيب؟

الأصل في المساجد أن تكون جامعة واسعة رحبة، ولهذا قال الفقهاء: إنه لا يجوز أن تصلي الجمعة في مسجد إلا إذا امتلأ المسجد الآخر، وينبغي أن



لا تتعدد المساجد إلا لحاجة.

والآن المساجد كلها ممتلئة لأنها صغيرة، ولذلك يصلي في جميع بلاد المسلمين في الشوارع وفي الطرقات، ليست هناك مساجد مثل الأزهر وابن طولون وعمرو بن العاص وغيرها<sup>(28)</sup>.

المسجد في نظر المبشرين:

أيها الإخوة المسلمون: في أوائل هذا القرن جاءت حملة تبشيرية على مصر، ولكنها لم تنجح، باءت بالفشل، فكتب كبير المبشرين تقريرًا يقول فيه: سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الأركان الأربعة: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

هكذا كانت رؤيتهم لهذا المؤتمر الأسبوعي للمسلمين.

المسجد يعلمنا النظام:

في المسجد نتعلم أشياء كثيرة:

في المسجد نتعلم النظام والطاعة والجنديّة: «سوا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»<sup>(29)</sup>، «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»<sup>(30)</sup>، «ولينوا

(28) انظر رسالة «الضوابط الشرعية لبناء المسجد» للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

(29) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه، وغيرهم، عن أنس رضي الله عنه، وفي رواية للبخاري: «فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (183/1) برقم (234).

(30) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وتامه: «...»

بأيدي إخوانكم»<sup>(31)</sup>، «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع الإمام فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قرأ فأنتصوا»<sup>(32)</sup>، «الذي يخفض ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد شيطان»<sup>(33)</sup>، «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار»<sup>(34)</sup>، لأنه لم يفقه معنى النظام ولا معنى الصلاة، فهو جدير بأن يخرج من الإنسانية وأن يمسح الله رأسه رأس حمار.

المسجد يعلمنا الحرية:

نتعلم في المسجد الحرية والإخاء والمساواة: المعاني والقيم الإنسانية التي ينادي بها المنادون اليوم، ويتاجرون بها على المسلمين، المسلمون هم أصحابها، المسلمون هم دعائها، المسلمون هم أول من دعا إليها نظرياً وطبقها عملياً.

إن الله وملائكته يصلون على الصّاف الأول». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (183/1) برقم (233).

(31) قطعة من حديث رواه أحمد وأبو داود، وصححه النووي في «الرياض»، وكذا شاكر، ونصه: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفّاً وصله الله، ومن قطع صفّاً قطع الله». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (184/1) برقم (235).

(32) رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري، وحديث قتادة برقم (404)، وابن ماجه برقم (847).

(33) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن، وكذا قال الهيثمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مالك في «الموطأ» موقوفاً عليه ولم يرفعه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (188/1) برقم (250).

(34) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (188/1) برقم (249).

أي حرية أعظم من حرية الضمير؟ أن يصلي في المسجد، فلا يخضع إلا لله، ولا يدعو إلا الله، ولا يخشع لأحد مهما كان لأن المساجد لله، {وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: 18].

حرية التعبير وحرية الرأي: إذا صلى وراء الإمام وأخطأ الإمام فمن حق المصلين خلفه - بل من واجبهم - أن ينبهوه، ولا سيما إذا كان الخطأ جسيماً، حتى يعود إلى الصواب، هذا يقول له: سبحان الله، وآخر يصحح له الآية، وأخرى من وراء الصفوف تصفق له بيدها، لأن المرأة يكون تصحيحها بالتصفيق لا بالكلام، وهكذا.

وإذا اعتلى الخطيب المنبر، فليس دكتاتوراً يفرض على الناس ما يريد، إذا أخطأ فمن حق أي جالس في المسجد أن ينبهه، وأن يناقشه، بل من حق المرأة في الصفوف الخلفية أن تفعل ذلك، كما فعلت المرأة التي ردت على عمر في مسألة المهور، وقالت له: كيف تقول في المسألة هذا، وقد قال الله كذا وكذا؟ فقال: أصبت، وقال للناس: أصابت المرأة وأخطأ عمر!!

ورد رجل من غمار الناس على علي بن أبي طالب ورجع إلى رأيه وقال: أخطأت أنا وأصبت أنت، وفوق كل ذي علم عليم.

هذا يعلمنا أن المسجد هو موئل الحرية، ومعلم الحرية.

المسجد يعلمنا الإخاء:

في المسجد نتعلم الإخاء: فنحن نلتقي كل يوم فيه، نتلاصق الأبدان، وتتصافح الأيدي، وتتعارف الوجوه، وتتحاب القلوب، ويسأل بعضنا عن بعض.

مجموعة تقف وراء إمام واحد، تتجه إلى قبلة واحدة، تؤمن برب واحد، تؤمن برسول واحد، تتلو كتابًا واحدًا، تؤدي أقوالًا وأفعالًا واحدة، بنية واحدة ... إلام يؤدي هذا؟ إن هذا يؤدي إلى إشاعة الأخوة، والترابط بين القلوب بعضها وبعض.

المسجد يعلمنا المساواة:

نتعلم في المسجد المساواة: وأي مساواة أعظم من مساواة المسلمين في المسجد؟ يجلس الكبير بجوار الصغير، والغني بجوار الفقير، والوزير بجوار الخفير، والحاكم بجوار المحكوم، وأستاذ الجامعة بجوار عامل من العمال، لا فرق بين هذا وذلك.

ليس في الإسلام لائحة تنظم بروتوكولات الحضور: أن الصف الأول للسادة الوزراء، والصف الثاني لأعضاء مجلس الشورى، والصف الثالث للمديرين العامين ... لا، من حضر مبكرًا احتل مكانه في الصف الأول، ثم الذي بعده دون تمييز ولا تفضيل.

الغريبيون إلى اليوم لا يعرفون هذه المساواة، هناك كنائس للبيض وكنائس للسود!

أخطأ مرة أحد الزوج في أمريكا فدخل كنيسة للبيض، ووجد القسيس هذا الأسود مع الناس، فلمحه هذا الكاهن في صفوف الناس، فأرسل إليه ورقة يقول له: الكنيسة المخصصة للسود تقع في شارع كذا وكذا «يعني انصرف» فأخذ الرجل نفسه وانصرف.

حتى العبادة فرقوا فيها بين الألوان ... بين الأبيض والأسود.

يقول الدكتور محمد إقبال فيلسوف الإسلام في الهند: أي ثورة تحدث لو أن هذا البرهمي الارستقراطي المستكبر وقف بجوار هذا المنبوذ في جنوب الهند، وصلى معه في مكان واحد؟! الناس في الهند من قديم طبقات بعضها فوق بعض بالوراثة، لا يستطيع أحد أن يرقى من طبقة إلى ما هو أعلى منها، لا بالعلم، ولا بالعمل، ولا بالأخلاق، لا يمكنك مهما أوتيت من علم، وما حصلت عليه من مركز اجتماعي، أن تنتقل من طبقتك إلى طبقة أخرى، فالبراهمة هؤلاء هم السادة ... هم في القمة، قد خلقوا من فم الإله! أما الذين خلقوا من ذراع الإله، أو من رجل الإله، أو لم يخلقهم الإله قط، مثل هؤلاء الذين لا يجوز أن يمسه أحد أو أن يمسا أحداً فقد ولدوا أنجاساً أرجاساً، لا سبيل لهم إلى التطهر أو الترقى.

المساواة الحقيقية عندنا نحن المسلمين، وأظهر ما تكون عندنا في المسجد.

هذا هو المسجد، وهذه هي رسالة المسجد، ينبغي أن نعرفها، ينبغي أن نرتبط بها، أن نعود أبناءنا أن يذهبوا إلى المساجد، ينبغي أن يكون لنا حظ من صلاة الجماعة في المساجد، فصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين - أو بسبع وعشرين - درجة، كما جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(35)</sup>.

(35) كحديث: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وحديث: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة» رواه أحمد والبخاري وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. «فيض القدير» للمناوي (216/4 - 216) برقم (5074، 5075).

وقد جمع بين روايتي: الخمس والسبع بوجه أوردها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»:

من هم عمار المساجد؟ هل هم الدراويش والمتبطلون والمجازيب؟ إن القرآن حدثنا عن عمار المساجد فقال: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ 36 رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ} [النور: 36، 37] هم إذن رجال أعمال، وليسوا رجال بطالة أو دروشة، وهكذا كان أصحاب رسول الله. هذا هو المسجد، هذا هو بيت الله، بيت ينسبه الله تعالى إلى نفسه كما في الحديث القدسي: «إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زواري فيها هم عمارها، فطوبى لمن تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره»<sup>(36)</sup>.

نسأل الله أن يجعل كرامتنا عنده المغفرة والجنة، إنه سميع قريب. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

المسلمون في العالم أكثر من ألف مليون، ومع هذا فهم مضيعون.

منها أن ذكر القليل لا ينفي الكثير لأن مفهوم العدد غير مراد فرواية الخمس داخلية تحت رواية السبع، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بالخمس ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فأخبر بالسبع، ومنها أن السبع ليعيد المسجد والخمس لقريبه، ومنها أن السبع محمولة على من صلى بالمسجد والخمس لمن صلى في غيره، ومنها أن الفرق بحال المصلي كأن يكون أعلم أو أخشع، ومنها أن الفرق بالمنتظر للصلاة وغيره، ومنها أن الفرق بإدراك كلها أو بعضها، ومنها أن الفرق بكثرة الجماعة، وقتلتهم، ومنها أن السبع مختصة بالجهرية والخمس بالسرية، وقيل غير ذلك. والوجه الأخير هو الذي رجحه الحافظ. انظر «فتح الباري» (155/2 - 156) ط. دار الريان بالقاهرة.

(36) الطبراني في «الكبير» برقم (10324)، «مجمع الزوائد» (ج2 ص22). وهما عن عبد الله، وقال في «المجمع»: وفيه عبد الله بن يعقوب الكرمانى وهو ضعيف.

مضيعون لأن كلمتهم ليست واحدة، لأنهم ليسوا صفًا واحدًا، كالبنيان المرصوص، لأنهم أمة لا يسعف بعضهم بعضًا، ولا يشد بعضهم أزر بعض، بل أسلم بعضهم بعضًا، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه...»<sup>(37)</sup> لا يسلمه: أي لا يسلم فيه ... لا يخذله، لا يتخلى عنه، بل ينصره ويقويه ويقف إلى جنبه في السراء والضراء.

منذ أيام زارني إخوة من «أوغندا» وقالوا: نحن نقارب النصف من سكان «أوغندا» - أكثر من خمسة ملايين من اثني عشر مليونًا - ومع هذا ليس لنا قيادة، ليس لنا أي وضع سياسي أو تشريعي، أكثر من أربعين وزيرًا وليس لنا لا وزير ولا نائب وزير، المجلس التشريعي فيه مائة وثمانون، ليس لنا فيه إلا اثنان فقط، أملاكنا تؤخذ وتنهب، حتى الأوقاف ... حتى المساجد استولوا عليها، ولم يتكلم أحد من المسلمين.

هناك تعقيم إعلامي رهيب علينا، فلا يعلم بنا أحد، ولا يحس بنا أحد.

هناك إبادة مستترة للمسلمين.

بعد «عيدي أمين» يباد المسلمون في أوغندا.

عيدي أمين الذي حاولت الصحافة العالمية والإعلام العالمي أن يشنعا عليه، وأن يضخما من هفواته، وأن يجعل منه كذا وكذا، حتى قضى عليه،

(37) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وتتمته: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». «رياض الصالحين» للنووي برقم (233).

وسكت المسلمون للأسف.

في الهند الآن مذابح ما بين فترة وأخرى تقام للمسلمين، المسلمون في الهند أقلية بالنسبة للأكثرية الهندوسية، ولكن هذه الأقلية تقارب مسلمي العالم العربي، أكثر من مائة وخمسين مليون مسلم في الهند، لهم أرضهم، ولهم ديارهم، ولهم مساجدهم، ولهم مدارسهم، ولهم حضارتهم التي بقيت آثارها إلى اليوم، ومع هذا تأبى الأحزاب الهندوسية المتعصبة إلا أن تقيم مذبحه ما بين حين وآخر، ولا يتكلم أحد، ولا يحتج أحد، لم هذا؟ ولحساب من هذا الصمت المريب؟

أصبح الدم الإسلامي هو أرخص دم على الأرض.

الهندوس لا يستبيحون قتل البعوض، لكنهم يستبيحون قتل المسلمين!!

كنا في الهند فلم نجد في الفنادق أي مبيد للناموس والبعوض والذباب لماذا؟ لأن هذه الحشرات لها أرواح، ولا يجوز أن يقتلوا ذا روح، لا يقتلون البعوض ولا الذباب ولا الفئران، يتركون الفئران تأكل القمح بملايين الأطنان، حتى إن بعض أعضاء الشيوخ في الكونجرس الأمريكي قال: لا يجوز أن نصدر القمح أو نعطي القمح معونة للهند، لأنها تترك مختارة الفئران لتأكل محصولاتها ...

لماذا لا يقتلون الفئران؟ لأن الفئران ذات روح، ولا يجوز قتل ذي روح. وذو الروح الوحيدة الذي يجوز قتله، بل يستحب قتله، بل يجب قتله: هو المسلم!!

انظروا: المسلمون وحدهم مستباحوا الدماء في كل مكان، لماذا؟ لأن أحدًا



لا يتكلم لا يقول: يا ناس استحووا ... اختشوا، هؤلاء لهم حريرتهم ... هؤلاء وراءهم ألف مليون في العالم.

فيا مسلمون تنبهوا من غفلتكم، واسألوا عن إخوانكم، وادعوا الله لهم على الأقل، كونوا معهم بمشاعركم، من كان يستطيع أن ينفع هؤلاء ... أن يكتب كلمة في صحيفة أو مجلة أو غير ذلك، فلينفعهم.

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم طهر أقوالنا من اللغو وطهر أعمالنا من العبث، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من الغش، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر أفعالنا من الرياء.

اللهم اجمع بين المسلمين على الهدى، وقولوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم إنا نسأل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين، وأيد إخواننا المضطهدين في كل مكان.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

اللهم آمين، وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

وأقم الصلاة.

\* \* \*

## 3- الصلاة عمود الدين

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا في الخطبة الماضية عن رسالة المسجد، وتحدثت في هذه الخطبة عن الصلاة.

الصلاة عمود الدين، ومفتاح الجنة، ودليل الإيمان، والفيصل بين الإسلام والكفر، وهكذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»<sup>(38)</sup>، «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»<sup>(39)</sup>.

حينما دعا إبراهيم ربه، دعاه أن يجعل أبنائه من مقيمي الصلاة: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي} [إبراهيم: 40].

وحينما أثنى الله على إسماعيل قال: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: 55].

وحينما خاطب الله موسى في لحظات الوحي الأولى قال له: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ 13 إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}

(38) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (198/1) برقم (278).

(39) رواه أحمد، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال: صحيح، ولا نعرف له علة، ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (198/1) برقم (279).

[طه: 13، 14].

وحيثما أنطق الله كلمته عيسى ابن مريم في المهد صبيًا، كان أول ما قال:  
 { ... إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا 30 وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ  
 وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } [مريم: 30، 31].

ولما وصى لقمان الحكيم ابنه كان من أهم ما أوصاه به: {يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ  
 وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}  
 [لقمان: 17].

الصلاة، هذه منزلتها في كل دين من الأديان، وفي الإسلام خاصة.

كانت الصلاة أول ما فرض من العبادات، فرضت في مكة، وفرضت  
 بصورة لم تفرض عبادة بمثل هذه الصورة. فرضت العبادات كلها في  
 الأرض، وفرضت الصلاة وحدها في السماء، بخطاب مباشر من الله لنبيه  
 محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج، فهي بقية هذه الذكرى،  
 هي معراج كل مؤمن إلى الله تعالى.  
 هذه هي الصلاة، وهذه أهميتها.

ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم يومَ فقال: «من حافظ عليها كانت له  
 نورًا، وبرهاتًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا  
 برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن  
 خلف»<sup>(40)</sup>.

(40) رواه أحمد بإسناد جيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والطبراني في

قال ابن القيم رحمه الله<sup>(41)</sup>: من شغله عن الصلاة ملكه حشر مع فرعون، ومن شغله عن الصلاة منصبه حشر مع هامان، ومن شغله عن الصلاة كنوزه وثروته حشر مع قارون، ومن شغله عن الصلاة تجارته حشر مع أبي بن خلف.

ولا عذر لتارك الصلاة، أينما كان الإنسان مشرقاً أو مغرباً، في سفر أو في حضر، في صحة أو في مرض، فعليه أن يقيم الصلاة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»<sup>(42)</sup>.

لا تسقط الصلاة إلا عن فقد الوعي ولم يفهم الخطاب، أما مادام واعياً مميزاً - ولو كان على سرير المرض لا يستطيع أن يتحرك يمينه ولا يسره - فعليه أن يصلي. يصلي بالأيام مومياً برأسه، أو مشيراً بحاجبيه محرگاً لسانه، كيف استطاع.

الصلاة لا تسقط عن إنسان أبداً مادام واعياً، ولو كان في معمة الحرب، ولو كان في قلب المعركة، يقاتل بالسيف أو بالمدفع، راكباً أو ماشياً، يقول الله تعالى: {حُفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} 238 فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا... {البقرة: 238، 239} أي: فصلوا راجلين أو راكبين، ولو

«الكبير والأوسط»، وابن حبان في «صحيحه»، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات، وقال الشيخ شاکر: إسناده صحيح. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (199/1) برقم (283).

(41) ابن القيم الجوزية في كتاب «الصلاة حكم تاريخها» (ص 21).

(42) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. «فيض القدير» للمناوي (198/4)، برقم (5008).

كنت على قدميك تضرب بالسيف أو بالقبلة، أو كنت راكباً جواداً أو مدرعة أو دبابة أو طائرة، صل وأنت على هذه الحالة، ولو لم تستقبل القبلة، ففي مثل هذا يقول القرآن: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ...} [البقرة: 115] بلا ركوع وبلا سجود وبلا قيام، هذه الأركان كلها تسقط عند هذه الضرورة.

صل بوضوء وطهارة، فإن لم تجد ماء أو لم تقدر على استعماله فصل بتيمم، فإن لم تجد فصل صلاة فاقد الطهورين {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16].

هناك في الإسلام صلاة تسمى «صلاة الحرب» أو «صلاة الخوف»، حينما يواجه المقاتلون المسلمون العدو لا يكون القتال عذراً لهم، ينقسمون قسمين: قسم يواجه العدو، وطائفة تصلي، ثم تذهب مكان تلك، يصلون ويحافظون حتى على صلاة الجماعة، وعلى صلاة الجماعة خلف إمام واحد. انظروا إلى هذا: جماعة واحدة وخلف إمام واحد!! أي حرص على الصلاة وخصوصاً في جماعة أكثر من هذا؟! يقول الله تعالى في سورة النساء: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّةً} [النساء: 102].

هكذا يعلمنا الإسلام الحرص على الصلاة في أشد المواقف حرجاً.

فماذا يكون الحال حين نرى مسلمين يسمون باسم محمد وأحمد ومحمود

وحسن وحسين وعبد الله، ولكنهم لا يصلون ولا يعرفون المساجد، يبلغ أحدهم الثلاثين والأربعين والخمسين وربما أكثر، ولم ينحن يوماً لله راعياً، ولا عفر جبهته يوماً لله ساجداً، ويسمى هؤلاء مسلمين، ويحسبون على الألف مليون - أو أكثر - من المسلمين!!

أين إسلام هؤلاء؟

إن اللقمة التي يأكلونها تلعنهم، لأنهم يأكلون نعمة الله ولا يؤدون شكرها.

كيف بهؤلاء إذا دخلوا سقر، وسألهم أصحاب اليمين: ما سلككم في سقر أيها المجرمون؟ {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً 38 إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ 39 فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ 40 عَنِ الْمُجْرِمِينَ 41 مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ 42 قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ 43 وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ...} [المدثر: 38 - 44].

ما حكم هؤلاء عند علماء المسلمين؟

أما من كان جاحداً للصلاة ... جاحداً لفريضتها، فهو كافر بالإجماع، لأن شأنه شأن المشركين الذين وصفهم الله بقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: 48].

إذا كان مستخفاً بالصلاة مستهزئاً بها، ساخراً من أصحابها، فهذا كافر مارق مرتد ولا شك، وهو مثل الذين قال تعالى فيهم: {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة: 58].

أما من تركها عمداً كسلاً، فهذا هو الذي اختلف فيه أئمة المسلمين:

1- قال الإمام أحمد - في رواية شهيرة له - وإسحاق بن راهويه وعدد من

الصحابة والتابعين: بأنه كافر ليس بمسلم، مادام لا يصلي، ولا يؤدي حق الله تعالى بأداء هذه الفريضة. روى ذلك عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ظاهر الأحاديث التي جعلت الفاصل بين المسلم والكافر: ترك الصلاة.

2- وهناك مذهب الشافعي ومالك: أن تارك الصلاة عاص فاسق، يخشى عليه أن يختم له بالكفر، والعياذ بالله، إذا استمر على هذا، لأنه يرتكب أكبر الكبائر في الإسلام، بترك حق الله تعالى، ومن داوم على هذا التارك يخشى أن يملأ السواد قلبه، فيموت على غير الإسلام، ما لم يتب الله تعالى عليه. وهو يستحق القتل عندهما، حدًا لا كفرًا، كما هو عند أحمد ومن وافقه.

3- وقال أبو حنيفة: هو فاسق آثم، ويجب أن يؤدب ويضرب ضربًا موجعًا، ويحبس حتى يصلي.  
وهذا أخف المذاهب.

أخف المذاهب في تارك الصلاة كسلًا: أنه فاسق، و﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ...﴾ [الحجرات: 11]، ﴿أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18].

هذا هو شأن تارك الصلاة.

ولهذا لم يصف الله المؤمنين بأنهم يؤدون الصلاة، أو أنهم للصلاة فاعلون، فهذا أمر مفروغ منه، ولكنه وصف المؤمنين المفلحين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ 1 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1، 2]. وختم هذه



الأوصاف بقوله: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المؤمنون: 9].

بدأ أوصاف المؤمنين بالخشوع في الصلاة، وختمها بالمحافظة على الصلاة، دليلاً على أهمية هذه الفريضة في حياة المسلمين.

إن على المؤمن أن يحافظ على هذه الفريضة، فيؤديها كما ينبغي أن تكون، في أوقاتها، قبل أن تفوته، فيكون له الويل الذي توعد الله به المتشاغلين عن الصلاة في كتابه: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ 4 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 4، 5]، جاء في الأثر: «إنهم يتلهون ويتشاغلون بأعمالهم الدنيوية حتى يفوت وقت الصلاة» أي: إنهم يصلون، ولكنهم يصلون الصلاة بعد وقتها.

فما بالكم بمن لا يصلي؟! ما بالكم بتارك الصلاة؟!

جاء في الأحاديث: إن في القبر عذاباً، وأن من أشد أسباب عذاب القبر عدم العناية بالطهارة للصلاة ... عدم الاستبراء أو الاستنزاه من البول.

مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين يعذب صاحباهما، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»<sup>(43)</sup> أي لا يهتم بأمر الطهارة. معنى هذا أنه يصلي ولكنه أهمل في شرط من شروط الصلاة، فكيف بمن لا يصلي أبداً؟

(43) رواه البخاري، وهذا أحد ألفاظه، ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن ابن عباس رضي الله عنهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (141/1) برقم (104).

لهذا كانت هناك مسؤولية، مسؤولية كل إنسان عن غيره، مسؤولية الزوج عن زوجته: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسُوكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132].

سئل الإمام أحمد عن الزوجة إذا كانت تاركة للصلاة، ماذا يصنع زوجها؟ قال: أخشى أن لا يحل له المقام مع امرأة لا تصلي لله.

وإن كان الذي أراه اليوم: أن كثيراً من الزوجات والسيدات يشتكين من أزواج لا يعرفون الله تعالى مصليين، ولا راكعين، أو ساجدين.

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ} [طه: 132]: أمر أبناءك وبناتك بالصلاة، عودهم عليها من الصغر، فإن الخير عادة وإن الشر عادة، حتى ينشأوا على الخير وعلى حب الصلاة، ولهذا جاء في الحديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»<sup>(44)</sup> أي: مروهم بالصلاة: وهم أبناء سبع سنين، واستمروا على هذا الأمر والترغيب والترهيب مدة ثلاث سنين، من تكاسل بعد ذلك فمن حق الأب بل من واجبه أن يضربه، ضرباً لا يجرح ولا يكسر، والضرب هنا إشعار بأهمية الأمر، وأنه ليس مجرد كلمة تقال، ثم يدع الولد وحبله على غاربه، لا يبالي أنفذ أمره أم لم ينفذه.

كيف يصنع الوالد لو أمر ابنه بشيء من أمور الدنيا فضرب بكلام أبيه

(44) رواه أحمد، وأبو داود والحاكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال النووي بعد عزوه لأبي داود: إسناده حسن. وتمامه: «وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجبره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة». انظر: «فيض القدير» للمناوي (521/5) برقم (8174) و«رياض الصالحين» للنووي برقم (301).

عرض الحائط؟ ماذا يفعل؟ أيقبل أن يفعل ابنه معه مثل هذا وأن يقف مثل هذا الموقف؟ فكذلك في أمور الدين.

بعض الآباء كل ما يهمله من أمر ابنه أن يذهب به إلى المدرسة، وأن يوفر له حاجاته المادية، وأن يعطيه من النقود ما لعله أكثر من حاجته، وقد يهيئ له سيارة يركبها، ولا يبالي بعد ذلك أصلى أم لم يصل؟ أكان مستقيماً على أمر الدين أم منحرفاً عنه؟

ماذا يفيدك أن يحمل ابنك أرقى الشهادات ويتسم أعلى الدرجات، ثم يكون بعد ذلك مصيره إلى النار وبئس القرار؟

أتحب أن يكوى ولدك وقلدة كبك في النار؟ والله جج يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحریم: 6].

المجتمع مسؤول عن تاركي الصلاة.

الصلاة لا بد أن نحافظ عليها، وأن نأمر غيرنا بالمحافظة عليها، وأن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف.

إذا جاءك من يشاركك في تجارة فلا بد أن تسأل: أهو من أهل الصلاة أم

لا؟

إذا كان عندك ابنة، وجاء من يخطبها، فاسأل: أهو من أهل الصلاة أم لا؟

كان السلف الصالح يسمون الصلاة «الميزان»، بها يزنون الرجال، والأشخاص، فإذا أرادوا أن يسألوا عن دين رجل وعن أخلاقه وعن سيرته، سألوا أول ما يسألون عن صلاته: هل يعرفه أهل المسجد؟ هل يقوم لله تعالى

في الصباح الباكر؟ هل يحرص على الجماعة؟ هل هو من الخاشعين في الصلاة؟ هل هو؟ هل هو؟

ولو أننا فعلنا ذلك مع من يناسبنا أو يشاركنا أو يصاهرنا أو يعمل عندنا، لحاصرنا تاركي الصلاة حصارًا، اجتماعيًا أدبيًا، وأجبرناهم على أن يحترموا شعائر المسلمين، ولكن أحدنا لا يبالي.

حيا الله البنات الصالحات في هذا البلد، اللاتي عرفت بعضهن وقد رفضن من يتقدم لهن وهو تارك للصلاة، وقالت إحداهن لمن خطبها: والله لا أتزوجك إلا إذا عاهدتني أمام الله وأمام الناس عهدًا لا رجعة فيه أن تصلي ولا تترك الصلاة.

لا بد أن نعني بأمر الصلاة، الصلاة هي الفريضة الأولى، هي الصلة الأولى بين العبد وربّه، فلا ينبغي أبدًا أن نهملها.

لقد كان هذا المجتمع كله، من أوله إلى آخره، محافظًا على الصلاة، ثم جاءت سموم العدوى من هنا وهناك، فإذا بنا نرى كثيرًا من الشباب لا يعرفون المسجد، ولا يعرفون الصلاة، ورأينا بعض الناس لا يعرفون المسجد إلا في رمضان، ورأينا آخرين لا يعرفون الصلاة إلا يوم الجمعة، والصلاة فرضها الله خمس مرات في كل يوم وليلة.

لا بد أن نحرص على هذه الفريضة.

كان الناس قبل أن تأتي الوسائل الحديثة والأجهزة الإعلامية ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين، منذ أكثر من عشرين سنة حينما قدمنا إلى هذا

البلد<sup>(45)</sup> كانت المحلات التجارية تغلق أبوابها قبيل أذان المغرب، وكان الناس ينامون بعد صلاة العشاء، ثم تدب الحركة قبيل الفجر فتمتلئ المساجد، ويذهب الناس صاحين باكرين إلى أعمالهم، يلتمسون البركة في البكور، يلتمسون بركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»<sup>(46)</sup>، يتلقون الصباح طاهراً طهوراً، قبل أن تلوثة أنفاس العصاة، وينطلقون إلى أعمالهم مباركين ميمونين.

أما اليوم وقد أصبح الناس يسهرون على الأفلام والمسلسلات والتمثليات والمسرحيات، وغير ذلك من السهرات، ما حل منها وما حرم، ثم ينامون فلا يستيقظون إلا بعد طلوع الشمس بوقت طويل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حينما ذكر له رجل نام ليلة حتى أصبح - أي طلع عليه الصباح - «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال: في أذنه»<sup>(47)</sup>. يقول الحسن: إن بوله

(45) كان ذلك سنة 1961 وما بعدها حينما أعير الشيخ القرضاوي ظظظ إلى دولة قطر، مديراً لمعهدا الديني الثانوي.

(46) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والدارمي، كلهم من حديث يعلى بن عطاء، عن عمارة بن حديد، عن صخر الغامدي، والحديث روي بأسانيد كلها ضعاف، ولكنه حسن كما قال الترمذي أو صحيح بشواهده، وقد اعتنى الحافظ المنذري بجميع طرقه فلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفساً. انظر: «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (20/11 - 21) برقم (2673) و«فيض القدير» للمناوي (103/2 - 104) برقم (1457).

(47) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه وقال: «في أذنيه» على التثنية من غير شك، عن ابن مسعود، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة، وقال، «في أذنه» على الأفراد من غير شك، وزاد في آخره: قال الحسن: إن بوله والله ثقيل، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وانظر تعليق الشيخ القرضاوي على الحديث في كتابه: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (223/1 - 224) برقم (331).

والله ثقيل! وما أكثر الذين أصبحت آذانهم مبالول للشيطان في عصرنا!! يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟! كيف يرزق؟! كيف يرزق وقد أضاع الأوقات المباركة؟ وهي أبرك ما تكون في البلاد الحارة.

يا أيها الأخوة:

إن علينا أن نحرص على الصلاة. الصلاة قوة، قوة للروح، قوة للبدن، قوة للإدراك، قوة للخلق... قوة للمجتمع... قوة في كل شيء، هي قوة روحية لأنها تصلك بالله تعالى، تدخل إلى الله بغير باب، وتقف بين يديه بلا حجاب، وتكلمه بلا ترجمان، وتناجيه فتناجي قريباً غير بعيد، ونستعين به فتستعين بعزيز غير ذليل، وتسأله فتسأل كريماً غير بخيل، تشف روحك، وتصفو نفسك بين يديه، حتى لتكاد تسمع قول الله تعالى في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} قال: مجدني عبدي - أي عظمي - فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل، فإذا قال: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قال: هذا لعبدني ولعبدني ما سأل»<sup>(48)</sup>.

(48) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الصلاة من «صحيحه»، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (4/101 -

هذه المناجاة بين الله وبين عبده، هذه الشفافية الروحية شحنه تعطى للإنسان المسلم كلما دخل الصلاة، ولذلك كانت الصلاة مدداً في معركة الحياة مع المتاعب والآلام.

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، كان يجد في الصلاة قرة عينه ومسرة قلبه، ويقول: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»<sup>(49)</sup>. وينتظر وقتها بلهفة حتى إذا جاء قال: «أرحنا بها يا بلال»<sup>(50)</sup> إنها راحة النفس، إنها روح وريحان فأين هذا ممن يقوم إلى الصلاة ولسان حاله يقول: أرحنا منها؟!

فرق بين من يستريح بها ومن يستريح منها.

إن الله تعالى وصف المنافقين بقوله: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كُرْهُونَ} [التوبة: 54]، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142].

هذا هو شأن المنافقين، أي أنهم يصلون، ولكنهم لا ينهضون إليها بقوة ونشاط ومحبة، إنها عبء يريدون أن يتخلصوا منه.

ماذا نقول في منافقي اليوم، الذين لا يقومون إلى الصلاة لا نشطين ولا كسالى؟ ماذا نقول في منافقي هذا العصر الذين لا يذكرون الله لا قليلاً ولا

(102).

(49) رواه النسائي وأحمد عن أنس النسائي (3680/3681)، وصححه الألباني، أحمد (ج3/128/199)، وحسن الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده.  
(50) رواه أحمد عن رجل من أسلم (ج5) (371/364).

كثيراً؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أيها الإخوة:

الصلاة، هي آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت، كان يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»<sup>(51)</sup>.

هذه هي الصلاة:

الصلاة الإسلامية امتازت عن كل صلاة في الأديان الأخرى لأنها تمثل كل مظاهر التعظيم لله تعالى: فيها القيام، فيها التلاوة لكلام الله تعالى، فيها التسبيح، فيها التهليل، فيها التكبير، فيها الركوع، فيها السجود، و«أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد»<sup>(52)</sup>.

ثم إن الإسلام قد أحاطها بأشياء، لم تحط به العبادات والصلوات في الأديان الأخرى، فهي صلاة جماعية، وهي صلاة بأذان، إذا جاء الوقت لا يصيح بوق، ولا يجلجل جرس أو ناقوس، ولا تشتعل نار، كما كان ذلك في ديانات سابقة، وإنما يؤذن مؤذن بكلام يهز القلوب، بكلام يشرح الصدور، بكلام تعرفه العقول:

الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الفلاح.

(51) رواه ابن ماجه عن أم سلمة برقم (1625)، وفي «الزوائد»: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (ج7 ص 205).

(52) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وتاممه: «فأكثرُوا الدعاء» أي أكثرُوا من الدعاء في حالة السجود. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» برقم (193، 923).



أين هذا من جلجلة جرس وناقوس يصكك الأسماع، ولا يعرف ما فحواه،  
جماد أصم يصكك أسماع الناس!

صلاة الجماعة تربية اجتماعية، تعلم الطاعة والنظام والجنديّة والاستجابة  
السريعة للنداء، لا يدفع المسلم عن إقامة الصلاة وقدة الحر، ولا شدة البرد،  
إذا سمع نداء الله هرع إليه وقام من نومه، فالصلاة خير من النوم، يسبغ  
الوضوء على المكاره<sup>(53)</sup>، ولا يبالي في سبيل دينه بشيء أبداً.

رأى أحد قواد الفرس المسلمين - في عهد عمر - رضي الله عنه في أحد  
الجيوش - يقفون صفوفًا يصلون، لا فرجة، لا خلل لا عوج في الصف،  
المنكب إلى المنكب، والقدم إلى القدم، إذا ركع الإمام ركعوا، وإذا سجد  
سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، فنظر إليهم وقال في غيظ وكمد: أكل كبدي ابن  
الخطاب، أكل كبدي ابن الخطاب، لقد علم هؤلاء البداة مكارم الأخلاق.

وما علمهم ابن الخطاب، إنما الذي علمهم وعلم ابن الخطاب معهم وقبلهم  
هو «الإسلام» و«رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم».

هذه هي الصلاة التي ينبغي أن نحرص عليها لتكون لنا مددًا وتكون لنا

(53) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مالك، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بمعناه، ورواه ابن ماجه أيضًا، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري، والمقصود بالمكاره: ما يكرهه الإنسان ويشق عليه مثل شدة البرد في الشتاء ونحوه، وإسباغه: إتمامه وإكماله. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (147/1) برقم (121).

قوة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم،  
وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حدثتكم في الأسبوع الماضي عن إخواننا في «أسام» في الهند، وعن  
إخواننا في أوغندا. وإني لأحبي صحيفة «الرؤية» التي استجابت لدعوتنا في  
الأسبوع الماضي، حين قلنا: هل من جهاز إعلامي، هل من صحيفة، هل من  
أحد يتحدث عن هؤلاء الناس؟

فتحدث عنهم الصحيفة، فجزى الله كل من قال كلمة حق في هذا الأمر  
خيرًا.

حدثتكم في الأسبوع الماضي - أيها الأخوة - عن إخواننا في أوغندا، عن  
الملايين الخمسة - أو أكثر - في هذا البلد الإفريقي، الذين اضطروهم الطغيان  
- الذي دخل عليهم من بلد مجاور - أن يلجأوا إلى الغابات ليعيشوا فيها سنين،  
يأكلون أوراق الشجر، وتتمزق ملابسهم حتى يظلوا عراة لا يستترهم شيء.  
من كان عنده ثوب استعاره من أخيه وقت الصلاة ليصلي فيه ثم يعيده إليه.

ظلوا مختفين مدة من الزمن، ثم عادوا وهم مقهورون، لا يسأل عنهم أحد،  
ولا يتحدث عنهم أحد، أخذت مساجدهم، أخذت أوقافهم.

عندنا هنا أخوان في جامعة قطر في منحة قصيرة، يقولان: إنا لا نجد الكتاب الذي نعلمه لأولادنا، لا نجد كراسة نعلم فيها الأولاد الكتب والكراريس تأتي من أمريكا وأوروبا بالملايين، وكل ما يطلبونه منا أن نقبل المسيحية وتتدفق علينا الكتب والكراريس والمعونات.

أين نحن المسلمين؟ إنهم يطلبون منا شيئاً بسيطاً يقولون ألا يوجد من ينشئ لنا مطبعة - أو يشتري لنا مطبعة - نطبع فيها بعض الكتب أو بعض النشرات، أو حتى الكراريس للأولاد؟ ألا يوجد من أغنياء المسلمين - وما أكثرهم - من يتبنى مشروعاً كهذا بمائة ألف - أو مائتي ألف - دولار؟ ما أكثر الأموال التي تنفق بغير حساب هنا وهناك. ألا يستطيع أحد أن يمد يده لهؤلاء؟

وإن مؤتمر المبشرين البرتستاننت الأمريكان وحدهم، قد اجتمع سنة 1978م في مدينة «كولورادو»، وحضره أكثر من مائة وخمسين مبشراً، وقرروا أن يعملوا على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك «ألف مليون دولار»!!

هل نعجز نحن عن رصد ألف مليون دولار؟ والله لا نعجز لو أردنا وصممنا، منذ يومين كان يكلمني إنسان هنا في قطر وقال: إذا كان لي مائة مليون دولار في البنوك الأجنبية، وأصبح لها فوائد تساوي هذا المبلغ أو تقاربه فماذا أفعل فيه؟

هناك إذن ملايين، هناك عشرات الملايين، هناك مئات الملايين، فأين هؤلاء؟ لماذا لا يمدون اليد إلى إخوانهم الذين يشكون ولا يجدون؟

المسلمون فيهم أغنياء، المسلمون عندهم أموال، المسلمون عندهم قوة، ولكنهم لا يخططون ولا ينظمون ولا ينسقون ولا يتعاونون، ليسوا يداً واحدة كما أمرهم الله، وإنما هم فئات شتى كما أراد لهم الشيطان وأراد لهم الاستعمار.

متى تتحد كلمة المسلمين لمواجهة الباطل؟ متى يقفون صفاً واحدة كالبنيان يشد بعضهم بعضاً؟

نسأل الله عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعدائه هي السفلى.

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

وصل على عبدك ونبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

عباد الله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]. وأقم الصلاة.

\* \* \*

## 4- عاطفة الحب

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

طلب إلي بعض الشباب أن أحدثكم عن العلاقات العاطفية، قلت له: وماذا تعني بالعلاقة العاطفية؟ أي عاطفة تعني؟ قال: عاطفة الحب، وهل هناك عاطفة غيرها؟ قلت: وأي حب تعني؟ قال: حب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل، وهل هناك حب غير ذلك؟ قلت: هنا الخطأ. إن الإنسان ليس عاطفة فحسب، الكيان الإنساني مكون من مجموعة أشياء: من الجسم ومتطلباته، من العقل وآفاقه، من الروح وأشواقه، من العاطفة وتطلعاتها، من الإرادة وما تتجه إليه، كل هذه النواحي تنشئ الكينونة الإنسانية.

الإنسان ليس عاطفة فحسب، والعاطفة ليست هي الحب وحده، الإنسان يحب ويكره، ويرضى ويسخط، ويفرح ويحزن، كل هذه عواطف، فلماذا قصرنا العاطفة على الحب؟

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحب، فلماذا نقصر الحب على حب الرجل للمرأة والمرأة للرجل؟ ولماذا نقصر حب الرجل للمرأة أو المرأة للرجل على حب الرجل الأجنبي من المرأة، أو المرأة الأجنبية من الرجل؟ هذا كله خطأ وانحراف في الاتجاه.

إن الله فطر الإنسان على أن يحب وأن يُحِب، ولكن لماذا يحصر الحب في هذا المجال الضيق؟

أولى من ينبغي أن نحبه هو الله تعالى.

أعظم أنواع الحب وأرقاها وأخلدها وأبقاها هو حب الله.

الإنسان يحب الجمال، واي جمال أجمل من ذي الجمال والجلال ... من الله تعالى؟ هو واهب الجمال، وهو مصدر الجمال، وهو جميل يحب الجمال. الإنسان يحب الكمال، ولذلك يحب الناس العباقرة والنوابغ والأبطال، وأي كمال يداني كمال الله عز وجل؟ وكل كمال في البشر نقص، الذي تنزهه عن كل نقص واتصف بكل كمال هو الله تعالى.

الإنسان يحب الإحسان، وهو أسير الإحسان، وجبلت النفوس على حب من أحسن إليها، فهل هناك من أحسن إلينا أعظم من الله تعالى؟ إن كل النعم منه: {وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: 53] ما ننعم به في حياتنا، في داخلنا وفي خارجنا، ما يغمرنا من رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا، هو من نعم الله تعالى: {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا} [إبراهيم: 34].

أفلا يستحق الله تعالى أن نحبه؟

لماذا لا نحبه الله؟

لماذا لا يشغل حب الله أنفسنا وعقولنا وقلوبنا؟

لماذا ينسى الناس حب الله تعالى؟

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165]. هؤلاء المؤمنون الذين يقدمون حب الله على كل شيء، يعمر هذا الحب أفئدتهم، ويملاً ما بين جنوبهم، فهم يحيون به ويموتون

عليه. وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: 54].

كانت رابعة العدوية تقول حينما ينام الناس ويأوون إلى فرشهم: قد جاء الليل، وأوى كل حبيب إلى حبيبه، وهذا يا رب أوان خلوتي بك، وأنسى إليك. هذا هو شعور من يحب الله.

وكانت تقول:

حبيبي لا يعادله حبيب وما لسواه في قلبي نصيب  
حبيب غاب عن بصري ولكن في فؤادي لا يغيب  
الله حاضر معها {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: 4]، فهي تنظر في نفسها وتنظر في الأفاق من حولها، في السماء فوقها وفي الأرض تحتها، وفي كل ما حولها ومن حولها، فتجد آثار نعمة الله، وآثار فضل الله، وآثار قدرة الله، وآثار رحمة الله، فكيف لا يمتلئ قلبها حباً لله تعالى؟

حب الله، هذا هو المصدر الأول، وهذه هي الوجهة الأولى، لمن يريد أن يستخدم هذه العاطفة في محلها.

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هدانا الله به، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وعلمنا به من جهالة، وهدانا به من ضلالة، به عرفنا الصراط المستقيم، به أصبحنا خير أمة أخرجت للناس.

لهذا كان واجباً على كل مؤمن أن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده



ووالده والناس أجمعين»<sup>(54)</sup>، وهكذا أحبه الصحابة رضي الله عنهم، حتى أن خبيباً رضي الله عنه حينما صلبوه - رفعوه على خشبة ليصلب - أرادوا أن يختبروه، وقال له قائل من المشركين: أتحب أن يكون محمد في مكانك وأنت في بيتك وأهلك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه، فقال أبو سفيان - وكان مشركاً في ذلك الوقت - ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، وقد قتلوه وهو ينشد:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله  
ولما حضر أحد الصحابة الوفاة - بعد النبي صلى الله عليه وسلم قالت  
ابنته: واحزنه. قال: وهو يحتضر - : لا تقولي واحزنه، ولكن قولي:  
«وافرحاه» غداً ألقى الأحبة، محمداً وصحبه.

وثوبان مولاة صلى الله عليه وسلم أصابه تغير وذبول، فسأله عليه الصلاة والسلام: «ماذا بك يا ثوبان؟»، قال: تذكرت يا رسول الله أمري وأمرك في الآخرة، في الدنيا لا أطيق فراقك وإذا غبت عني حننت إليك واشتقت إليك، فذكرت الآخرة حينما تكون في الدرجات العلى ونحن في درجات المؤمنين إن شاء الله، كيف لي أن أصبر عنك؟ فكان الجواب في قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

(54) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي، وابن ماجه ورجاله ثقات، عن أنس بن مالك

رضي الله عنه. «فيض القدير» للمناوي (441/6) برقم (9939).

(55) قضية مذكورة في «الصحيح». وانظر «الإصابة» (ج 1) ترجمة (2222) و

«الاستيعاب» لابن عبد البر على هامش الإصابة (ج 1 ص 429 - 433).

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69]، ولذلك قال له: «أبشر فإن المرء مع من أحب»<sup>(56)</sup>.

وجاء رجل يقول يا رسول الله، يا نبي الله متى الساعة؟ فقال «ما أعددت لها؟» «بذل أن تسأل عن الساعة اسأل نفسك: ماذا هيأت للساعة لتستقبلها»، فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، فقال له: «أنت مع من أحببت»<sup>(57)</sup> وفي حديث آخر: «المرء مع من أحب»<sup>(58)</sup> فما فرح الصحابة بشيء فرحهم بهذا الحديث: «المرء مع من أحب» وكلهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه هي التطلعات العليا التي شغلوا أنفسهم بها، ولهذا لم يباليوا أن يدعوا كل شيء يحرص عليه الناس في دنياهم من أجل حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي غزوة أحد كان حنظلة في الليالي الأولى من زواجه، وسمع النداء بالمعركة فبادر بالاستجابة دون أن يغتسل وكان جنبًا، أراد أن يلحق بالمؤمنين وأن لا تفوته الفرصة، فلم يسعه الوقت للاغتسال. وشاء الله أن يكتب له الشهادة في هذه المعركة، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقصته الصحابة، وقال لهم: إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة. ولهذا عرف في السير والمغازي وفي كتب السنة بأنه: حنظلة غسيل الملائكة<sup>(59)</sup>.

(56) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود كتاب «الأدب» باب (96).

(57) متفق عليه من حديث أنس كما في «اللؤلؤ والمرجان» برقم (1963).

(58) متفق عليه عن أبي موسى «اللؤلؤ والمرجان» (1964).

(59) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر (ج 1) الترجمة رقم (1863).

في غزوة تبوك كان «أبو خيثمة» قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم، طواع نفسه الأمانة بالسوء، فجلس إلى نساءه وفي بيته، لأن الوقت كان وقت شدة حر، ووقت جنى الثمار، كانت ساعة العسرة، ولكنه ما إن رأى حوله الظل والماء والطعام والنساء قال: أبقى في هذه الرفاهية وهذا النعيم ورسول الله في الحر والريح؟ لا والله، لا أقرب واحدة منكن، ولا أدق طعاماً ولا شرباً حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولحق به، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى غباراً من بعيد فأدرك أن هذا أبو خيثمة، لأن مثله لا ينبغي أن يتخلف، فقال: «كن أبا خيثمة» فما إن وصل حتى كان هو أبا خيثمة رضي الله عنه<sup>(60)</sup>.

هذه هي النفسيات العالية التي تعيش في حب كبير، حب الله ورسوله وللجهاد في سبيله، أما إن كانت الدنيا وزخارفها ومتعلقاتها أحب من الله ورسوله والجهاد في سبيله، فهذا أمر آخر، أنذرنا الله سوء عاقبته حينما قال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

المؤمن الحق مشغول بحب الله وحب رسول الله وحب الجنة، إنه في شوق إلى ما عند الله عز وجل، إن حب الآخرة وحب الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد شغله عن كل شيء في هذه الدنيا، إنه يريد ما عند الله عز وجل: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

(60) انظر: «زاد المعاد» غزوة تبوك.

وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ  
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ 14 قُلْ أُوْتِينُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ «أي  
من النساء والبنين والقناطر المقنطرة وكل متاع هذه الدنيا» لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ  
رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ { [آل عمران: 14، 15].

هذا ما يتطلع إليه المؤمنون، هذا ما ترنو إليه أبصارهم وبصائرهم، هذا ما  
تفكر فيه عقولهم، هذا ما تهتم به عزائمهم، هذا ما تتوجه إليه قلوبهم، ولكن  
الناس في عصرنا - والشباب خاصة - شغلوا بغير ما شغل به خبيب بن  
عدي، وأسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب، والمهاجرون والأنصار والذين  
اتبعوهم بإحسان.

شغلهم الحب، وأي حب؟ إنه ليس حب الله ورسوله والجهاد في سبيله إنه  
حب المرأة في صورة معينة.

إذا كان ولا بد من حب المرأة، فلماذا لا يحب الإنسان أمه؟ ولماذا لا يحب  
زوجته؟ وإذا كان حب البشر مطلوباً، فلما لا يحب إخوانه المؤمنين؟

الحب فيه متسع: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(61)</sup>،  
«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو  
لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»<sup>(62)</sup>.

(61) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما، عن أنس رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب  
الترغيب والترهيب» (514/2) برقم (998) وهو من أحاديث «الأربعين النووية».  
(62) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «شرح السنة» للبخاري بتحقيق  
شعيب الأرنؤوط (258/12) برقم (3300).

محبة المؤمنين بعضهم لبعض في الله: أن تحب الله، تحب فلاناً لأنه يطيع الله، لأنه ينصر دين الله، لأنه يقول الحق، لأنه لا يخاف في الله لومة لائم، لأنه فعال للخير، مناع للشر. إذا أحببت إنساناً لهذا فأنت تحبه الله، لا لدنيا تصيبيها، ولا لشيء من أغراضها تناله، هذا الحب في الله أو الحب لله. ولهذا كان هو تمام الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(63)</sup>.

هذا هو الحب والكره، هذه هي العاطفة التي يريد الإسلام. يريد الإسلام من المسلم أن يطوع عواطفه وانفعالاته وميوله لحكم الله ولشريع الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(64)</sup>، أي: تصبح أهواؤه وميوله ومشاعره إسلامية محمدية قرآنية. هذا هو ما يراد من المسلم.

ليس معنى هذا أن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يحب من يستحق الحب من زوجة أو أبناء، لا، هذا مطلوب، ولكن للأسف الحب الذي يتحدثون عنه هو: حب المرأة التي ليست زوجة ولا أمّاً ولا بنتاً ولا أختاً، هذا الحب: الغرام

(63) رواه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (785/2 - 786)، برقم (1832).

(64) من أحاديث «الأربعين النووية»، قال النووي: حديث حسن صحيح روينا في كتاب «الحجة بإسناد صحيح». وقد بسط الكلام على هذا الحديث الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وضعف إسناده لضعف نعيم بن حماد المروزي. انظر «جامع العلوم والحكم»: (ص 521 - 525) ط. مكتبة دار التراث بالقاهرة.

... العشق، والذي تتفنن الحياة الحديثة في إشعال ناره، في الرمي له بالوقود المتأجج باستمرار: أغاني ... قصص ... صور ... أفلام ... مسلسلات، هذه كلها توجع النار، والنار موجودة وليست محتاجة إلى هذا كله.

إنه في الحقيقة ليس حباً، إنه شهوة، إنه ميل غريزي كامن وموجود.

لماذا هذا كله؟ لماذا نلح على هذه الغريزة هذا الإلحاح، وبهذه الأساليب الشديدة التأثير؟ حتى أصبح الشباب والشابات يعيشون في هذه الأباطيل، يعانون القلق، يعانون الاضطراب النفسي، من جراء التفكير المستمر، والسرحان، والتوهان، والمكالمات الهاتفية التي تطول.

لم هذا كله؟

قالوا: ربما يكون وراء زواج. ولكن هل يكون الزواج بهذه الطريقة؟!

إن الزواج الذي عرفه المسلمون له أبواب معروفة {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة: 189].

بدل أن تكلم الفتاة من خلف ظهر أهلها، اذهب إلى أهلها، إذ قبلك فيها، وإلا فلا تضع نفسك في مأزق لا تستطيع الخروج منه.

كم من المكالمات الهاتفية ومن الرسائل، تأتيني من فتيات شغلن أنفسهن بعلاقة عاطفية مع شاب معين، فلما تقدم لأهلها رفضوه.

لم إذن هذا العذاب؟

عرفنا وعرف المسلمون من قديم الزمان أن الشاب يتقدم لخطبة الفتاة، وينظر أهل الفتاة بالموازن الإسلامية في أمره ... في دينه وخلقه، وقدرته

على إحصانها، وإلى الموضوع من كل جانب، فإذا وافقوا عليه كان ذلك خيراً كثيراً.

وهنا نذكر أن هناك للأسف من الناس من لا يسمحون لخطب ابناتهم بمجرد النظر إليها، وهذا غلو ليس من الدين في شيء.

إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن خطب من الصحابة<sup>(65)</sup>: «هل نظرت إليها؟ قال: لا، قال: فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»<sup>(66)</sup> هنا أباح الإسلام النظر لأنه نظر لهدف، إنه يريد أن يتعرف عليها ليطمئن قلبه لها، ولعل هذه النظرة البريئة - التي تهدف إلى مشروع صالح وقيام أسرة مسلمة - تكون بداية لمحبة زوجية، فإن العين رسول القلب.

نحن للأسف دائماً نقع بين الإفراط والتفريط، فإما أناس لا يسمحون للخطب أن يرى مخطوبته بحال، ولا يراها إلا ليلية الزفاف، وإما أناس تركوا الحبل على الغارب، وأطلقوا العنان للشباب والشابة يذهبان معاً إلى النزعات، أو إلى السينما، أو الأماكن الخلوية، قبل عقد العقد، وهذا لا يجوز. لا يجوز أن يختلي الشاب بالشابة دون عقد بينهما، إلا أن يكون معهما أحد من أهل الفتاة.

الإسلام يريد إقامة أسر صالحة، ولا يريد من الإنسان المسلم أن يشغل

(65) هو المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(66) أخرجه الترمذي والنسائي، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، حسنه البغوي، وصححه ابن حبان، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (16/9 - 17) برقم (2247) وقوله: «يؤدم بينكما» أي: يكون بينكما المحبة والموافقة.

نفسه بما لا يجدي، ومن هنا أمرنا بغض الأبصار، أو الغض من الأبصار  
 {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
 بِمَا يَصْنَعُونَ 30 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا  
 يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور: 30، 31].

إنه يريد أن يسد الذرائع إلى الفجور، ومن ناحية أخرى يسد الذرائع إلى  
 القلق والاضطراب النفسي، الذي يعانیه من يعانیه، من أجل نظرة أدت إلى  
 تعلق قلبه بامرأة لا يستطيع أن يصل إليها، ولا يستطيع أن يتزوجها. لم هذا؟

الشاعر العربي يقول قديماً:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
 رأيت الذي لا كله أنت قادر ولا عن بعضه أنت صابر  
 لم هذا؟ لماذا يعرض الإنسان نفسه للقلق والاشتغال وإدخال نفسه في  
 مآزق لا يمكنه الخروج منها؟ ولماذا يعرض نفسه للفتنة أيضاً؟ وكما قال  
 الشاعر قديماً:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر  
 وقال الشاعر شوقي حديثاً:

نظرة فابتسامه فسلام فكلام فموعد فلقاء  
 الألف الشاعر تجر إلى الباء، والقليل يجر إلى الكثير، ولهذا سد الباب،  
 وغض من بصرك ولا تتبع النظرة النظرة، كما قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم لعلي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك



الآخرة»<sup>(67)</sup> خشية أن يفتن أو يشغل أو يقلق.

بعض الناس يقول: إنه حب، والحب لا دخل للإنسان فيه، هذا شيء يصنعه الله في القلب، والقلب ليس بيدي!

هذا صحيح، ولكن مقدماته في يدك، الأسباب في يدك، أنت الذي أوصلت نفسك إلى هذه المرحلة، ولهذا يقول الشاعر:

تعلق بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة فلما توغل فيها غرق

هو أغرق نفسه، وكان الأولى أن يبتعد، إن الذي نريده من شبابنا وشاباتنا: أن يدعوا هذه الترهات، أن يدعوا هذه الأباطيل، وأن يفكروا في مصيرهم ومستقبلهم، أن يفكروا في موقفهم بين يدي الله تعالى، أن يفكروا في أمر هذه الأمة، أن يهتموا بأمر المسلمين، أن ينشغلوا بما هو أعظم من هذا.

أما من شغل نفسه بهذه الأمور، من الشبان الذين يجلسون في الشوارع أو في الطرقات يلتهمون الغاديات والرائحات، فهؤلاء لن يربحوا في الدنيا، ولن يربحوا في الآخرة، وهل يقبل الإنسان لأحد ممن يغار عليه أن يكون كذلك؟ هل ترضى هذا لزوجتك أو أختك أو لابنتك أو لإحدى نوات محارمك؟

كان الشاعر الجاهلي الفارس عنتر بن شداد العبسي يقول:

(67) أخرجه أحمد وأبو داود، والترمذي، والحاكم من حديث بريدة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، وذكر شعيب الأرنؤوط أن له طريقاً آخر عند أحمد والدارمي عن علي رضي الله عنه فيتقوى الحديث به ويحسن. «شرح السنة» للبعوي تحقيق شعيب الأرنؤوط (23/9 - 24)، و «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (547/2) برقم (1088).

أغشى فتاة الحي عند حليلها وإذا غدا في الجيش لا أغشاها  
وأغض طرفي إن بدت لي حتى يوارى جرتي مأواها  
فعل ذلك من باب الشهامة والمروءة ومكارم الأخلاق.

يقول هذا وهو جاهلي، ونرى الناس في عصرنا أول من ينظر إليها ومن  
يريد أن يتطلع إليها هي امرأة جاره أو بنت جاره، وللجوار حرمة. الجار  
حارس على حرمت جاره، فكيف يكون هو اللص؟! إنه الراعي فكيف يكون  
هو الذئب؟!!

إن الإسلام يريد منا أن نوجه عواطفنا وجهة كريمة، يريد منا أن نوجه  
هذه العواطف ونتسامى بها إلى ما يحب الله ويرضى، يريد منا أن يكون  
كيوسف عليه السلام، وليس كامرأة العزيز.

امرأة العزيز شغفها فتاها - يوسف - حباً، وهو مملوك لها، وأرادت أن  
يرتكب معها الحرام، وهيأت الأسباب { وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ... }  
[يوسف: 23]، ولكن الشاب المؤمن - مع أنه كان في ريعان شبابه ومقتبل  
عمره، وفي غربة لا يعرفه فيها أحد، ولا يحاسبه على ذلك أحد، ولم يسع إلى  
الفتنة ولكن الفتنة سعت إليه، وكان يمكنه أن يستجيب، ولكنه - وقف كالطود  
الأشم وقال: { ... مَعَادُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [يوسف:  
23].

ولما حضر النسوة وطلع عليهن { ... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ  
حُشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } [يوسف: 31]، قطعن أيديهن من  
الدهشة ... من حسنه وجماله وفتوته، وحرصنه على طاعة سيديته، فماذا كان

منه أمام التحريض من ناحية والتهديد من ناحية؟

إغراء وإغواء، وتهديد ووعيد، قالتها المرأة بصريح العبارة: {وَلَقَدْ رُودَتْهُ  
عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَأْمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ}  
[يوسف: 32]. هنا خير يوسف بين محنتين: محنة في دنياه ومحنة في دينه، فأى  
المحنتين يختار؟

كانت محنة دنياه أن يسجن كما هددت المرأة ويكون من الصاغرين، وهي  
قادرة على أن تقول وتفعل لما لها من نفوذ في تلك الدوائر العليا. كان مخيراً  
بين هذه المحنة وبين محنة أخرى في دينه، بأن يفتن وأن يزني ويكون من  
الفاسقين، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين، ومحنة الدنيا لا تساوي شيئاً  
بجانب محنة الدين، ولهذا علمنا نبينا أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في  
ديننا»<sup>(68)</sup>.

ولهذا توجه يوسف إلى ربه و{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ  
وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: 33]. وهذا يدل  
على شدة فتنة النساء، ولهذا قال: {... وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ  
وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} فالقوي قد يضعف.

(68) وذلك في الدعاء المأثور الذي كان يدعو به عليه الصلاة والسلام ونصه: «اللهم اقسم  
لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن  
اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا،  
واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل  
مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا  
يرحمنا» رواه الترمذي وحسنه، وأقره النووي، ورواه الحاكم وصححه. «فيض القدير»  
للماووي (132/2 - 133) برقم (1505).

ورضي بالسجن ولم يرض بارتكاب الفاحشة، ودخل السجن وعاش فيه ما عاش.

هذا هو العفاف، هذه هي الإرادة الصلبة، هذه هي الرجولة. من أراد أن يتخذ له مثلاً عاليًا من شبابنا فليتخذه من يوسف، لا يتخذ المثل من الممثلين العرب أو الممثلين الأمريكان. يتخذه من أسامة بن زيد، من محمد بن القاسم، من الشباب المؤمن على مراحل التاريخ، هذا ما نريده من شبابنا.

يا أيها الشبان ويا أيتها الشابات ... يا أبناء الإسلام وبناته: أعرّفوا أنفسكم، اشغلوا أنفسكم بما هو أهم وأبقى، دعوا هذه الترهات، دعوا هذه المغريات التي نراها في كل مكان.

ويا أصحاب التوجيه والتأثير في الصحافة والإعلام والقصص والكتب: اتقوا الله في بنينا وبناتنا، اتقوا الله في بنيكم وأنتم وبناتكم أنتم، أليس لكم بنون وبنات؟ أليس لكم شبان وشابات؟ احرصوا على هؤلاء، احموهم من الفتنة، فإن الفتنة تطل برأسها من كل مكان.

نسأل الله عز وجل أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا الفواحش كلها، إنه سميع بصير.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة<sup>(69)</sup>.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وطهر أعمالنا من العبث، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من الغش، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر أعمالنا من الرياء، وطهر أعيننا من الخيانة.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

عباد الله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].

(69) يشير الشيخ ظظظ إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. والمراد بالساعة هنا «معناها اللغوي» وهو: برهة من الزمن، ولهذا قال: وأشار بيده يقللها، ليساره وقتها. وأما تعيين الساعة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة واختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً، وأفاض الإمام ابن القيم في ذكر أقوالهم ورجح منها قولين، أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين.

انظر: «زاد المعاد» (388/1 - 397) بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. وانظر أيضاً: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للشيخ القرضاوي (1/241 - 243).

وأقم الصلاة.

\* \* \*

5- استنساخ البشر وأضراره على الإنسانية<sup>(70)</sup>

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في هذه الأيام يتحدث الناس عن قضية خطيرة، تحدثت عنها الصحف والإذاعات والتلفازات وأجهزة الإعلام المختلفة، قضية علمية شغلت الناس من كل حدب وصوب وعلى جميع الاختصاصات، هي القضية إلى يسمونها «الاستنساخ»: أن تستنسخ من كائن حي نسخاً عدة ... نسخاً مكررة لشخص واحد!!

وهذا أمر جربه الناس منذ عرفوا ما سمي بالهندسة الوراثية، عندما اكتشف الإنسان - الذي علمه الله ما لم يكن يعلم - أن هناك عوامل وراثية هي التي تتحكم في الإنسان، وتحدد شكله وصورته وهيئته وذكاءه وقوته الجسمية وطوله وقصره وبياضه أو سواده ... إلخ. تلك التي يسمونها «الجينات»، التي تحمل عوامل الوراثة من الأب ومن الأم ومن الجدة ومن الجد، ومن القبيلة، ومن الفصيل، ومن النوع. منذ اكتشف الناس هذه الأشياء، وهم يطبقونها في عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات، بأطر مختلفة وضوابط محددة.

ولكنهم في الآونة الأخيرة - في إطار ما عرف باسم «الثورة البيولوجية» ... ثورة علم الأحياء وعلوم الوراثة - وصلوا إلى استنساخ في عالم الحيوان.

(70) أقيمت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة 1417/11/12 هـ الموافق

وهذا ما نشر من استنساخ تلك النعجة الأسكتلندية التي يسمونها «دولمي»، بواسطة خلية أخذت من خروف ذكر وضعت - بعد أن عولجت معالجة معينة - في ببيضة منزوعة النواة من الأنثى - أي هذه الببيضة لا تحمل العوامل الوراثية - ثم وضعت في رحم الأنثى الشاة. وكانت النتيجة أن جيء بنسخة طبق الأصل من النعجة التي أخذ منها - أو الخروف الذي أخذ منه - تلك الخلية.

وقالوا: إن هذا يمكن أن يطبق في عالم الإنسان، نستطيع أن نأخذ خلية من ذكر ونعالجها تلك المعالجة، ونأخذ ببيضة من امرأة ننزع منها نواتها وعوامل الوراثة فيها، ونغرس تلك الخلية في تلك الببيضة، ونضعها في رحم امرأة، فتأتي لنا بنسخة طبق الأصل من الذكر الذي أخذت منه الخلية. ويمكن أن تخلق من هذا الشخص مئات وآلاف الأشخاص طبق الأصل، هو هو، بجسمه ولونه وصورته وذكائه وصفاته الجسمية وصفاته العقلية وصفاته النفسية!

هكذا قالوا.

ومن هنا تخوف الناس في العالم كله، وهاج هائجهم. علماء القانون، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، وعلماء التربية، وفوق ذلك كله علماء الدين، من مسلمين ومن نصارى، كلهم تخوفوا من خطورة هذا الأمر.

ماذا لو تمادى الناس في هذه القضية واستطاعوا أن يخلقوا<sup>(71)</sup> إنسانًا بهذه

(71) هم يُخلقون ولا يخلقون، وفرق بين الخلق والتخليق، الخلق لله عز وجل، والتخليق أو التكوين يستطيعه الإنسان بواسطة ما خلق الله. الإنسان لم يخلق المادة الحية ... لم يخلق



الصورة؟ ماذا يمكن أن يقول الناس وأن يقول الدين وأن يقول الشرع وأن تقول الأخلاق أمام هذه القضية؟ هل نسمح بالعبث في الجينات والعوامل الوراثية وهندسة الوراثة إلى هذا الحد؟ هل يقبل الشرع ويقبل الدين وتقبل العقائد السماوية - بل هل تقبل القيم الأخلاقية وتقبل الأوضاع الاجتماعية - هذا التصرف؟

نقول: لا، ثم لا.

إن الإسلام يفسح ذراعيه للتقدم العلمي، ونحن نعتبر أن التقدم العلمي فريضة وضرورة، وفريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، وفقهاء المسلمين يعتبرون ذلك التفوق والتقدم من فروض الكفاية على الأمة، إذا فرطت فيه ركبها الإثم والخطيئة.

لا بد للمسلمين إذن أن يتبوؤا مكانهم في المجال العلمي، وقد كانوا سادة الدنيا في المجال لعدة قرون، كانوا معلمي العالم، وكان الطلاب يأتون إليهم من أوروبا ومن غيرها ليتعلموا في جامعات المسلمين، وكان علماء المسلمين هم أساتذة الدنيا، والمراجع العالمية للمسلمين هي مراجع العلم للعالم، واللغة العربية هي لغة العلم.

نحن نرحب بالعلم، ولكن يجب أن يكون العلم في خدمة الإيمان، في خدمة الأخلاق ... في خدمة القيم ... في خدمة الإنسان، لا أن ينطلق العلم سائبًا، لا

---

الخلية ... لم يخلق البيوضة، الله هو الذي خلقها، ولكن الإنسان استطاع بما خلق الله أن يتوصل إلى هذه النتائج، وأن يصنع أناسي متشابهين مكررين، كأنها صور فوتوغرافية لشخص واحد. «القرضاوي».

معالم تهديه، ولا ضوابط تعصمه، هنا يكون الخطر كل الخطر.

القرآن ضرب لنا مثلاً بسيدنا سليمان عليه السلام، حينما قال للملأ من حوله: { ... أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا } «أي: عرش بلقيس ملكة سبأ» قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ 38 قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ 39 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ »أي: في لمح البصر، قبل أن تغمض عينيك وتفتحها، وفعلاً أتاه به بواسطة هذا العلم الذي أتاه الله» فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ {النمل: 38 - 40}. هذا منطق الإيمان، لا يطغى بسبب العلم ولا يتجبر ولا يغتر، وإنما يرجع الفضل لله عز وجل، ويرى أن هذا ابتلاء وامتحان له: أيشكر أم يكفر؟

وكذلك ذكرنا لنا القرآن قصة أخرى: قصة ذي القرنين، حينما أقام السد العظيم بين يأجوج ومأجوج وبين أولئك القبائل الذين استنجدوه فأنجدهم وجندهم للعمل معه في ذلك {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا 95 ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ...} [الكهف: 95، 96] إلخ، فلما أقام هذا السد العظيم {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: 98].

العلم إذن كان في إطار الإيمان، كان نافعا ولم يكن ضارا، كان معمرا، ولم يكن مخربا ولا مدمرا. وهذا شأن العلم في الحضارة الإسلامية.

الحضارة الحديثة نرى العلم فيها لا ينضبط بقيم الإيمان والأخلاق، قد ينفع وقد يضر، قد يبني وقد يدمر، قد يحيى وقد يميت، كما رأينا في الأسلحة

النووية، وكما رأينا في الأسلحة الجرثومية، والأسلحة الكيماوية، وأدوات التدمير وغيرها. فهي لا تقف عند حد منفعة الإنسان، بل قد تستخدم فيما يضر الإنسان، وفيما يدمر الحياة والأحياء.

من أجل هذا نتوقف في هذه القضية، ونقول: هناك عدة اعتبارات لا بد أن نأخذها في الحسبان:

الاستنساخ ضد التنوع والتمايز:

**الاعتبار الأول:** أن الله سبحانه وتعالى خلاق الناس متمايزين، خلق هذا الكون على أساس التنوع واختلاف الألوان، كما قال عز وجل: {الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ 27 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 27، 28]، العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الكائنات هم الذين يخشون الله، لأن من عرف الله في آياته يخشاه سبحانه وتعالى.

{مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}: اختلاف الألوان هو تعبير عن التنوع الذي خلق الله عليه هذه الكائنات وأقام عليه هذا الكون، فلا يجوز إذن أن نجعل الناس متشابهين ... نسخاً مكررة، هنا تفسد الحياة.

الله تعالى يقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} [الروم: 22]، بعض المفسرين يقول: ليس اختلاف اللسان أن هذا يتكلم بالعربي وهذا يتكلم بالإنكليزي، لا، اختلاف الألسن: اختلاف الأصوات، كل إنسان له صوته المميز ... عرف في عصرنا ما سمي باسم «البصمة

الصوتية»، كل إنسان له بصمة صوتية مثل بصمة بنانه تميزه عن غيره، وبعض الناس يضع أمواله في حساب في بنك معين ويقول: إن توقيعي هو صوتي. هذا اختلاف الألسن ... اختلاف الأصوات.

وقال: اختلاف الألوان: فسرها بعضهم باختلاف الصور، كل إنسان له صورة تميزه عن غيره، تستطيع أن تعرف زيداً من عمرو، وعلياً من عباس، وهكذا، كل واحد له صورته المميزة.

ولكن إذا استطاع هؤلاء أن يخلقوا أناساً متشابهين فكيف يتميز الناس؟ كيف تعرف زيداً من عمرو؟ كيف تعرف فلاناً من علان؟ كيف تعرف هذه من تلك؟ كيف يعرف الأستاذ تلاميذه؟ وإذا دخل أحدهم مكان صاحبه في الامتحان كيف يعرف هذا من هذا؟ كيف يعرف المجرم إذا أجرم وكيف يحقق معهم المحقق، ويحاكمهم القاضي، وكلهم صور واحدة؟ كيف تستطيع أن تميز المجرم من غيره؟ بل كيف يستطيع الرجل أن يميز امرأته من غيرها؟ وكيف تستطيع المرأة أن تميز زوجها من غيره؟ ستفسد الحياة حينئذ، حين يتشابه الناس ولا يتميرون.

هذا التمايز صفة مطلوبة، بل ضرورية لتستقيم الحياة، إن ربنا سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان شخصيته المستقلة، على أساسها يخاطب، وعلى أساسها يحاسب، وعلى أساسها يثاب ويعاقب، وعلى أساسها يتحمل المسؤولية في الدنيا والحساب في الآخرة. فإذا خلق هؤلاء أناساً متكررين، فهؤلاء قد أفسدوا الحياة الإنسانية والاجتماعية.

**التعريض لخطر الأمراض القاتلة:**

ثم هذا نفسه يعرض الناس لأخطار، إذا أصاب واحداً من هؤلاء مرض أو فيروس، أصيب الجميع. يمكن لمرض واحد أن يقضي على هذا القطيع البشري كله.

**استغلال قوى الشر للاستتساخ:**

ومن ناحية أخرى: يمكن لبعض جهات الشر وقوى الإثم والعدوان أن تستغل هذا. «المافيا» العالمية تستطيع أن تصنع من بعض الأشرار نسخاً متكررة. الناس كانوا يشكون من «هتلر» واحد، تستطيع إذن أن تصنع عدة «هتلر» من هذا الإنسان الشرير، وهذا يهدد الحياة بالخطر.

هناك أخطار كثيرة لا نستطيع أن نتنبأ بها. كل هذا لأنه فقد عنصر التمايز ... عنصر التنوع الموجود بالفطرة بين الناس بعضهم وبعض.

**الاستتساخ ضد ظاهر الزوجية:**

**الاعتبار الثاني:** أن الله خلق الكون كله أزواجاً، كما قال تعالى: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبا: 8]، وكما قال عز وجل: {سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: 36].

كان الناس قديماً يظنون أن الأزواج - الذي يتمثل في الذكورة والأنوثة - قائم في عالم الإنسان وفي عالم الحيوان. وعرفوا في عالم النبات أن النخيل ذكورا وإناثا. ثم جاء العلم الحديث وقال: كل النباتات فيها ذكورة وأنوثة، بل كل الكائنات، الكهرباء فيها موجب وسالب، الذرة - وهي وحدة البناء الكوني - فيها شحنة كهربية موجبة وشحنة كهربية سالبة «إلكترون وبروتون»،

الحياة كلها والكون كله قائم على سنة الزوجية. وهذا ما قرره القرآن في هذه القاعدة الكونية العامة حيث قال الله عز وجل: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: 49].

هؤلاء يريدون أن يبطلوا هذه القاعده «قاعدة الزوجية» في الكون وفي الحياة، ويقولون: يمكن أن يستغني الناس عن الذكور نهائياً أو عن الإناث نهائياً، ويبقى جنس واحد. وقالت إحدى الكاتبات الأمريكيات: نستطيع أن نجعل كوكبنا هذا - تعني الأرض - كوكباً للنساء، وتصبح الأرض للنساء وحدهن ولا داعي للذكور!!

الله خلق الزوجين الذكر والأنثى<sup>(72)</sup>، فكيف يعيش هؤلاء بجنس واحد؟ حينما خلق الله آدم لم يدعه وحده، وإنما خلق له من جنسه زوجاً ليسكن إليها وقال له: {أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...} [البقرة: 35، والأعراف: 19]، لأنه لا معنى لجنة يعيش الإنسان فيها وحده، فمن أحل ذلك حدث هذا الإزدواج، فخلق الله الناس من ذكر وأنثى.

وهؤلاء يريدون أن يستغنوا عن بأحد الصنفين عن الآخر، وفي هذا تدمير للحياة، ومخالفة لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

حاول ذلك من قبل قوم لوط، الذين قال لهم نبيهم: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل: 55]، {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} [الأعراف: 81]، {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ

(72) كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [النجم: 45]، وقال تعالى: {فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّرَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [القيامة: 39].

مِنَ الْعَلَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ {  
[الشعراء: 165، 166]. وصفهم بالجهل، وصفهم بالإسراف، وصفهم بالعدوان،  
وصفهم بالإفساد: {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} [العنكبوت: 30]،  
وصفهم بالإجرام، وصفهم بكل رذيلة وبكل نقيصة. لأنهم عاندوا فطرة الله  
وأرادوا الاستغناء بالذكور عن الإناث. وهو شذوذ عن الفطرة والحق والدين.

ومن هنا عاقب الله قوم لوط عقوبتين:

**العقوبة الأولى:** أنه قلب قريتهم عليهم، وجعل عاليها سافلها.

**والعقوبة الثانية:** أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل منضوض، مسومة  
عند ربك، كل حجر يقصد واحداً معيناً وهدفاً محدداً، يأتيه فيصيبه، وما هي  
من الظالمين ببعيد<sup>(73)</sup>.

الاستغناء عن الأسرة:

**الاعتبار الثالث:** أن الله سبحانه وتعالى جعل الأسرة هي الأساس لحياة  
المجتمع الإنساني. لا بد أن يتربي الطفل في ظل أسرة ... في ظل أبوة  
وأُمومة، لا بد للإنسان أن يعيش في بيت يحنو عليه ويرعاه.

الطفولة الإنسانية أطول أنواع الطفولة في الحيوانات، لا يوجد حيوان  
تستمر طفولته عدة سنوات كما في الطفل البشري، فمن يرعى هذا الطفل في  
أثناء هذه السنين؟ لا بد من أم ترعاه، وأب يحنو عليه، وأخوه يتعامل معهم.

ومن خلال هذا التعامل تتربي مشاعر الحنو والحب والعطف والحنان

(73) قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنضُودٍ 82  
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ} [هود: 82، 83].

والإيثار والتعاون. كل هذه تنمو في ظل هذا التعامل المستمر اليومي.

من الذي يرعى هذا الطفل إذا لم يكن له أب ولم يكن له أم؟

الآن يفكرون في عمل رحم صناعي توضع فيه هذه الخلية، ويحاولون أن يستغنوا عن رحم المرأة نهائياً. وطبعاً يرحب بهذا الموسرات والممثلات والمطربات حفظاً على الرشاقة، وهذا خطر كل الخطر.

أين الأمومة؟ الأمومة هي المعاناه وليس مجرد أن تعطي بذره أو بيضة لهذا الرحم الصناعي. الأمومة أن تتعاش المرأة جنينها في بطنها تسعة أشهر. الله تعالى حينما أمر بالإحسان بالوالدين قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾ [الأحقاف: 15]، وقال في آية أخرى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ...﴾ [لقمان: 14]، هذه هي الأمومة، والأمومة الحقيقية هي هذه المعاشة لهذا الطفل، وتحمل آلامه.

وحينما جاءت إحدى النساء المطلقات تشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن زوجها يريد أن يأخذ طفلها منها قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت أحق به ما لم تتكحي»<sup>(74)</sup>.

ماذا تقول المرأة التي لم يكن بطنها لطفلها وعاء، ولا ثديها له سقاء، ولا

(74) أخرجه أحمد، وأبو داود، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإسناده حسن. «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (333/9) برقم (2399).



حجرها له حواء؟ إنها لم تتول إرضاعه، ولم تحمل حتى يكون لها لبن، أين الأمومة إذن؟

من أجل هذا جعل الإسلام - وجعلت الأديان كلها - الزواج أساس الأسرة، وهؤلاء يلغون الزواج من حياة الإنسان. وبهذا يصبح الناس حيوانات، لم يعودوا أناسي، لم يعودوا بشرًا تحكمهم شرائع وتحكمهم قيم.

هذا كله إفساد وتدمير للحياة.

الحياة لا بد لها من أسرة، ولا بد لها من زوجين أو أبوين، ولا بد أن ينشأ الطفل في ظلال هذه الأسرة، وفي رحابها، ويتعلم منها «كلكم راع ومسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته...»<sup>(75)</sup>. فإذا تركنا الحبل على الغارب لهذه الأمور فسدت الحياة، واضطرب نظام هذا الكون.

ومن أجل هذا نقف ضد هذا التوجه الخطير الذي يسعى إليه بعض العلماء. وكثير من العلماء أنفسهم - من أهل العلم الأحيائي البيولوجي - يقفون ضد هذه التوجهات...

نرحب بالعلم المنضبط:

نحن لا نقف في وجه العلم، بل نرحب به وندعو إليه، ولن نتقدم أمتنا إلا

(75) قطعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه البخاري ومسلم، ونصه كاملاً: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (553/2) برقم (1108).

بالعلم، ولكننا ضد العلم المنفلت المدمر، لذا نحن نقول: إنه إذا كان يمكن أن نستفيد من هذه التوجيهات العلمية في مجال الهندسة الوراثية، في علاج بعض الأمراض المستعصية، وبعض الأمراض الوراثية، التي يرثها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد، وإذا استطعنا أن نعالج بعض أسباب العقم الذي يشكو منه الكثير، فلا مانع من ذلك، فحيث توجد المصلحة هنا فثم شرع الله. ولكن بشرط: أن لا يكون ذلك فتحًا لباب خطر على البشر. إذا خفنا - خوفًا مبنياً على دراسة - إنه إذا فتح هذا الباب فلن يُسد، فالأولى بنا أن نسد من أول الأمر.

عندنا في الشرع قاعدة تسمى «قاعدة سد الذرائع» أي: لو أن هناك أمرًا مباحًا، ولكنه إذا فتح الباب له سيؤدي إلى أمور منكرة ومفاسد للناس، فإنه يمنع هذا الأمر المباح، سدًا للذريعة إلى الفساد، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]، لا تسبوا الأصنام أمام المشركين فيسبوا الله سبحانه وتعالى، مع أن الأصنام لا حرمة لها وسبها لا حرج فيه، ولكن إذا تسبب هذا الأمر في سب الله عز وجل، فينبغي أن نترك هذا الأمر خشية من عواقبه ونتأجه.

إذا كان فتح الباب لهذا الأمر سيجلب علينا شرًا لا يعلمه إلا الله، وسنكون أمام مخاطر قد نعرف أولها ولا نعرف آخرها، فلا بد أن نأخذ بالحزم ونسد هذا الباب، كما قيل «الباب الذي يأتيك منه ريح يجب أن تسده وتستريح».

إننا أمام أمر خطر، نحن لا نعرف كل ما يمكن أن يتمخض عنه هذا الأمر، نحن ذكرنا بعض أشياء وهي مؤشرات، ولكن لا نستطيع أن نتكهن بما يمكن أن يأتي به هذا الأمر لو فتح الباب على مصراعيه، إنه قد يؤدي

بالبشرية وقد يدمرها كما قال الله عز وجل: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا  
وَأَزْيِنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا  
كَأَنَّمَا تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: 24].

أسأل الله تعالى أن يسدد خطانا، وأن ينيير طريقنا، وأن يهدينا سواء  
السبيل، وأن يوفق العلماء إلى ما هو خير للإنسان وللحياة وللأحياء، إنه  
سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم،  
وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا نستطيع أن نصم آذاننا، ولا أن نغمض أعيننا، ولا أن نغلق عقولنا، عما  
يجري في القدس الشريف.

القدس العربية الإسلامية مهددة بالزوال، على مرأى ومسمع منا نحن  
العرب والمسلمين، حكومة «نتنياهو» قررت أمراً، وهي تنفذه ولا تبالي  
باستنكار المستكرين ولا باحتجاج المحتجين. ونتنياهو هو كمن كان قبله بل  
شر منه، ولكن ليس في الشر خيار، كلهم أشرار.

وليس فيهم من فتى مطيع فلجنة الله على الجميع  
رابين منذ اليوم الأول - يوم الاتفاق في أوسلو - أعلنها صريحة: أن القدس  
هي العاصمة التاريخية والأبدية والموحدة لشعب إسرائيل.

هذا ما قاله «رابين»، وما قاله «بيريز»، وما يقوله «نتنياهو» ويزيد عليهم: أنه يتحدى ولا يبالي بأحد.

القدس تتعرض لمخطط استيطاني يهودي، وهي خطة ليست بنت اليوم ولا وليدة أمس. إن اليهود قد خططوا لذلك من قديم، منذ القرن الثامن عشر، حاولوا أن يتسللوا إلى فلسطين وإلى القدس.

سيدنا عمر رضي الله عنه حينما دخل القدس وصالح أهلها من المسيحيين، اشترطوا عليه أن لا يساكنهم فيها يهود. ولا ندري منذ متى بدأ التسلسل اليهودي لدخول هذه المدينة، ولكنهم في القرن التاسع عشر حاولوا الضغط على الدولة العثمانية - عندما بدأ يصيبها الضعف شيئاً فشيئاً - لتسمح لهم بإقامة بعض المؤسسات ومن خلال هذه المؤسسات خدعوا العرب والمسلمين، وطالبوا بإنشاء مستشفى، وجعلوا في داخل هذا المستشفى وحوله مساكن.

ولكن في آخر القرن التاسع عشر كان سكان مدينة القدس حوالي خمس وأربعين ألف نسمة، وكان اليهود لا يزيدون على ثلاثة آلاف أو أكثر قليلاً، ثم بدأوا يخططون للزيادة شيئاً فشيئاً، ففي سنة (1918م) - أي بعد أن دخل الجنرال اللنبي القائد البريطاني القدس - أصبحوا عشرة آلاف، وبدأ التدفق في الهجرات، وبدأوا يعدون العدة، ويهيئون الخطة، لتهويد هذه المدينة، خطوة خطوة وشبيراً شبيراً.

بعض الناس يظن أن العرب باعوا أرضهم لليهود، وهذا ليس بصحيح، الذين فعلوا ذلك كانوا قلة، وكان معظمهم من غير المسلمين، ولكن البلدية

التي يحكمها البريطانيون استولت على أراض أميرية، واستولت على أراضي الوقف الإسلامي، ومعظم أراضي القدس أراضي وقفية، وسلمتها لليهود.

وحين قامت دولة الكيان الصهيوني «إسرائيل» سنة (1918م)، ودخلت الجيوش العربية السبعة، ودخل الجيش الأردني القدس، وقسمت المدينة إلى قسمين: شرقية قديمة فيها المقدسات، وغربية حديثة سكانها من المستوطنين اليهود، وكان بينهما حاجز أو سلك شائك.

وهكذا استمر الأمر عامًا بعد عام، ومدة بعد مدة، وهم يغيرون الخطط والهياكل لتهود المدينة، وفي كل مدة يستولون على جزء من القدس، وعلى القرى القريبة من القدس، ويضعون خططًا بعيدة المدى، ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون. إلى أن حدثت حرب (1967م) - النكبة الثانية - حيث استولوا على القدس الأصلية، وبدأ التخطيط لتهود القدس الشرقية نفسها، التي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومسجد عمر بن الخطاب وكنيسة القيامة، حتى هذه يهيئون الأسباب الآن لإقامة اليهود واستيطانهم فيها، رغم هذا الاتفاق الذي زعموه «اتفاق السلام»، والذي عارضناه من أول يوم لأنه أجل القضايا الخطيرة:

1- قضية القدس: كأن هذه القضية قضية لا تستحق أن تكون القضية رقم (1) في جدول الأعمال.

2- قضية اللاجئين المشردين في آفاق الأرض - وهم نحو خمسة ملايين - وحقهم في العودة إلى ديارهم.

3- قضية الحدود، وأين تقف حدود إسرائيل.

4- قضية المستوطنات والمستوطنين اليهود.

كيف توجل هذه القضايا الكبرى؟!!

ولهذا فإن اليهود ينفذون مخططاتهم، ولا يباليون باحتجاج محتج ولا بصراخ صارخ.

تحكم السيف فاسكت أيها القلم تكلم الذئب فاخضع أيها الحمل  
هكذا، هذا هو الذي يجري الآن:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجراج بميت إيلام  
نحن نرى ما يحدث ولا نفعل شيئاً، حتى مجرد الصراخ لا نصرخ!  
لا بد أن نعمل شيئاً.

لماذا لا تعقد قمة عربية مكبرة مستوعبة؟

بل لماذا لا تعقد قمة إسلامية؟ الأمر جد خطير ومهم.

حينما أحرق المسجد الأقصى سنة 1969م تنادى المسلمون، وكان المؤتمر الإسلامي الأول أيام الملك فيصل رحمه الله، وأقيمت منظمة المؤتمر الإسلامي.

الآن المدينة كلها ستضيع، اليهود يستولون على الأرض، وبينون المستوطنات، ويحفرون تحت المسجد، وقد صنعوا النفق وقتل من قتل فيه.

لماذا لا تعقد هذه القمة؟

لماذا لا يتنادى الناس في كل مكان؟

لا بد أن يتحدث الخطباء، لا بد أن يكتب الكتاب، لا بد أن يبديع الشعراء،  
لا بد أن تسير المسيرات، لا بد أن تعقد الجمعيات اجتماعاتها، لا بد أن نعمل  
شيئاً كيف نسكت على ما يجري؟ إن ما يجري والله لأمر خطير.  
المسجد الأقصى يضيع بين أيدينا ونحن صامتون متفرجون.  
أين هذه الأمة؟ أمة المسلمين.

أمة اليهود تقول وتفعل وتنفذ، ويقول «نتنياهو»: نحن نقرر والفلسطينيون  
ينفذون! بل وصل التبجح بهم إلى أن هددوا رئيس السلطة الفلسطينية نفسه  
بالطرد من فلسطين، ليعيش هائماً كما قالوا - بين تونس وبغداد ... بل هددوه  
بالاغتيال وقالوا: إن عرفات ليس دمه مضموناً، كما أن المهندس ليس دمه  
مضموناً. أي: كما قتل يحيى عياش رحمه الله يمكن أن يقتل ياسر عرفات.  
إنهم يهددون ولا أحد يهددهم بشيء.

أين أمة الإسلام؟

نحن نحیی كل الصامدين في وجه هذا العدوان: نحیی سوريا علی موقفها  
الصامد، ورفضها أن تركع لإسرائيل، نحیی لبنان، ونحیی تأييده للمقاومة،  
نحیی شباب «حماس» في داخل فلسطين المحتلة، نحیی شباب «الجهاد»،  
نحیی كل من يصمد ويقول: لا.

بعض الناس ... يقول لك: ليس أمامنا شيء ولا في أيدينا شيء فماذا نفعل؟

نحن نستطيع أن نقول: لا «بملاء فينا»<sup>(76)</sup>، يكفي أن نقف رافضين مقاومين معاندين، لا نستسلم، ولا ندعو إلى السلم، كما قال الله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَلُكُمْ} [محمد: 35].

جزى الله «دولة قطر» خيرًا حيث أقامت أسبوعًا للقدس، يبدأ في الأسبوع القادم، نتنادى فيه، ويصرخ كل منا على أخيه أن هبوا للدفاع عن قدسكم ... عن مسجدكم الأقصى ... عن حرمانكم.

لا بد أن نقف وقفة الرجال الذين لا يقبلون الهوان، ولا يرضون الذل لأنفسهم، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: 8].

إن الأمر خطير وخطير جدًا، ولا يمكن أن نسكت على هذا، لا بد أن نعلن رأيًا ... أن نعلن موقفنا ... أن نحدد «من نحن»؟

نحن لسنا قطيعًا من الأغنام يسوقنا اليهود كما يريدون. لا، نحن خير أمة، نحن الأمة «الوسط» التي جعلها الله شهداء على الناس. ولكننا نحتاج إلى القادة، الذين يستطيعون أن يتماسكوا، وأن يقفوا على أرض صلبة.

نسأل الله عز وجل أن يؤيد خطى المجاهدين، وأن يسدد العاملين، وأن يأخذ الظالمين المعتدين، إن أخذه أليم شديد.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين المعتدين، اللهم رد عنا كيدهم، وقل حدهم، وأدل دولتهم. اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم،

(76) وحينما قلنا: «نعم، الأرض مقابل السلام» ماذا أخذنا؟! «القرضاوي».



ونعوذ بك من شرورهم. اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك، اللهم أيدهم بملا من جنديك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*

6 - فوائد البنوك هي الربا الحرام<sup>(77)</sup>

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

جاء الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجاً كاملاً للحياة: حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة الجماعة وحياة الأمة... بل جاء ليهدي الإنسانية كلها إلى التي هي أقوم {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: 1]، {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158].

جاء الإسلام رسالة شاملة، وجاء منهجاً متكاملًا للحياة، يقيم الحياة على أقوى الدعائم وأرسخ الركائز، حتى ينتشر فيها الحق والعدل والرحمة والإحسان بين الناس، بل هذا هو هدف الرسالات السماوية كلها، كما قال الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: 25] والقسط هو العدل، والله يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين.

في هذا الإطار جاء الإسلام بأصول وأحكام تنظم الحياة الاقتصادية للناس، فالمال مال الله والإنسان مستخلف فيه، أي أمين على هذا المال، ونائب عن الله تعالى في تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي الانفاق منه، ليس

(77) للشيخ القرضاوي طُظظ كتاب بهذا العنوان أصدره ردًا على فتوى الدكتور محمد سيد طنطاوي بشأن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار يوم كان مفتيًا للجمهورية. وقد تجلت في هذا الكتاب: دقة الفقيه، وأصالة المفكر، وروح الداعية، فجزاه الله خيرًا ونفع المسلمين بما كتب.

حر التصرف يفعل ما يشاء، إنه مقيد بتوجيهات المالك الأصلي للمال وهو «الله» يقول الله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} [الحديد: 7].  
 أنت أيها الإنسان في مالك مستخلف في مال الله، هذا مال الله عندك، وأنت مستخلف فيه، أي موظف عند صاحب المال الأصلي وهو الله تعالى.  
 جاء الإسلام بأحكام كثيرة تنظم المال، ومن أهم هذه الأحكام حكرمان أساسيان:

- حكم يتعلق بجانب الأوامر.

- حكم يتعلق بجانب النواهي.

أما الحكم الأول فهو إيتاء الزكاة، هذا في قمة الأوامر الإسلامية، ركن من أركان الإسلام، ودعامة من دعائمه الخمس، التي بنى الإسلام عليها، كما في الحديث الصحيح المشهور<sup>(78)</sup>، هي الدعامة الثالثة، بعد الشهادتين وبعد إقام الصلاة: إيتاء الزكاة.

هذا في جانب الأوامر.

وفي جانب النواهي والمحرمات جاء تحريم الربا، فهو من الموبقات السبع كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات»<sup>(79)</sup>.

(78) الذي رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». «فيض القدير» للمناوي (208/3) برقم (3162).

(79) وتتمة الحديث: ... قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل

وعد منها: أكل الربا وأكل مال اليتيم. فهذا من المهلكات، هي مهلكات للفرد ومهلكات للجماعة، مهلكات في الدنيا ومهلكات في الآخرة. وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم أكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه<sup>(80)</sup>.

فلسفة الإسلام أنه إذا حرم شيئاً حرم كما ما يفضي إليه وكل ما يعين عليه، ليحاصر المنكر والمحرم في أضيق دائرة ممكنة. من أجل هذا لعن في الخمر عشرة<sup>(81)</sup>، ومن أجل هذا لعن أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه.

أكل الربا: هو الذي يأخذ الفائدة ... المرابي.

ومؤكله: هو الذي يعطي الفائدة.

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذا الأمر أبلغ التأكيد في آيات من سورة البقرة

النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق على صحته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش (86/1) برقم (45).

(80) رواه مسلم وغيره، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفي آخره: «وقال: هم سوا». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (534/2) برقم (1056).

(81) في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقها، وبناعها ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها» ورواه ابن ماجه عن أنس، قال المنذري: ورواه ثقات «فيض القدير» للمناوي (267/5 - 268) برقم (7253). وانظر . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (652/2) برقم (1400، 1401).

تعتبر من أواخر ما نزل من القرآن (82). يقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} [البقرة: 275]، هكذا قال الممارون والمجادلون بالباطل من أهل الجاهلية، سواء كانوا من المشركين أم من اليهود الذين كانوا يتعاملون بالربا، وهم أساتذة الربا في العالم من قديم، حرموا الربا فيما بين بعضهم وبعض، لا يجوز للإسرائيلي أن يعطي جاره الإسرائيلي ربا، ولكن لغير الإسرائيلي يحل له أخذ الربا. هؤلاء أثاروا تلك الشبهة وقالوا: ما الفرق بين البيع والربا؟ أنت بالبيع تأخذ وتعطي، وتكسب ربحاً، وفي الربا تأخذ وتعطي وتكسب فائدة، ما الفرق بين هذا وذاك؟ حتى إنهم جعلوا الربا أصلاً، لم يقولوا: الربا مثل البيع بل قالوا: إنما البيع مثل الربا!

وجاء الرد الإلهي القرآن حاسماً قاطعاً كحد السيف، قال: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: 275] والله لا يحل إلا طيباً، ولا يحرم إلا خبيثاً. فلا كلام لمتكلم، ولا تأويل لمتأول، ولا تمحل لمتحمل، {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَاتْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 275].

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا} [البقرة: 276] يمحو البركة منه، حتى وإن كثر «الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل» (83) وكم رأينا من المرابين والمتعاملين

(82) انظر الآيات: 275 - 281.

(83) رواه الحاكم عن ابن مسعود وصححه وأقره الذهبي ورواه عنه أيضاً البزار، ورمز له السيوطي بالصحة «فيض القدير» للمناوي (50/4) برقم (4505)، وروى ابن ماجه عن ابن مسعود: «ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل». «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني (1/422 - 423) برقم (1354). والمراد من قوله «إلى

بالربا من زاد ماله وزاد، ثم أخذه الله عز وجل. الربا في ظاهره زيادة ولكنها زيادة محوقة لا بركة فيها، كثيراً ما تؤثر عليك في نفسك ... في صحتك ... في أهلك ... في أولادك الذين يتربون من مال الربا، فلا يبارك الله تعالى فيهم. {وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبٍّ لَّيْرِبُوءًا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوءًا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: 39]، الربا زيادة في الظاهر ونقص في الباطن، والزكاة والصدقة نقص في الظاهر وزيادة في الباطن {أُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} يضاعف الله أموالهم، ويضاعف لهم أجرهم بعد ذلك.

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتِيمٍ} [البقرة: 276]،

وهذا إشارة إلى المرابي، فهو مبالغ في الكفر مبالغ في الإثم.

ثم يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 278] كل ما بقي من الربا من عهد الجاهلية، قل أو كثر.

{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: 279] هي حرب قدرية

وحرب شرعية، ولا يمكن أن ينتصر من يحارب الله ورسوله، إن الله سيغلبه، من حارب الله ورسوله هو المغلوب وهو المهزوم.

{فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} لم يجئ في معصية من المعاصي ولا في

كبيرة من الكبائر ما جاء في الربا، لم يجئ في الزنا ولا في شرب الخمر ما جاء في هذا الأمر.

قل: «أنه يؤول إلى نقص ومحق أجلاً بما يفتح على المرابي من المغارم والمهالك. وانظر . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (535/2) برقم (1063).

{وإن تبتّم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون} [البقرة: 279]: وهذا إشارة على أن ما زاد على رأس المال بغير عوض مقابل الأجل وحده - لا بيع ولا شراء ولا تجارة - فهو ظلم وهو ربا.

يقول بعض الناس: كيف يكون الربا ظلماً وأنا أخذه برضاي؟! أنا متفق مع البنك أن آخذ المائة وأردها إليه مائة وعشرة، آخذ الألف وأردها إليه ألفاً ومائة. فلماذا يكون هذا ظلماً؟! ونقول لهؤلاء: وهل يتصور في الربا إلا أن يكون بالتراضي؟! هل كان الربا في وقت من الأوقات بالقهر؟ الناس كانوا يذهبون إلى المرابي، ويكادون يقبلون يده أو رجله ليعطيهم، وكان كثيراً ما يتدلل المرابي عليهم، يريدون منه ألفاً ويعطيهم خمسمائة أو سبعمائة.

الربا دائماً بالتراضي، ولكن التراضي لا يحل الحرام. إذا زنى رجل بامرأة بتراضيهما أيكون ذلك حلالاً؟! التراضي لا يحل الحرام، ولا يجعل المنكر معروفاً، إنه تراض على الباطل.

إن الإسلام حرم الربا لحكم كثيرة. من هذه الحكم التي أكتفى بالنص عليها الآن:

أن المال في نظر الإسلام لا يزيد ولا ينمو وحده، النقود لا تلد نقوداً، والمال بطبيعته لا يلد المال، إنما المال يزيد بالعمل، الألف وحدها لا تصبح ألفاً ومائتين، والمائة لا تصبح مائة وعشرين ما الذي يجعل المائة مائة وعشرين، والألف ألفاً ومائتين؟ العمل، أن تعمل فتزيد المال.

ولكن ليس كل الناس قادراً على العمل، أنا مدرس وأعمل بالتدريس وقد أدخر شيئاً من المال، فماذا أفعل في هذا المال؟ إذا لم تستطع أن تعمل فما

الحل؟ هنا يجوز لك أن تعطي غيرك المال ليتجرر لك به، أو ليعمل به مشروعاً، وبذلك تكونان شريكين: أنت بمالك وهو بجهد وخبرته، وبهذا يتعاون رأس المال والعمل معاً.

ولكن هنا يقول الإسلام لك: ما دمت قد شاركت هذا الآخر الذي نسميه «المضارب» وأنت «رب المال» - فكن شجاعاً، وكن على خلق، وتحمل مسؤولية المشاركة. لقد صرنا شريكين، ومقتضى المشاركة أن تتحملا المسؤولية معاً، فإذا ربحتما ربحتما معاً، وإذا خسرتما خسرتما معاً.

إذا ربحتما كثيراً نال كل واحد منكما من هذا الكثير بالنسبة المتفق عليها حسب ما اتفقان: أنت (1/4) وهو (3/4)، أنت النصف وهو النصف أنت (90%) وهو (10%) فالربح بينكما على اتفقتما عليه.

والخسارة على رأس المال، إذا خسرت الشركة بدون تقصير ولا تع من المضارب، إذا ثبت أنه قصر أو تعدى فهو الذي يتحمل الخسارة، أما إذا كانت هناك أقدار قاهرة، وأشياء لم تكن في الحسبان، وأدت إلى خسارة رأس المال - فهنا يخسر صاحب المال ماله أو جزءاً من ماله، ويخسر الآخر جهده. ما بذل من جهد طوال العام قد خسره، وليس المال أهم من جهد الإنسان.

هذا هو مقتضى العدل المحكم الذي جاء به الإسلام.

مقتضى ما جاء به الإسلام، أن تتحملا الغرم والغنم معاً، أن تتحملا الربح والخسارة معاً.

أما أن تحدد الربح من الأصل وتقول: أنا أخذ المال منك، وأعطيك في كل



سنة عن المائة «عشرة» أو عن المائة «عشرين» فهذا لا يجوز. ما يدريك أنك ستكسب؟ قد تظن أنك تكسب ولكنك تخسر، هذه ليس العدالة المنشودة.

العدالة المحكمة التي جاء بها الإسلام: أن تتحملا الغرم والغنم معاً، وهذا بإجماع العلماء.

في المضاربة: «لا يجوز تحديد شيء لأحد الطرفين دون الآخر» لا بد أن يدخل على نسبة مشاعة، هذا بالإجماع.

وهذا الإجماع له سند من النصوص، ففي مزارعة الأرض نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يشترط لأحد الطرفين ثمرة أرض معينة أو قطعة أرض معينة، قنطار أو إردب معين أو نحو ذلك<sup>(84)</sup> ما يدريه قد يسلم هذا أو يتلف ذلك، وقد تثمر تلك القطعة من الأرض دون غيرها، وقد يحدث عكس هذا، فيكون لأحد الطرفين غنم لا يشاركه فيه الآخر، أو يكون عليه غرم لا يشاركه فيه الآخر.

فهذا هو الأصل النصي لمنع اشتراط شيء لأحدهما في المزارعة، والمزارعة كما قال الإمام ابن قدامة - مضاربة في المعنى، نعم المزارعة مضاربة في الأرض، والمضاربة مزارعة في المال، الذين يريدون للمال أن

(84) عن رافع بن خديج قال: «كنا أكثر الأنصار حقلاً، فكنا نكري الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه، ولم تخرج هذه، فنهانا عن ذلك...» أخرجه البخاري ومسلم. وفي لفظ: «كنا أكثر أهل الأرض مزروعاً كنا نكري الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض قال: فيما يصاب ذلك وتسلم الأرض، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك، فنهينا...» رواه البخاري. انظر «نبيل الأوطار» للشوكاني (11/6) «باب فساد العقد إذا شرط أحدهما لنفسه البقعة أو بقعة بعينها ونحوه».

يكسب ولا يخسر، وأن يزيد ولا ينقص، هؤلاء يريدون الخروج على سنة الله في الكون كله. ليس هناك شيء في هذا العالم غير قابل للنقص، كل شيء ... كل نعمة قابلة لأن تنقص وأن تذهب، الصحة قابلة للمرض، الصحيح قد يمرض، الشباب قابل للشيخوخة، الشاب تعتريه الشيخوخة، القوي تطراً عليه ظروف الضعف، الحي قد يأتيه الموت في أي لحظة. فهل المال أهم وأعلى من الحياة ... من الصحة ... من الشباب ... من القوة؟؟

لماذا يراد للمال أن يظل كما هو ولا ينقص أبداً؟ لماذا يراد للمائة أن لا تنقص؟ تصبح مائة وعشرة أو مائة وخمس عشرة، أما أن تكون أقل، فلا، لم هذا؟ هذا خروج عن سنة الحياة ... عن فطرة الكون. فهؤلاء المرابون خارجون عن الفطرة، خارجون عن الدين.

ولهذا فإن الربا أمر لا شك في تحريمه، وهذا ما سار عليه المسلمون طوال ثلاثة عشر قرناً، منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وأقر في الناس الحق، وأقام العدل، وجاء بعده الراشدون، وجاءت بعده الدول المختلفة، منهم من استقام على الإسلام، ومنهم من انحرف عنه، ولكن بقيت هناك أشياء قطعية لا مجال لجدال فيها، من هذه الأشياء: تحريم الربا.

لم تجئ دولة من دول الإسلام طوال التاريخ: لا في العهد الأموي، ولا في العهد العباسي، ولا في عصر المماليك، ولا في العهد العثماني، ولا في أي عصر من العصور، لتقول بإباحة الربا، أو إباحة شرب الخمر، أو إباحة الزنى، لم يحدث هذا، هذه أمور مقطوع بها في دين الله.

لم يعرف المسلمون إباحة الربا إلا في عصر الاستعمار. عندما جاءنا

الاستعمار الغربي وأجلب علينا. بخيله ورجله، واحتل ديارنا، وأصبح هو المتحكم في رقابنا، وهو الذي يسوس تعليمنا، ويسوس اقتصادنا، ويسوس كل أمورنا، وأصبح التشريع في يده، وأصبح القانون في يده، وأصبح الاقتصاد في يده، وأصبحت الثقافة في يده، فأصبح كيف حياتنا وفقاً لفلسفته هو، لا لفلسفتنا نحن، فأحل ما حرم الله، وحرم ما أحل، وأسقط ما أوجب الله، وشرع ما لم يأذن به الله.

ومن أجل هذا عرفت المجتمعات الإسلامية لأول مرة حل «الربا» وقامت البنوك الحديثة هذه، وهي جزء من أجزاء المجتمع الرأسمالي، الرأسمالية الغربية لها أدوات، ومن أهم هذه الأدوات: البنوك. إن الرأسمالية تقوم على ساقين: الاحتكار، والربا. والربا يتمثل في هذه البنوك.

ما هي مهمة البنوك؟

مهمة البنوك أن تستقرض بالربا وتقرض بالربا. يعني: أنت عندك فائض من الأموال، فتذهب وتعطي البنك ودیعة ربوية، تعطيه «المائة» فيعطيك «عشرة» على المائة، فإذا ذهبت وأنت محتاج لتستقرض من البنك يعطيك بخمسة عشر أو بثلاثة عشر، والفرق بين النسبتين، هو ربح هذا البنك.

هذا هو البنك، عمله الأساسي المتاجرة في الربا، ليس عمله الأساسي أن يصنع ويزرع ويستثمر، وليس هذا هو عمل البنك التجاري التقليدي.

الذين يقولون: إن البنك يستثمر أموال الناس، يضللون الناس. هذا ليس عمل البنك، البنك عمله «دائن ومدين». حتى الكشف الذي يأتي الإنسان من البنك قائم على هذا الأساس «دائن ومدين»، ليس هناك عمل لهذا البنك في

أمور استثمارية، لا. فهذا البنك هو المرابي الأكبر، هو سمسار الربا الأعظم، يأخذ الأموال بفوائد، ويعطيها بفوائد أكثر، ويربح من هذا الفرق.

هذه الفوائد التي تأخذها البنوك، أجمع المسلمون أنها هي الربا المحرم شرعاً، لم يقل بذلك عالم أو اثنان أو ثلاثة، وإنما قالت ذلك مجامع فقهية قائمة على الاجتهاد الجماعي، وأول مجمع صرح بذلك وقرره بوضوح هو «مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر»، وذلك في سنة (1965م). كان مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الشيخ حسن مأمون العالم الكبير المعروف رحمه الله، وكان فيه ممثلون لخمس وثلاثين دولة إسلامية، وفيه من فطاحل العلماء المعروفين أمثال: الشيخ محمد أبو زهرة ... الشيخ فرج السنهوري ... الشيخ علي الخفيف ... الشيخ محمد السائيس ... الدكتور محمد البهي ... الشيخ نديم الجسر، وغيرهم وغيرهم من علماء العالم الإسلامي أجمع هؤلاء بصريح العبارة: أن فوائد البنوك هي الربا الحرام، وعلى البلاد الإسلامية أن تحاول إقامة بدائل عن هذه البنوك.

ثم جاء المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، وأكد ما قرره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

ثم جاء مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي وأكد ما قرره المجمعان السابقان.

وجاء المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة سنة (1976م)، وكان فيه أكثر من ثلاثمائة عالم جاؤوا من أنحاء العالم ما بين علماء شريعة وعلماء اقتصاد وعلماء محاسبة، وقرروا

بالإجماع أن الفوائد هي «الربا الحرام».

وأشهد أنني حضرت هذا المؤتمر، وكان رجال الاقتصاد أشد حماساً  
لتحريم الربا من رجال الفقه.

وجاء المؤتمر العالمي الأول للفقهاء الإسلاميين المنعقد في الرياض ومؤتمر  
الدعوة المنعقد بالمدينة المنورة، ومؤتمرات المصارف الإسلامية التي  
انعقدت في دبي، وفي الكويت، وفي القاهرة، وفي استانبول، وفي غيرها من  
البلاد، كلها تؤكد أن الفوائد هي «الربا الحرام».

هذا أمر لم يعد هناك خلاف فيه.

وقلنا: الحمد لله استراح المسلمون، وأغلقوا هذا الملف ... ملف الفوائد  
والربا.

كنا في أوائل هذا القرن، حينما ابتلينا بالهجمة الاستعمارية الغربية، التي  
أحلت الحرام، وجعلت المنكر معروفاً، حدث هناك خلاف بين بعض العلماء:  
في فترة من الفترات قال من قال: يجب أن نسير وراء المجتمع الغربي  
نأخذ الحضارة الغربية، بخيرها وشرها وحلوها ومرها، ما يحب منها وما  
يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ودعوا إلى ذلك بصراحة.

ثم جاء آخرون - وكانوا أهون من هؤلاء - وحاولوا أن يبرروا الواقع،  
وقالوا: نحن نحاول أن نبرر ما نستطيع تبريره من الحضارة الغربية. كان  
همهم تبرير الواقع لا محاولة التحرر من الواقع الدخيل عليهم. حاولوا أن  
يستسلموا للواقع وأن يبرروه، بماذا يبررونه؟ بتأويلات وتفسيرات ما أنزل  
الله بها من سلطان، يحاولون بها أن يسندوا هذا الواقع الدخيل على الأمة،

أرادوا أن يلبسوا الخواجة الأوربي عمامة شيخ مسلم؟

قالوا: إن ربا الجاهلية غير الربا الحاضر.

وربا الجاهلية هو نفسه «الربا الحاضر». إنك تأخذ المال في مقابلة الأجل، وليس هناك أي عمل ولا أي جهد، وهو الربا الموجود في العالم كله، هذا هو الربا.

قال بعضهم: إن الربا المحرم هو ربا الاستهلاك وليس ربا الإنتاج. ربا الاستهلاك: من يستدين منك أو يستقرض منك ليأكل أو يشرب أو يلبس، أما ربا الإنتاج: فهو الذي يريد أن يتاجر ويستثمر، قالوا: هذا لا دخل له بالربا!!

وهذا ليس بصحيح. الإسلام حينما جاء حرم الربا كله، سواء كان للتجارة أم كان للاستهلاك، وهل كان العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممن كان يرابي في الجاهلية - إذا أتاه رجل يريد أن يأكل يقول له: لا أعطيك إلا إذا دفعت لي كذا؟! وهو الذي كان يسقي الحجيج كل الحجيج على حسابه.

وقال بعضهم: إن الربا المحرم هو ربا الأضعاف المضاعفة، الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أُضْعَفًا مَّضْعَفَةً} [آل عمران: 130].

وجميع المفسرين من جميع المدارس والمذاهب اتفقوا على أن هذا القيد لبيان الواقع. يعني أنهم كانوا يأكلون الربا حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة «الربا المركب» فهذا هو الذي نهى عنه. لكن ليس معنى هذا أنه لا يحرم إلا الأضعاف المضاعفة، لأنه لو صح هذا لكان الربا لا يحرم إلا إذا كان ستمائة في المائة (600%)! لأن كلمة «أضعاف» جمع، وأقله ثلاثة، فإذا ضاعفناها

- ولو مرة واحدة - تصبح ستة أضعاف. فهل الربا لا يحرم إلا إذا كان ستة أضعاف هل هذا معقول؟

فهؤلاء الذين حاولوا أن يبرروا الربا في أوائل هذا القرن، سقطت كل شبهاتهم، ولم يبق منها شيء، واستطاع المسلمون أن يتحرروا من هذه العقد، وأن يجمعوا على تحريم الربا، سواء كان للاستهلاك أم للإنتاج، قليلاً كان أم كثيراً.

الربا هو الربا، الإسلام إذا حرم شيئاً حرم قليله وكثيره كما في الخمر. يريد أن يفظم الناس عن الحرام، وأن يسد الباب إلى الحرام بالكلية. فهذا ما جاء به الإسلام.

في أول الأمر كانت هناك هذه التبريرات، ثم جاءت بعد ذلك صحوة، وقام وعي إسلامي، وعاد كثيرون إلى الإسلام، وإلى كنوزه يكتشفونها ويعرفون أسرار هذه الشريعة. من هؤلاء من هم من رجال الفقه، ومنهم من هم من رجال الاقتصاد، ورجال القانون والمالية، فوقفوا وبينوا أخطار الربا وما وراءه، من أزمات.

حتى الغربيون أنفسهم قالوا: إن الربا وراء أزمات الكساد، وأزمات الاقتصاد في العالم، ولا يمكن أن يتخلص العالم من هذا إلا إذا أصبحت الفائدة صفراً، ومعنى أن تصير «صفراً»: تلغي.

جاء رجال من رجالات المسلمين، وكتبوا في ذلك كتابات رائعة: الدكتور محمد عبد الله العربي أستاذ المالية بجامعة القاهرة، الدكتور عيسى عبده إبراهيم أستاذ المحاسبة، الدكتور محمود أبو السعود أستاذ الاقتصاد، الدكتور

أحمد التجار ... وكثيرون من رجال الاقتصاد.

ثم رجال الشرعية بعد ذلك كتبوا في هذا الأمر وبينوا: لماذا حرم الله الربا؟ وأنه لا بد للأمة أن ترفض الربا، حتى لا تأذن بحرب من الله ورسوله، ولا تصاب في أنفسها وأبناءها وأموالها وحياتها كلها، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»<sup>(85)</sup> ظهور الزنى دلالة على فساد الناحية الاجتماعية، وظهور الربا دلالة على فساد الناحية الاقتصادية، فإذا اجتمعت العلتان ضاعت الأمة «فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله».

وجاءت بعد ذلك مرحلة أخرى: هي مرحلة إيجاد البدائل. الناس قالوا: حرمت علينا الربا ولكن ماذا نفعل؟ ألا يوجد بديل لهذا الأمر؟ وقال لهم أهل العلم: لا يوجد شيء حرمه الله إلا وفي الحلال ما يغني عنه، لا يمكن أن يحرم الله على الناس شيئاً يضطرون إليه، نستطيع أن نقيم بنوكاً لا تتعامل بالفائدة.

قالوا: هذا مستحيل، الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفائدة الربوية عصب البنوك، فلا تحلوا ببنوك بلا فائدة.

ولكن هذا الحلم تحقق، وقامت البنوك الإسلامية، قام أول بنك في العالم الإسلامي في «دبي»: بنك دبي الإسلامي. وقام بعد ذلك: بنك فيصل الإسلامي المصري ... بنك فيصل الإسلامي السوداني. بيت التمويل الكويتي

(85) رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (35/2) برقم (1061).



... البنك الإسلامي الأردني ... إلخ.

واتسعت البنوك الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي وهنا في قطر بنكان إسلاميان، وكان هذا أثرًا من آثار الصحوة الإسلامية المعاصرة.

الصحوة المعاصرة كان لها آثارها في الحياة كلها: آثارها في التعليم، آثارها في الفكر والثقافة، آثارها في التشيع، آثارها في الناحية الاقتصادية. وكان من أهم هذه الآثار في الناحية الاقتصادية: ظهور البنوك الإسلامية التي لا تتعامل بالفائدة. وظهر بيوت الزكاة وصنادق الزكاة، وظهر مؤسسات مالية وشركات لا تتعامل بالربا.

وقلنا: الحمد لله، أصبح أمام المسلم فرصة ليجد البديل عن الحرام، حتى لا يطعم لقمة من حرام، ولا يدخل جيبه ولا رصيده في البنك درهم من حرام، ولا يطعم أولاده من حرام، ولا يربيهم من حرام. كان هذا من فضل الله تعالى.

ثم وجدنا - للأسف من يفتح هذا الملف الذي أغلق، ويعود فيثير الشبهات القديمة التي فرغ العلماء منها ومن الرد عليها، ليقول: الفوائد حلال. بل أكثر من ذلك يهاجم البنوك الإسلامية، البنوك التي تقوم على أساس من شريعة الإسلام، وهي نعمة من الله تعالى.

كيف تهاجم بنوكًا قامت على أساس من أحكام الإسلام، واستقبلها المسلمون في أنحاء العالم بالترحاب، ويشرف عليها علماء من أجلة العلماء في العالم الإسلامي كله؟!!

لا أدعى أن البنوك الإسلامية معصومة من الخطأ، لا، ليس هناك عصمة،

هناك أخطاء في البنوك الإسلامية، تقل في بنك وتكثر في بنك آخر، ومن أحسن البنوك الإسلامية: البنوك التي في «قطر»، لأن فيها رقابة شرعية وتدقيقاً شرعياً داخلياً إلى حد كبير، وهناك بنوك أشد التزاماً مثل: بنك «التقوى» في «سويسرا».

هذه البنوك قامت على أساس من الإسلام، فكيف يأتي عالم مهما بلغ منصبه يهاجم هذه البنوك الإسلامية، ويطالب بإلغائها؟!!

لقد خطونا خطوة إلى الأمام، وهو يريد منا أن نتأخر إلى الوراء؟!!

البنوك الربوية نفسها أرادت أن تجاري هذه البنوك الإسلامية، وفتحت فروعاً للمعاملات سموها «فرع المعاملات الإسلامية» في البنوك الربوية. هم أنفسهم يعرفون أن بنوكهم ليست إسلامية، وهو يقول: لا، بنوككم إسلامية، رغماً عنكم يا معشر البنكيين، ويا معشر المصرفيين!!!

ويقول: إن من لا يحدد الربح أنا ضده!! لا يجوز أن لا نحدد الربح!! يجب أن نحدد الربح!! على خلاف ما أجمع عليه علماء الأمة طوال تاريخهم، أجمعوا على أن تحديد الربح لأحد الطرفين لا يجوز.

هذه فتنة أيها الإخوة - نسأل الله السلامة منها.

ولكن الذي أقوله: إنه ليس عندنا «بابوات»، ليس عندنا «بابا» معصوم: ما يحله في الأرض فهو محلول في السماء، وما يعقده في الأرض فهو معقود في السماء، كل عالم عندنا قابل للخطأ، كل أحد يؤخذ من كلامه، ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وخصوصاً إذا جاء هذا العالم معارضاً لعلماء الأمة كافة.

هل يستطيع شيخ أن الأزهر أن يجمع مجمع البحوث الإسلامية بعلمائه من مختلف البلاد، وينظر في هذه القضية، ويصدر رأياً باسم المجمع يلغي ما أصدره سنة (1965م) من أكثر من ثلاثين عاماً؟ هل يستطيع أن يلغي القرار السابق لمجمع البحوث بقرار جديد يقول فيه: إن فوائد البنوك حلال وليست كما قرر المجمع القديم؟

هل يستطيع هذا؟

نحن نقول: إن كل عالم يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، وهو المعصوم من كل خطأ. إننا نأسف أشد الأسف أن يقع بعض علماء الأمة في مثل هذا الأمر ... في مثل هذا الخطأ الجلل، فيجل مثل هذا الحرام الصريح وهذا المنكر الخبيث. ونسأل الله تعالى أن يتوب على كل من انحرف عن الطريق القويم، وأن يهدي الضالين، وأن يردهم إلى الصراط المستقيم، إنه سميع قريب. أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أعظم ما يتقرب به المسلمون إلى الله: «تعليم القرآن وتعلمه» كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله

عنه، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(86)</sup>.

ومن هنا ينبغي أن نحرص على تعليم أولادنا القرآن الكريم، أو ما تيسر منه على الأقل، وقد أحسنت وزارة الأوقاف في أن فتحت كثيرًا من المساجد لتعليم القرآن، وأقامت مراكز لتحفيظ القرآن الكريم، ومنها هذا المسجد<sup>(87)</sup>.  
فشجوا أبناءكم على هذا الأمر، عسى أن يكون القرآن شفيعًا لكم ولهم إن شاء الله يوم القيامة.

وهناك بعد الصلاة توزيع جوائز على الفائزين في مسابقة القرآن الكريم.  
اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.  
اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً.  
اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

\* \* \*

(86) رواه البخاري والترمذي عن علي رضي الله عنه، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه «فيض القدير» للمناوي (499/3) برقم (4111).  
(87) مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالدوحة

7 - توضيح الحق في فوائد البنوك<sup>(88)</sup>

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أكره الأشياء إلى نفسي ثلاثة أمور:

**الأمر الأول:** أني أكره التكرار، لا أحب أن أكرر نفسي، ولا أن أكرر غيري، ولا أن أضيع الأوقات في توضيح الواضحات، وتحصيل الحاصلات، ونشر النشرة، كما يقولون. وقديماً قال: توضيح الواضحات من المشكلات.

**الأمر الثاني:** أني أكره الجدل العقيم الذي لا يأتي بنتيجة، والذي يظل كل امرئ بعده متمسكاً برأيه، متعصباً لما ذهب إليه، فهذا لا فائدة فيه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»<sup>(89)</sup> ثم تلا قول الله تعالى: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: 58] أي شديد المجادلة، وهذا وصف لقريش في جاهليتهم.

**الأمر الثالث:** أني أكره تتبع المخالفين لي والرد عليهم، فإن الأعمار أضيق وأنفس من أن تضيع في مثل هذا، ولو أن الإنسان تتبع كل كلمة تقال

(88) ألقيت في جامع «عمر بن الخطاب» بالدوحة، يوم الجمعة 1417/12/4 هـ الموافق 1997/4/11 م.

(89) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي، وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير» عن أبي أمامة «فيض القدير» (453/5) - (454) برقم (7934).

عنه، أو كل رأي يقال في حقه، لقضى عمره في تتبع هذه الأمور، ولكنني أشغل نفسي أبداً ببيان الحقائق، أكثر ما أشغلها بالرد على الأباطيل.

ومن أجل هذا استكرهت نفسي على موضوع اليوم الذي أحدثكم فيه، وهو ما يتعلق بفوائد البنوك، لأنني سبق أن ألقيت خطبة في هذا الموضوع<sup>(90)</sup>.

ولا أحب أن أكرر هذه الخطبة - وأنا ألفت كتاباً في هذا الموضوع تحت عنوان: «فوائد البنوك هي الربا الحرام»<sup>(91)</sup>، وطبع منه عشرات الآلاف والحمد لله.

ولكن الأمر إذا أصبح ظاهرة للتشكيك في المسلمات وتحويل القطعيات إلى احتمالات، أصبح الأمر يقتضي الرد، ويقتضي الوقوف بحزم أمام هذه الظاهرة المرضية الخطيرة والفتنة الفكرية الجسيمة، التي تريد أن تحوّل المحكمات إلى متشابهات، والقطعيات إلى ظنيات، والإجماعيات إلى خلافيات، فأصبحنا نشكك في الأمور البديهية في أحكام الدين، ليس هذا في الأمر ولا في أمرين، ولا في حكم ولا في حكمين.

رأينا من يشكك في ميراث الذكر والأنثى من الأولاد، وهو قطعي في كتاب الله {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ} [النساء: 11].

(90) انظرها في هذا الجزء (ص 79).

(91) وقد طبعته «دار الصحوة» بالقاهرة و«دار الوفاء» بالمنصورة عام 1410هـ - 1990م. ومكتبة وهبة بالقاهرة، وطبعه أكثر من مصرف إسلامي، ليوزع مجاناً. ثم طبعه «المكتب الإسلامي» طبعة خاصة على نفقة «مصرف قطر الإسلامي» عام 1418هـ - 1998م. وقد لاقى الكتاب قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً، وكان له صداه القوي في إبلاغ هداية الله، وإسماع صوت الحق، وكشف الزيف، والرد على الشبهات والأباطيل، والحمد لله رب العالمين.

رأينا من يشكك في إباحة تعدد الزوجات.

رأينا من يشكك في وجوب قوامية الرجل على الأسرة ومسؤوليته عنها.

رأينا من يشكك في تحريم الخمر، ويقول: إن الله لم يحرمها، ولكن قال:

«فاجتنبوه»<sup>(92)</sup>!

رأينا من يشكك في حرمة الخنزير، ويقول: إن الخنزير الذي حرم لم يكن

مثل خنزير زماننا، إنها كانت خنازير تأكل القاذورات، أما خنازير اليوم فهي

خنازير حديثة «مودرن» تربي تحت إشراف صحي!

رأينا هذا ورأينا هذا كله.

وأبرز ما تجلت فيه هذه الظاهرة مسألة: الربا ... الفوائد الربوية.

هناك من يشككون في تحريم الفوائد الربوية!

والمدهش أنهم يدخلون عليك مدخلاً عجيباً، يقولون: لا، نحن لا نشكك في

تحريم الربا، الربا حرام، وكبيرة من الكبائر، وملعون على لسان محمد صلى

الله عليه وسلم، ومن أنكر حرمة الربا فهو كافر مرتد مارق من دينه. ولكن

نقول: إن الفوائد ليست من الربا! كمن يقول لك: أنا لا أشكك في حرمة

الخمر، الخمر حرام، الخمر أم الخبائث، الخمر إحدى الكبائر، ولكني أقول:

الشمبانيا ليست من الخمر، والكونياك ليس من الخمر، والويسكي ليس من

الخمر!

(92) في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

ما قيمة هذا الكلام؟

إنه كلام خطير، يضلّل الناس، ويموه الحقائق.

وهذا ما أنكرته على برنامج «قضايا وآراء»<sup>(93)</sup>، وهو من أحب البرامج إلى نفسي، وقد شاركت فيه أكثر من مرة في قضايا عدة، لأنه يطرح الرأي وضده، وأنا من أنصار الحوار، ومن أنصار حرية الرأي، ولست مستبدًا بشيء.

ولكن هناك أشياء يبدو فيها القصد إلى التميع.

قبلت من الإخوة مرة ومرتين أن يناقشوا هذا الأمر، وقلت لهم على رأس هذا المنبر: يكفي هذا، ولكنهم لم ينتصحووا، وجاءوا بحلقة ثالثة، فما المقصود من هذا كله؟

وماذا يقول هؤلاء الذين أتوا بهم؟

لم أسمع شيئاً ذا بال.

أنا أعيب على هذا البرنامج أمرين أساسيين يتعلّقان بالمنهج:

**الأمر الأول:** أنهم يناقشون قضايا علمية فقهية دقيقة على الرأي العام، كل من هب ودب يشارك فيها، وهذا خطأ منهجي. مثل هذه الأمور تناقش في حلقات علمية فقهية بين أهل العلم والفقه.

حينما طلبوني فأول حلقة لأناقش في هذا الأمر اعتذرت لهم، وكان اعتذاري، لأنني ذاهب إلى مصر بدعوة من صديق لي ولشيخ الأزهر،

(93) الذي كانت تقدمه إذاعة قطر ظهر كل يوم خميس، مدة من الزمن.



لنناقش هذا الموضوع في حلقة ضيقة يحضرها عدد محدود من أهل الفقه، وأهل الاقتصاد، وأهل البنوك الربوية والإسلامية.

وعلى الرغم مني وأني قلت له: ما أظن أن هذا سيفيد قال: علينا أن نعذر إلى الله ونؤدي واجبنا، وذهبت إلى مصر في اليوم الأول للحلقة الأولى في برنامج «قضايا وآراء»، وانتظرنا أن يحضر الشيخ الأكبر، ولكنه اعتذر لأسباب عنده<sup>(94)</sup>.

المهم أن معالجة هذه الأمور يجب أن تكون في حلقات علمية وفقهية واقتصادية للخبراء والعارفين بهذه الأمور، ولا يطرح هذا على الملأ. هذا هو الخطأ المنهجي الأول.

**والخطأ المنهجي الثاني:** هو انتقاء أناس معينين، عرفوا بالشذوذ عن إجماع فقهاء الأمة، والبرنامج يبحث عن هؤلاء بإبرة حتى يأتي بهم، ويعطيهم الوقت الطويل، ويأتي ببعض النكرات ويقول: الأستاذ الكبير، والفقيه العظيم، إلى آخره، ثم إذا جاءه من يرد عليه يقول له: أمامك ثلاث دقائق ... خمس دقائق!

سبحان الله، أين العدل؟!!

هذا خطأ منهجي.

(94) كان الذي أعد ورتب لهذا اللقاء هو صديقنا الشيخ صالح كامل، وكان في بيته في القاهرة، ودعى إليه عدد محدود أذكر منهم الدكتور عبد العزيز حجازي، والدكتور حسين حامد حسان، والدكتور عبد الرحمن يسري، والفقير إليه تعالى، وبعض رجال البنوك التقليدية، ولما حضرنا عند الشيخ صالح أبلغنا باعتذار الإمام الأكبر. «القرضاوي»

إذا أردت أن تناقش هذا الأمر على الملأ ولا بد، فهات من أهل العلم والفقہ في أنحاء العالم الإسلامي، ممن شاركوا في المجمع الفقهي، التي أجمعت على أن فوائد البنوك هي الربا المحرم شرعاً، وهذا قلته من قبل.

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ سنة 1965م، والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقہ الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمرات الاقتصاد الإسلامي، ومؤتمرات الفقہ الإسلامي، ومؤتمرات الدعوة الإسلامية، كل هذه أجمعت - بعلمائها وفقهائها واقتصاديتها ومحاسبيها - على أن فوائد البنوك هي الربا الحرام.

بل قلت: إننا كنا في مؤتمر اقتصادي عالمي، وقد شك فيه نحو ثلاثمائة من رجال الاقتصاد في العالم، ومعظمهم جاءوا من أمريكا ومن أوروبا، وكان رجال الاقتصاد أشد حماساً لتحريم الربا من رجال الفقہ والشريعة!

ماذا قال هؤلاء الذين جاء بهم البرنامج؟

قالوا كلاماً عجيباً.

لا أريد أن أتعرض لكلام شيخ الأزهر، فهو لم يقل شيئاً جديداً، وطلب أن يعرض الأمر على لجنة تبحث فيه، وهذا أمر طيب يحمد له.

ولكن هو زعم أن البنوك التجارية التقليدية التي نسميها «ربوية»، تستثمر أموال الناس! وهذا ليس بصحيح.

البنوك التقليدية التجارية هذه لا تستثمر الأموال، وهذا يعرفه الذين يعملون فيها، ونعرفه من قراءة قوانينها وأنظمتها الأساسية، فهي لا تعمل في التجارة ولا في الاستثمار.

هي تأخذ المال من زيد وتعطيه لعمره. أنت تودع مالك لها أو تقرضها - بالتعبير الصحيح لأن إقراض - بعشرة، ويأتي عمرو ليأخذ منها هذا المال في مشروع له بثلاثة عشر، وتكسب هي من الفرق ما بين الإقراض والاقتراض.

هذا هو المعروف في هذه البنوك، وهذا هو مقتضى قوانينها، ولا أجد أحدًا ينكر هذا من الذين يعملون في البنوك، وهذا هو الربا.

ما هو الربا؟

الربا ليس شيئاً جديداً، الربا كان موجوداً قبل الإسلام، كان موجوداً في الجاهلية العربية، وكان موجوداً في الجاهلية الرومانية، وكان موجوداً في الجاهلية اليونانية، كان موجوداً عند أمم شتى، ولا زال موجوداً إلى اليوم.

الربا: أن تعطي المال لآخر ليستخدمه مدة من الزمن، على شرط أن يعود لك بفائدة عليه محددة، متناسبة مع الزمن، مع ضمن رأس المال، عمل فيه أو لم يعمل، كسب فيه أم خسر، كسب قليلاً أو كثيراً، خسر قليلاً أو خسره كله.

هذا هو الربا. هو ربا الجاهلية، وهو ربا البنوك الحالية «الانترست» كما يسمونه.

لا أدري كيف يجادل الناس في البدهيات ... في الأمور الواضحة؟! وكيف يشكك الناس في هذه المسلمات؟!!

هذا أمر عجب.

هناك من الناس الذي استضافهم البرنامج من قال: الربا في الذهب

والفضة، وهذا ليس ذهبًا ولا فضة، بل هو نقود ورقية.

وهذا أمر ناقشته من قديم في كتابي «فقه الزكاة»<sup>(95)</sup>، وقلت: إن هذه النقود الورقية هي التي يدفعها الإنسان المسلم مهرًا فيتزوج به المرأة، ويدفعها ثمنًا فيستحل به السلعة، ويدفعها أجرًا فيستحل به عرق العامل، ويدفعها دية في القتل الخطأ، وعلى قدر ما يكون عنده من هذه النقود يكون غناه، وعلى قدر قلتها يكون فقره.

وهل يسمح أحد بأن تؤخذ منه هذه النقود الورقية أو يقاقل عنها؟

هذا كلام ما عاد له قيمة.

ثم وجدنا من يصفه البرنامج بأنه فقيه عظيم يقول: إن البنك لا يصح منه ربا، ولا يقع منه ربا، لأن البنك ليس شخصًا مكلفًا - المكلف مثل: زيد وعمرو فلان وعلان - إنما البنك شخصية معنوية!

هذا ما شم رائحة العلم، ما عرف أن الشخصيات المعنوية أيضًا عليها تكليف.

بيت المال شخصية معنوية، المسجد شخصية معنوية توقف الأوقاف عليه، الدولة شخصية معنوية، مجلس النواب شخصية معنوية.

يمكن أن يقول: إن الدولة يمثلها الحاكم. نقول له: البنك يمثلته المدير، أو المحافظ أو يمثلته مجلس الإدارة.

(95) انظر: الجزء الأول من الكتاب (ص 271 - 276) «زكاة النقود الورقية» ط. مؤسسة الرسالة.

هذه الشخصيات المعنوية لها اعتبارها.

وفي الفقه: نجد الخلطة في زكاة الأنعام. فالنبي عليه الصلاة والسلام اعتبر من مخلط أنعامه بأنعام شخص آخر، أصبحت كأنها ملك لرجل واحد، بتعبيرنا: أصبحت شخصية معنوية. وطرد ذلك الإمام الشافعي في جميع الأموال، وأخذ بذلك مؤتمر الزكاة الأول بالكويت: أن نعتبر الشركة التي اختلطت فيها رؤوس الأموال بمثابة شخص واحد، كما هو مذهب الشافعي وبعض الفقهاء.

فكيف يقال هذا؟!!

هل معنى هذا أن نقول: إن للدولة أن تفعل ما تشاء، تحكم بغير ما أنزل الله، تحل الحرام، وتحرم الحلال وتسقط الفرائض، وليس عليها مسؤولية، لأنها شخصية معنوية، وإن للشركات أن تبيع الخمر، وتبيع الخنزير، وترتكب المحرمات، ولا شيء عليها، لأنها شخصية معنوية، وليست شخصاً مفرداً مجسماً مكلفاً؟!!

هذا كلام لا يقوله إنسان عرف الفقه.

والمشكلة أن البرنامج لا يعرف الفقيه من غير الفقيه. بل هي مشكلة كثير من المسلمين، الذين يحسبون كل واعظ أو خطيب جيد، فقيهاً جيداً!!

الفقيه من كان له إنتاج فقهي معتبر: كتب، رسائل، فتاوى. ومن شهد له العلماء بأنه من أهل الفقه، بغض النظر من أي كلية ومن أي جامعة هو، قد لا يكون من جامعة قط، بعض الفقهاء ما تخرجوا في جامعات، وليس معهم دكتوراه.

لكن المسألة ليست دكتوراه، ولا ماجستير، ولا بكالوريوس. المسألة أن الفقه علم ودراسة، وممارسة ومعايشة، الفقه بحر عميق لا يستطيع أن يغوص فيه إلا غواصون. فهؤلاء لا يعرفون من هم أهل الفقه ولا من هو غيرهم، ويأتون بإنسان ويقولون بأنه اقتصادي كبير، وهو ليس اقتصادياً، هو قانوني ... إلخ.

على كل حال، الذي يهمننا هو «الأدلة»، من يقول الرأي بدليله القوي الحجة المقنع - والله - نرحب به أيًا كان موقعه.

ولكنني لم أر - للأسف - من الذين جاء بهم هذا البرنامج من قال شيئاً مقنعاً.

هناك من قال: إن النبي عليه الصلاة والسلام مات ولم يبين ما هو الربا؟ وروى أثرًا عن عمر رضي الله عنه، وهو أثر لم تثبت صحته، وحتى ولو ثبتت صحته فإن عمر قال: «كنت أود أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلينا في أمور ثلاثة: الجد، والكلالة، وأبواب من الربا»، وهو لو صح هذا عنه يقصد «ربا البيوع» وليس «ربا النسيئة»، لأن ربا النسيئة أمر مقطوع به<sup>(96)</sup>.

كيف يمكن أن نتصور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يبين

(96) المشهور أن الذي كان يقول بإباحة ربا الفضل «أو ربا البيوع» من الصحابة إنما هو ابن عباس رضي الله عنهما، ثم رجع عن رأيه حين سمع عمر وابنه عبد الله يحدثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يدل على تحريمه وقال: حفظتما من رسول الله ما لم أحفظ. «نبيل الأوطار» للشوكاني (299/5). وهذا يؤكد لنا تهافت القول المنسوب إلى عمر رضي الله عنه وعدم صحته.

كبيرة من الكبائر؟!!

كيف قال للصحابة: «اجتنبوا السبع الموبقات...»<sup>(97)</sup> و وعد منها  
«الربا»؟!!

كيف لعن النبي صلى الله عليه وسلم أكل الربا، ومؤكله، وكاتبه،  
وشاهديه، وقال: «هم سوا»<sup>(98)</sup> ولم يسأله أحد ما هو الربا يا رسول الله؟!!

كيف أنزل الله تلك الآيات التي تهتز لها القلوب، وتتشعر لها الأبدان:  
{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ  
مِّن رَّبِّهِ فَآتَتْهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ 275 يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ 276 إِنَّ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 277 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا  
مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 278 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 275 -  
279]. كيف قرأ المسلمون هذه الآيات ولم يعرفوها؟ ولماذا لم يسألوا رسولهم،

(97) في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله  
عنه، ونصه: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك  
بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم  
الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». «المنتقى من كتاب الترغيب  
والترهيب» برقم (719، 1054).

(98) رواه مسلم، وغيره، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. «المنتقى من كتاب الترغيب  
والترهيب» (534/2) برقم (1056).

الذي أنزل الله إليه الذكر ليبين للناس ما نزل عليهم؟

وقبل ذلك نزلت في سورة آل عمران، بعد غزوة أحد بعد السنة الثالثة من الهجرة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130].

وكذلك نزل في سورة النساء عن اليهود: {وَآخِذْهُمْ الرِّبَا وَقَدِّ نُهُوا عَنْهُ ...} [النساء: 161].

بل في سورة الروم في العهد المكي: {وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوتَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوتَ عِنْدَ اللَّهِ ...} [الروم: 39].

كيف لم يفهم الصحابة هذه الآيات، ولم يسألوا عنها؟!

أهذا معقول؟!

ما معنى: { ... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ...} [المائدة: 3]؟

ما معنى: «تركتم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» (99)؟

نقول له: لا يا رسول الله ما تركتنا على المحجة البيضاء، تركتنا على طريق مظلمة، التبس فيها الحق بالباطل، واختلط فيها الحابل بالنابل، والحلال بالحرام، حتى أن هذه الكبيرة الموبقة لا نعرف ما هي؟!

أهذا معقول يا عباد الله؟!

(99) رواه ابن ماجه، عن العرياض بن سارية، وصححه الألباني وسكت عنه البوصيري.



ولكن وجدنا من يقول هذا الكلام الغريب.

وجدنا من يقول: إن الفقهاء اختلفوا في علة الربا، وقال ابن عقيل: إن كلام الفقهاء فيها كلام ضعيف.

وهؤلاء الناس يتكلمون في أمر ليس هو موضع النزاع، الكلام هذا في علة ربا البيوع... في الأصناف الستة: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح: مثلاً بمثل، بدأ بيد، فمن زاد أن استزاد فقد أربى...»<sup>(100)</sup>. هذا الكلام في العلة في هذه الأصناف الستة، ونحن لا نبحث في ربا البيوع، نبحث في ربا النسئة، وهذا لا كلام فيه، لا يدخل في مسألة التعليل، هذا موجود بالنص: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة...» لا يحتاج إلى تعليل ولا إلى قياس. الربا في «النقود» هذا أمر منصوص عليه لسنا في حاجة على علة حتى نقيس الفرع على الأصل، وغير المنصوص على المنصوص، وقد أصبحت النقود الآن هي النقود الورقية، فهذا كلام لا معنى له.

وقال من قال من هؤلاء: إن تحديد الربح أمر جاء به الفقهاء، وليس عليه نص ولا دليل. وأنا أقول: إن ما يجري في البنوك ليس من باب المضاربة حتى تدخل مسألة الربح. ما يجري في البنوك التقليدية «إقراض»، ليس مضاربة بينك وبين البنك حتى نقول: إنه يمكن تحديد الربح، الربح شيء آخر. حتى علماء الاقتصاد أنفسهم يقولون: إن عوائد المشروع هي إما أجرة،

(100) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. «فيض القدير» للمناوي (571/3) برقم (4355).

أو فائدة، أو ريع، أو ربح. الفائدة لمن مدك برأس المال حسب النظام الرأسمالي، إنه يعطيك رأس المال أو جزءاً منه ويأخذ الفائدة المشروطة، سواء كسب المشروع أم خسر، والريع لأصحاب العقار أو المعدات، والأجرة للعمال الذين اشتغلوا، والرب لصاحب المشروع أو المنظم، قد يبقى له ربح وقد لا يبقى، وقد يكون قليلاً، وقد يكون كثيراً، وقد يخسر بالمرّة.

هذا هو النظام الرأسمالي.

الربح لا يمكن أن يتحقق إلا بعد انتهاء العملية، لا يمكن أن يحدد مقدماً، الربح المتوقع شيء، والربح المحقق شيء، والمتوقع أمر قد يحدث وقد لا يحدث، وقد يحدث عكسه تماماً، حتى الذين يقولون بالتضخم وتعويض التضخم، لا نستطيع أن نعرف حقيقة التضخم إلا بعد مضي المدة، أما قبلها فهذا لا يمكن، لأنه قد يحدث تضخم وقد لا يحدث، وقد يحدث قليلاً وقد يحدث كثيراً، وقد يحدث العكس.

لو أن النقود هبطت قيمتها وتغيرت الأسعار إلى الانخفاض، هل يتغير الأمر؟ من الذي يدفع في هذه الحالة: الدائن أم المدين؟ البنك أم الذي أقرض البنك؟ لا يتغير الأمر.

فنحن نؤكد أن الربا المحرم شرعاً، والذي لا شك فيه هو: الزيادة المشروطة المسبقة على رأس المال بغير مقابلة عوض إلا التأخير فقط، إلا تأخير المبلغ، إلا الزمن. بغير مقابلة أي شيء، لا بيع ولا شراء، ولا شيء من هذا.

بعض الإخوة العاملين في البنوك هنا كتب في صحف قطر، وأطال

وأعاد، وكرر وكرر، وبعث إلي، وهو يقول كلامًا مضحكًا في الحقيقة، يقول: الربا ليس معناه «الزيادة»! ما معناه؟ يقول: معناه «المضاعفة»! من أين أخذت هذا؟ قال: إن الإنسان إذا عمل حسنة يضاعفها الله!!!

أهذا منهج علمي؟!

من أراد أن يعرف معاني الألفاظ، فليرجع إلى معاجم اللغة ... إلى «لسان العرب» ... إلى «القاموس» ... إلى شرح القاموس «تاج العروس»، ارجع إلى «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني، ارجع إلى «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي أصدره مجمع اللغة العربية في مجلدين، بل ارجع إلى «مختار الصحاح»، ستجد أن «الربا» معناه: الزيادة، يقول لك: «ربا» أي: زاد، ونما، وعلا، هذا ما تدل عليه مادة «ربا»، ومنه «الربوة» لأنها مرتفعة زائدة على ما يحيط بها، ومنه قوله تعالى: {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} [الحاقة: 10]، أي زائدة في الشدة، ومنه قوله تعالى: {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} [النحل: 92] أي أكثر في الزيادة والقوة، ومنه «ربا فلان في حجر فلان» يعني: زاد، ونما، وهكذا، المادة كلها تدل على النمو والزيادة.

لكن هذا جاء بكلام عجيب، وخالف كل الناس، وأتى بما لم تأت به الأوائل، بل اكتشف ما غاب عن الفقهاء والشراح والمفسرين واللغويين، وجاء بكلام من عنده، ليس عليه أثارة من علم ولا هدى ولا كتاب منير.

يقولون: إن الفوائد أصبحت ضرورة للأمة أو مصلحة لها.

والله إن كانت هناك ضرورة فهذا أمر يقدره أهل الرأي، والضرورات تقدر بقدرها. إذا كانت مصلحة فلا عبرة بالمصالح إذا صادمت النصوص

القواطع، المصلحة إنما تعتبر إذا كانت مصلحة مرسله، أي: لم يأت من الشرع دليل على اعتبارها ولا دليل خاص على إلغائها. واشتراطوا في هذه المصلحة ألا تصادم نصًا شرعيًا ولا قاعدة شرعية، فكيف بما يصادم النصوص والقواعد والمقاصد؟

إني أهيب بالمسلمين جميعًا أن يقفوا عند حدود الله عز وجل. لقد أحق الله الحق، وأبطل الباطل، والحلال بين والحرام بين.

وإلا فإن معنى كلام هؤلاء، أنه لا يوجد في العالم الآن «ربا». لأن الربا الذي يقولونه: أن يذهب شخص إلى شخص آخر - على الطريقة القديمة - يريد أن يأكل أو يشرب، فيقول: اعطني، فيقول: لا أعطيك إلا إذا دفعت لي كذا - بل بعضهم يقول لك: حتى هذا ليس حرامًا، لأنه يريد أن الحرام هو «ربا المضاعفة» يعني: الربا (100 %)، وبعضهم يقول: الحرام ما كان «أضعافًا مضاعفة» يعني: (600%) - هذه الصورة من صور المعاملات الربوية لم تعد موجودة، لم يعد هناك شخص يذهب إلى شخص مراب يقول له: أعطني.

أصبح الربا في صورة منظمة، أصبح البنك هو المرابي الأكبر، هو الذي يمثل المرابين القدامى. وبنوكنا صورة من البنوك الغربية، الموجودة في العالم الرأسمالي كله، فإذا لم يكن عندنا ربا فليس عندهم ربا. مقتضى ما يقوله هؤلاء: إنه لا يوجد ربا في العالم، لا تقولوا عن اليهود أنهم أكلة ربا، ولا أنهم وراء المصارف الربوية، ولا تقولوا هذا، اليهود مبرأون من هذا كله، لا تصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد وأبو داود النسائي وابن ماجه عن أبي هريره، أنه قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل

الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»<sup>(101)</sup>.

هؤلاء يقولون: لا، هذا كذب، الربا انتهى! لأنه لم يعد هناك من صور الربا القديم الذي يذكرونه، هذا هو الربا كما يفهمه الناس الآن، وهم يعتبرون التعامل مع البنوك من الربا المحرم.

ماذا أقول لهؤلاء؟

قالوا تحديد الربح لم يرد عليه دليل. وأنا رددت على هذا من نحو أربعين سنة في كتابي «الحلال والحرام في الإسلام»، وقلت: هناك دليلان أساسيان على هذا الأمر:

**الدليل الأول: الإجماع.** قال الإمام ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه العلم من أهل الفقه، أن اشتراط دراهم معلومة لأحد المتعاقدين في المضاربة، لا يجوز، هو حرام. وذكر طوائف من العلماء حرّموا هذا الأمر. ونقل هذا عن ابن قدامة، ونقل عنه ذلك النووي، ونقل عنه ذلك آخرون.

فهذا هو الإجماع، والإجماع حجة، ولم يعرف خلاف هذا في خلال القرون كلها، ما عرف عالم خرج عن هذا الأمر.

**الدليل الثاني:** وهناك دليل آخر يعتبر سند هذا الإجماع. هذا الدليل هو أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم في المزارعة أن يشترط لأحد الطرفين شيئاً

(101) «شرح السنة» للبعوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (55/8)، برقم (2055). ورواه الحاكم أيضاً وعلق صحته على سماع الحسن من أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا الذهبي، ورجح الشيخ شاكر سماعه منه في تخريجه للحديث (7138) من «المسند». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (535/2 - 536) برقم (1064).

معين. كانوا يزارعون على أراضيهم، فيشترط صاحب الأرض قطعة معينة - على الجداول النهرية أو على المكان الفلاني أو قناطر معينة - يقول: هذه القطعة تكون ثمرتها لي، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن ذلك، في أكثر من حديث نهاهم عن هذا الأمر، وقال: «فربما أخرجت ذه، ولم تخرج ذه»<sup>(102)</sup>. ومعنى هذا أن يكون لأحد الطرفين غنم مؤكد والآخر عليه غرم محتمل، والعدالة تقتضي أن يشترك الشريكان في الغرم والغنم، هذه هي عدالة الإسلام المحكمة.

هذا هو ما جاء به الإسلام في المزارعة، وقد قال العلامة ابن قدامة: المضاربة مزارعة في المعنى. وهذا صحيح.

وأنا أقول: المزارعة أخت المضاربة، أو المضاربة أخت المزارعة. المزارعة مضاربة في الأرض، والمضاربة مزارعة في المال. كل منهما نوع من الاشتراك. في المزارعة يشترك صاحب الأرض والزارع، وفي المضاربة يشترك رب المال والعامل، يتعاون صاحب المال مع صاحب الخبرة والجهد، ومن خلال هذا التعاون تقتسم الثمرة بينهما، ربحاً أو خسارة، قليلاً أو كثيراً، في الغرم والغنم، هذه هي العدالة، هذه مقتضي المشاركة، التضامن من المسؤولية، لا أن يكون لك الغنم أبداً، وأن يكون علي الغرم وحدي.

(102) قطعة من حديث رافع المتفق عليه، قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلًا، وكان أحدنا يكري أرضه، فيقول: هذه القطعة لي، وهذه لك، فربما أخرجت ذه ولم تخرج ذه، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم. «شرح السنة» للبعوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (254/8)، برقم (2178).

هذا ما جاء به الإسلام: «المضارب أمين» فلا يمكن أن يكون الأمين ضماناً، أمين على هذا المال، يعمل فيه لحساب الطرفين، إلا إذا قصر أو تعدى.

إذا ثبت عليه التقصير أو التعدي والخيانة، يتحمل المسؤولية، وما عدا ذلك فهو أمين على هذا المال، ولذلك لا يضمن هذا المال.

فهذا هو الذي جاء به هذا الدين، الذي أقام الموازين القسط بين الناس.

يا أيها الإخوة:

لا أستطيع أن أسترسل أكثر من ذلك، كل ما أقوله: أني لم أجد شيئاً مما قاله هؤلاء الناس يستحق الرد العلمي الصحيح، كلها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشروع ولا من العقل برهان.

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعل لنا من عسرنا يسراً، وأن يهين لنا من أمرنا رشداً.

اللهم اكفلنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم آمين، ادعوا الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في العشر الأوائل من ذي الحجة، وهي أيام مباركات، كما جاء عن ابن عباس: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» يعني العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا

الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»<sup>(103)</sup> يبذل نفسه لله وماله لله.

ولذلك سن في هذه الأيام التحميد والتهليل والتكبير<sup>(104)</sup> والذكر والاستغفار والصدقة والصيام. وأؤكد أيام الصيام فيها: اليوم التاسع من ذي الحجة «يوم عرفة»، فصيامه مؤكد - لغير الواقفين بعرفه - وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «صيام يوم عرفة إنني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده، والسنة التي قبله»<sup>(105)</sup>.

فاحرصوا على صيام هذه الأيام، وابدأوا تكبير العيد عقب كل صلاة من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق (23 صلاة) واستعدوا لهذا العيد بالأضحية لمن قدر عليها، ويستطيع الإنسان أن يضحي في بلد آخر خصوصاً في البلاد الفقيرة، والأضاحي هناك أقل ثمنًا من هنا. تستطيع بثمن الأضحية هنا أن تضحي بثلاث أو أربع في بلد آخر، وتعين إخوانك المسلمين الفقراء.

وأنصحكم - أيها الإخوة - ألا تنسوا في هذه الأيام إخوانكم الذين يعانون ما يعانون، من جراء الظلم والبطش، والاضطهاد في فلسطين في أرض

(103) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (351/1، 32)، برقم (610).

(104) روى الطبراني في «الكبير» بإسناد جيد: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح، والتحميد والتهليل، والتكبير». «المنتقى من كتاب الترغيب والترغيب» (352/1) برقم (610).

(105) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وهذا لفظه عن أبي قتادة رضي الله عنه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (316/1)، برقم (525).



النبوات، الذين يلاقون ما يلاقون، ويسقط منهم الشهداء والجرحي في كل يوم، نتيجة: العنجهية الإسرائيلية، والتجبر الإسرائيلي، وهذا السكوت أو الصمت العربي أو العجز العربي، والغياب الإسلامي.

ينبغي ألا ننسى إخواننا هؤلاء، ما استطعنا أن نعينهم فلنفعل ولا ننسى إخواننا في السودان، وإخواننا في كشمير، وإخواننا في سائر البلاد. أقل ما يجب أن ندعو الله تعالى لهم، نهتم بأمرهم، نشغل أنفسنا بهمومهم وأحزانهم.

نحن الآن في فترة عصبية، في زمن رهيب، زمن يهجم فيه على الإسلام من يمين وشمال، تهاجم فيه الصحوة الإسلامية، والأمة الإسلامية من كل جانب، فليس أماننا إلا الله، نلجأ إليه، ونلوذ بجانبه، ونعتصم بحبله، ونتضرع إليه، أن يكشف الغمة، ويفرج الكربة عن هذه الأمة، وأن يلتف بعضنا ببعض، ونقف متلاحمين، كما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَّرْصُومًا} [الصف: 4].

اللهم ول أمرنا خيارنا، ولا تول أمرنا شرارنا، وارفع مقتك و غضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد أماناً مطمئناً، سحاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]. اللهم آمين.

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

## 8 - القرآن قدس الأقداس الرد على المشككين في القرآن

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كانت هناك موضوعات عدة تتنازعني لأحدثكم عنها:

هناك قضية المسلمين الأولى: قضية فلسطين ... قضية القدس ... قضية المسجد الأقصى، وما يببب له وما يدبر في شأنه، كانت تستحق الحديث.

وهناك قضية اقتصادية كنا بدأناها: البنوك وفوائد البنوك، والربا الذي آذن الله فاعليه بحرب من الله ورسوله، ومحاولات بعض الناس أن يستحلوا ما حرم الله، وأن ييطلوا ما شرع الله، بجهل أو غباء أو اتباع هوى، أو تقليد أعمى.

هناك أكثر من قضية كانت تستحق الحديث.

ولكني أرجأت الحديث عن هذه الموضوعات، لأحدثكم في قضية خطيرة غاية الخطورة:

ذلك أن لكل أمة مقدساتها التي يجب أن تحفظها وترعاها، وتحميها من كل معتد عليها. ونحن عندنا مقدساتنا التي لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها أو يعبث بها.

قدس الأقداس عندنا هو القرآن الكريم، عمدة الملة، وأساس العقيدة

ومصدر الشريعة، وروح الوجود الإسلامي كله. فلا يجوز لمدع أو مغرور أن يتناول على هذا القرآن، هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بحديث مثله أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وغلبوا وانقطعوا. ولا زال الزمن يكشف لنا كل يوم عن معان جديدة في إعجاز هذا القرآن، تزيدنا إيماناً به، وبسر الله فيه.

هذا القرآن الذي حفظه الله تعالى وتكفل بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: {إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ الْحَافِظُونَ} [الحجر: 9] هذا القرآن وجدنا في عصرنا هذا من يتناولون عليه من رجال ونساء، أصبح القرآن كلا مباحاً لكل من هب ودب من الناس، يريد أن يتناول على هذا الكتاب الكريم.

من قال: القرآن منتج ثقافي:

هناك من قال عن هذا القرآن - كلام الله عز وجل، كتاب الله المبين، الحكيم، العظيم، إنه مجرد منتج ثقافي، انتجه الواقع وثقافة الواقع! فالواقع فاعل، والقرآن منفعل، هذا الواقع - أي واقع الجاهلية الذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس منها - كان مؤثراً في القرآن، والقرآن كان متأثراً به، القرآن مجرد منتج ثقافي، كأنما هو قصيدة من الشعر، أو قصة من النثر، أو مقالة لكاتب من الكتاب!

هذا ما قاله بعض الناس.

ورأينا هؤلاء وشاهدناهم وسمعناهم في القنوات الفضائية، وقيل لبعضهم: هل عندك خطوط حمراء؟ قال: لا، ليس عندي أية خطوط حمراء، كل شيء

قابل للنقاش، الألوهية ... النبوة ... قدسية القرآن ... إلهية القرآن، كل هذا عنده قابل للنقاش!

من ترفض شرع الله في الميراث:

والعجيب أن القنوات الفضائية أصبحت تفتح صدورها وأبوابها لهؤلاء الناس، المتطاولين على كتاب الله، ووجدنا من النساء - في إحدى القنوات الفضائية - امرأة... دكتورة ترفض آيات الميراث، ترفض حكم الله في قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ} [النساء: 11] وتقول: هذا حكم انتهى وقته، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت فما عاد هذا الحكم قائماً.

الله تعالى يقول: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}، ويقول في آخر الآية: {فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 11] ولذلك يسمى علم الميراث: علم الفرائض.

ويقول في الآية الثانية: {وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} [النساء: 12].

ويقول في الآية الثالثة: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ 13 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء: 13، 14].

ولكن تلك المرأة تقول: هذا حكم انتهى! يجب إذن أن نغير أحكام الشريعة، فليس الأمر كما قال الله: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]!

الرجل مطالب أن ينفق على الأسرة، وأن يدفع مهرًا للمرأة {وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} [النساء: 4] ليس الرجل إذن مطالبًا أن يدفع صدقة أو مهرًا للمرأة، وليس مطالبًا أن يؤسس بيت الزوجية، وليس مطالبًا أن ينفق على الأسرة، وليس مطالبًا أن يكون مسؤولًا عن الأسرة، يجب أن نلغي هذه الأحكام كلها!

تذويب الثوابت:

هؤلاء الناس يريدون أن لا يبقى شيء ثابتًا، ولا تكون هناك «ثوابت» تستقر عليها الأمة، وتتحرك في إطارها.

أمة بلا ثوابت معناها: «أن لا أمة»: كل مجموعة لها أحكامها ولها أفهامها، كل بلد له أفهامه، كل عصر له أفهامه، كل فرد له فهمه!

لم يعد الدين جامعًا إذن، وإنما أصبح لكل عصر دينه، ولكل بلد دينه، ولكل بيئة دينها، بل أصبح لكل فرد ينة!

هذا ما يريده هؤلاء.

لا توجد أمة بهذه الطريقة وبهذه الصورة.

إنهم يريدون التشكيك في ثوابت الأمة ... في القطعيات التي استقر عليها إجماع الأمة، وعلمت من الدين بالضرورة، وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، والخلف عن السلف، جيلًا بعد جيل، وأصبحت تجسد الوحدة العقدية، والفكرية والشعورية والسلوكية والعملية للأمة.

هؤلاء يريدون أن يشككوا في هذا كله، وهذه قضية في غاية الخطورة: أن

تصبح القطيعيات ظنيات، أن تتحول المحكمات إلى متشابهات ... أن تتحول مواضع الإجماع اليقيني إلى أشياء تناقش في قنوات الفضاء وفي الإذاعات، وفي الصحف والمجلات.

إذاعة قطر لها حلقتان تناقش فيهما قضية الربا: هل هو حرام أو ليس حراماً؟! وفوائد البنوك قضية انتهت منها المجمع، ومع هذا يريدون الكلام فيها مرة ومرة ومرة، ما المراد من هذا كله؟

تشكيك الناس في المسلمات وزعزعة الثقة بالقطيعيات. المسلمات القطعية يراد لها أن تكون موضع نقاش وجدال، وقيل وقال.

وإلا فما معنى هذا؟

ما معنى أن تناقش فوائد البنوك وقد اتفقت مجامع الأمة على أنها حرام؟! ما معنى أن تناقش تعدد الزوجات؟ ما شرعه القرآن حكم بطل زمانه:

ما معنى أن تدعى امرأة سليطة اللسان، جريئة على أحكام الله وحرمان الله، وتقول في قناة الجزيرة الفضائية القطرية: هذا حكم بطل زمانه؟!

الله تعالى يقول: {فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرُبُعَ فَإِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} [النساء: 3] تقول: هذا حكم بطل زمانه؟

من أنت أيتها الإنسانة حتى تحكمي على القرآن بأنه قد بطل زمانه؟! أجباء القرآن لزمن دون زمن ولعصر دون عصر؟! {أَفَنُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ { [البقرة: 85]؟(106).

إذا كان هوى الإنسان هو الذي يحكم على الله وعلى كتابه، انتهت الشريعة، وانتهت العقيدة، وانتهى الدين. الدين جاء حاكمًا لا محكومًا جاء يقودنا لنتبعه لا ليتبعنا هو. إذا أصبح الدين تابعًا لنا ... لأهوائنا. لأرائنا، معناه أن الدين لم يعد حكمًا نرجع إليه إذا اختلفنا، ونعود إليه إذا انحرفنا.

الله تعالى يقول: {فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء: 59]، وهؤلاء لا يريدون أن يردوا الأمر إلى كتاب الله. إذا رددتهم إلى كتاب الله يقولون لك: هذا حكم زمانه مضى!

الخنزير الذي حرمه القرآن وقال: {إِنَّهُ رِجْسٌ} [الأنعام: 145] (107) يقولون: هذا خنزير الزمن الماضي، أما خنازير زماننا فهي خنازير حديثة «مودرن» لا تدخل تحت هذا الكلام!!

وهكذا يقولون في كل شيء.

كيف نقول في قول الله تعالى: {فَاتَّكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَى وَثُلُثٍ وَرُبُعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} [النساء: 3] أن هذا حكم بطل زمانه؟! لقد جاء الإسلام بالحكم العدل.

(106) وتتمتها: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

(107) في قوله تعالى {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}.

التعدد بين الإسلام وغيره:

كانت هذه القضية موجودة في الأمم: عند العرب في الجاهلية، وعند الرومان، وعند سائر الأمم، حتى قالوا: أن داود عليه السلام كان عنده مائة امرأة ومائتا سرية، وأن سليمان عليه السلام كان عنده ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية. وكان العرب يعددون بغير قيد ولا شرط، فجاء القرآن ووضع قيداً وشرطاً: القيد أنه لا زيادة على الأربع {مَثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ}.

والشرط هو العدل، أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل {فَإِنْ خِفْتُمْ} «مجرد الخوف» {أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} [النساء: 3].

والعجيب أن هؤلاء يقولون: إن القرآن قال: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} [النساء: 3]، ثم قال في الآية الأخرى في نفس السورة: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [النساء: 129] فكأن القرآن حلل في الآية الأولى وحرّم في الآية الأخرى!

أهذا يفعله عاقل؟ أيهدم القرآن ما بناه في سورة واحدة؟ هذا لا يفعله العاقل من الناس فكيف بأحكم الحاكمين؟!

{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ}: أي أن العدل الكامل غير مستطاع. ولو أكملوا الآية لوجدوا تفسير هذا، لأن الآية تقول: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} [النساء: 129] لن تستطيعوا، الإنسان لا يكلف بما لا يستطيع، لأن العدل الكامل أن تعدل في كل شيء: في الظاهر والباطن، في النفقة والكسوة والمبيت والسكن «وهذه هي الأشياء الظاهرة». وأن تعدل في الميول



والعواطف فتحب هذه مثل ما تحب تلك «وهذه هي الأشياء الباطنة» وهذا لا يملكه الإنسان.

ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم بين نسائه في الأمور الظاهرة: النفقة والكسوة، والمبيت، ولكنه يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»<sup>(108)</sup>. يعني بما لا يملكه: أمر القلب وأمور العواطف، فهذه لا يملكها الإنسان.

ولذلك نرى الآية تقول: {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} [النساء: 129] والمعلاة: التي لا هي مزوجة ولا مطلقة. ومعنى الآية ومفهومها: أن بعض الميل متسامح فيه، بعض الميل معتقر، لأن الإنسان لا يستطيعه ولو حرص. ولا يكلف الإنسان بما لا يستطيع {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286]، {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16] فهذا معنى الآية الكريمة.

أما أن يقول هؤلاء: إن القرآن اشترط شرطاً وقال إنه مستحيل! فكيف يفعل هذا أحكم الحاكمين عز وجل؟! وكيف عدد النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف عدد الصحابة؟ وكيف عدد التابعون؟ وكيف عدد المسلمون طوال أربعة عشر قرناً؟!

عجيب أن تقول هذه المرأة: هذا حكم بطل زمانه! كيف بطل زمانه والعالم يعدد إلى اليوم؟! كل العالم يعدد، ولكن هناك من يعددون في الحلال ومن

(108) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وإسناده قوي، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، عن عائشة رضي الله عنها. «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (151/9).

يعددون في الحرام.

الغرب كله يعدد، هذا أمر لا شك فيه، ولكنه تعدد لا إنساني ولا ديني، ولا أخلاقي، هذه حقيقة معروفة. الإنسان الغربي يعاشر امرأة خلية له ... رفيقة ... عشيقة، ولا يتزوجها، أما في الإسلام فلا، الإسلام يعالج الأمور بصراحة، ويقول: إذا كنت محتاجًا إليها فتزوجها، والتزم بما توجيه عليك الحقوق الزوجية، وإذا جاء منكما نسل فهو منكما، له حق الأبوة والأمومة. هذا ما جاء به الإسلام.

الغرب كله يعدد، ولكن تعدد الخليلات لا تعدد الحليلات، وهؤلاء يريدون أن نكون كالغربيين. وعندما قال المذيع لهذه الإنسانية: ماذا تقولين في ثمانية ملايين من النساء في أمريكا أزيد من عدد الرجال؟ لم تجب عن هذا السؤال، وقالت: وإذا زاد عدد الرجال ماذا نعمل؟ ولكنها لم تجب عن الملايين الثمانية من النساء.

ماذا نعمل إذا زاد عدد النساء على الرجال؟ وكثيرًا ما يحدث هذا، ثم هناك قضية أخرى: كل امرأة بلغت قابلة لأن تتزوج، وعدد الصالحات للزواج من النساء دائمًا أكثر من عدد القادرين على أعباء الزواج من الرجال. هذه قضية متفق عليها، لأنه ليس كل رجل قادرًا على أن يتزوج، ستظل هناك أعداد من النساء فائضة، فماذا نعمل في العدد الفائض؟

أمامنا واحدة من ثلاث:

- إما أن نترك هذه الأنثى مكبوتة ولا تحقق وجودها، ولا تحقق أنوثتها ولا تحقق الغريزة الفطرية في الإشباع ولا الغريزة الفطرية في الأمومة ولا

تتمتع بحياة زوجية ولا بأمومة، ونحكم عليها بالكبت والحرمان، وهذا ليس عدلاً.

- وإما أن ندع حبلها على غاربها في التسول الجنسي، والتسكع، تفعل ما تشاء، وهذا ما فعله الغرب، وهو ما يرفضه الإسلام.

- وإما أن نبيح لها أن تتزوج برجل متزوج، قادر على أن ينفق عليها وقادر على أن يعدل بينها وبين ضررتها، وهذا هو العدل.

التعدد لصالح المرأة والمجتمع:

يقولون: إن التعدد ضد المرأة! أي المرأتين؟ المرأة الأولى أو المرأة الثانية؟ المرأة الثانية هي امرأة أيضاً، وقد رأت من الخير لها والنفع لها أن تتزوج برجل متزوج، وأن تكون نصف زوجة، فذلك خير لها من الحرمان ... خير لها من العنوسة.

هذه أمور شرعها الله عز وجل، ليحل بها عقداً في الحياة ومشاكل في الحياة. هؤلاء الذين يتعاملون على الله، ويستدركون على الله، ويزعمون أنهم أعلم من الله بمصالح خلقه، نقول لهم: {ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: 140] أنتم أعلم من الله بخلقته؟ أنتم أرحم من الله بعباده؟ والله تعالى يقول: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14].

قالت هذه المرأة: إذا زاد عدد النساء وعرفنا أن هذه أنثى عن طريق الأشعة التي تصور الأجنة في بطون أمهاتها - نتخلص منها!!! أباحت إجهاض الأنثى، وهذه جريمة.

في مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة<sup>(109)</sup>. وقف الأزهر والكنيسة، وقف شيخ الأزهر<sup>(110)</sup> وبابا الفاتيكان، وفت الأديان كلها ضد الإجهاض وضد الاعتداء على الحياة.

هؤلاء يريدون أن يعيدوها جاهلية {وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ 8 بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: 8، 9] كان أخونا وصديقنا الدكتور حسان تحنوت الطيب والعالم الشهير - يسميها: «موءودة القرن العشرين».

«حينما يعرف أن الجنين أنثى يتخلص منها!! كيف يسمح لامرأة أن تقول هذا الكلام الخطير؟ وهي تكرر وتكرر: أن هذا الأمر قد بطل زمانه، وتقول أيضاً: هذا بطل زمانه مثلما أبطلنا قوله تعالى {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: 3]!!

الإسلام استحدث العتق ولم يستحدث الرق:

نحن لم نبطل هذا، القرآن لم يستحدث «الرق» إنما استحدث «العتق» لم يقل: استرقوا، وما جاء في القرآن «استرقوا» كل ما في الأمر أن العالم كان يتعامل بهذه القضية، وكان هناك عبيد وجوار، فجاء القرآن فقرر لهؤلاء

(109) في الفترة من 5 إلى 13 من سبتمبر 1994م وللشيخ القرضاوي خطبة كاملة حول هذا المؤتمر ووثيقته التي أصدرها نشرت في الجزء الثاني من هذه الخطب (ص 229 - 242).

(110) هو الشيخ «جاء الحق على جاد الحق» رحمه الله، الذي وقف موقفاً صلباً من محاولات «مؤتمر السكان» فقد رفض باسم الأزهر ما فيه من اتجاه إلى شرعية الإجهاض، وإباحة الشذوذ للرجال والنساء، والإباحية الجنسية، وانتزاع حق الآباء في الإشراف على تربية أولادهم ... إلخ، فجاءه الله عن الأزهر والإسلام خير ما يجزي العلماء العاملين والرجال المصلحين.

حقوقهم، وأبطل كل ما كان عليه أهل الجاهلية. سد الأبواب كلها، إلا بابًا واحدًا هو «الأسير» في حرب شريعة، وهذا الأسير لنا معه عدة تصرفات منها تصرفان ذكرهما القرآن: {فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد: 4].

{فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ} أن نمن عليه لوجه الله ونطلق سراحه، لنحبب إليه الإسلام.  
 {وَإِمَّا فِدَاءً} أن نفدي أسيرًا بأسير، أو أسيرًا بأسيرين أو أسيرًا بمال، أو أسيرًا بأي تعويض.

هذا ما نص عليه القرآن، وجاء في السنة.

واسترق النبي صلى الله عليه وسلم بعض السبايا من النساء والأطفال، ولم يسترق ذكرًا بالغًا قط، كما قال الإمام ابن القيم. هؤلاء السبايا أصبحوا ضمن الأسرة المسلمة، تدخل المرأة ضمن الأسرة والأطفال ضمن الأسرة المسلمة، وكما جاء في الحديث: «إخوانكم خولكم»<sup>(111)</sup>.

الاسترقاق أمر لم يرغب الإسلام فيه، بالعكس، جاء الإسلام بأشياء كثيرة جدًا لتحرير الرقيق، منها الكفارات: كفارة القتل الخطأ وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة الجماع في نهار رمضان، وكفارة من ضرب عبده ... إلخ.

فإذا جاء العالم وقالوا: لا عبيد ولا جوارى، فإن الإسلام يرحب بهذا،

(111) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه. «قيض القدير» للمناوي (221/10) برقم (304) و«كشف الخفاء» للعجلوني (69/1) برقم (163).

ولكن العالم لم يقل: لا تعدد.

إباحة الزنى وتحريم التعدد:

كما قلت لكم: التعدد موجود، ولكن الإسلام - لأنه دين واقعي - يعترف بالتعدد ويضبطه بشرائعه وقيمه وأخلاقه وقوانينه. أما أن نبيح للناس الزنى ونحرم عليهم التعدد، فهذه هي المصيبة، وهذا ما فعلته للأسف بعض البلاد الإسلامية العلمانية: تركيا وتونس في شمال أفريقيا، حيث حرمت التعدد وأباحت الزنى!

سمعت شيخنا الشيخ عبد الحلیم محمود «شيخ الأزهر» يحكي - هنا في قطر - أن رجلاً في إحدى البلاد العربية والإفريقية - التي تحرم تعدد الزوجات - تزوج من امرأة زواجاً عرفياً، لأنه لا يستطيع أن يوثق هذا الزواج رسمياً، فتزوجها بشهود ومهر، وكان يتردد عليها. قدمت شكوى في حقه، فتربصت به المباحث، حتى قبضوا عليه عند هذه المرأة، وأخذ الرجل ليحقق معه، وقالوا له: ألا تعلم أن تعدد الزوجات ممنوع بالقانون؟ قال: بلى أعلم. قالوا: فكيف تزوجت هذه المرأة وهذا لا يبيحه لك القانون؟ قال لهم: ومن قال لكم إنها زوجتي؟ إنها عشقتي ... رفيقتي. فقالوا له: أسفون كنا نحسبها زوجة لك!! وأمروا بتخلية سبيله وإطلاق سراحه!

أن تكون زوجة فهذا أمر يمنعه القانون، أما أن تكون رفيقة وعشيقة فهذا لا يمنعه القانون!

هذا ما يريد هؤلاء: أن يبيحوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، هذا أمر عجيب جداً.

عمر لم يبطل نصًا قرآنياً وحاشاه:

إن هؤلاء الذين يزعمون أن في القرآن أحكامًا بطل زمانها يتكئون على أمر يردد باستمرار، يقولون: إن عمر بن الخطاب عطل بعض نصوص القرآن لمصلحة رآها في زمنه: عطل نص المؤلفلة قلوبهم، ولم يعطهم من الزكاة، وعطل نص حد السرقة في عام المجاعة. فإذا كان عمر وهو من الخلفاء الراشدين المهديين - الذين جاء فيهم حديث: «فعلتكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»<sup>(112)</sup> - فعل هذا، فنحن أولى به! قالوا: ودلنا هذا على أن هناك أحكامًا مؤقتة في القرآن.

وهؤلاء ظلموا عمر رضي الله عنه. ما ألغى عمر نصًا في كتاب الله، ولا يملك عمر ولا غير عمر أن يبدل نصًا في كتاب الله أو يجمده. الرسول - عليه الصلاة والسلام - نفسه لا يملك هذا، والله تعالى يقول: {وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِفِرْعَانَ عَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس: 15].

ولذلك ذهب الإمام الشافعي وعدد من الأئمة إلى أن القرآن لا ينسخ بسنة، وإنما ينسخ القرآن بالقرآن، اعتمادًا على قول الله تعالى: {مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} [البقرة: 106]، والسنة ليست خيرًا من القرآن ولا مثل القرآن.

(112) قطعة من حديث العرباض بن سارية، الذي رواه أبو داود الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وهو الحديث الثامن والعشرون من أحاديث «الأربعين النووية».

فكيف يستطيع عمر أن ينسخ كتاب الله برأيه هو؟ وكيف يسكت عليه الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم؟

ما فعل عمر شيئاً من هذا.

كل ما فعله عمر أنه منع قومًا كانوا يأخذون من سهم المؤلفلة قلوبهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر.

ومن قال: إن إنسانًا إذا كان مسحًا للزكاة، يظل مستحقًا أبد الدهر؟ قد يأخذ الإنسان من الزكاة لأنه فقير في هذه السنة، ويغنيه الله فلا يأخذ في العام القادم، بل يصبح في العام القادم معطيًا للزكاة لا آخذًا لها.

هناك أناس من زعماء القبائل العربية: الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري وأمثالهما، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألفهم بلعاعة من الدنيا، يعطيهم إياها حتى يرسخ إسلامهم، وتثبت أقدامهم فيه، وتتبعهم قبائلهم.

ظل أبو بكر يفعل هذا معهم، وكذلك ظل عمر، حتى حسن إسلامهم وحسن إسلام قبائلهم معهم، فلم يعد الإمام في حاجة إلى أن يتألف قلوبهم، ولذلك قال عمر بصريح العبارة: إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم.

الإسلام الذي انتصر على الفرس والروم يتألف مثل هؤلاء الزعماء الأعراب؟! ما عاد الإسلام في حاجة إلى أن يتألف هؤلاء، هناك مصارف للزكاة أولى بحصيلتها من هؤلاء.

فعمر لم يسقط السهم لكن لم يوجد المستحق.



نحن في عصرنا لا يوجد سهم «في الرقاب» لأنه لا يوجد عبيد ولا إماء، هل نقول إننا عطلنا هذا النص؟ لم نعطله، بل لم يوجد المستحق.

إذا كان هناك في بلد لا تجمع الزكاة بواسطة «العاملين عليها» وإنما الأفراد هم الذين يعطون الزكاة، يكون سهم العاملين عليها موقوفًا وليس معضلاً، لأنه ليس موجوداً.

جائزة الملك فيصل العالمية فيها خمس جوائز منها جائزة الطب وجائزة العلوم وجائزة الدراسات الإسلامية وجائزة الأدب ... إلخ في بعض السنوات يقولون: حُجبت الجائزة، إذ لم يوجد من يستحقها. لا يقال هنا: ألغيت الجائزة. الجائزة موجودة ولكن لم يوجد بحث يرقى بصاحبه إلى أن يستحق هذه الجائزة، صفة الاستحقاق هي التي امتنعت وانتهت.

فهنا ماذا فعل عمر؟ إنه لم يعد هناك من يستحق أن يكون مؤلفاً قلبه، ولكن لم يبلغ النص، ولذلك القول الصحيح الذي ذهب إليه المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم: أن سهم المؤلفة باق أبداً الدهر، وهذا ما فصلته وأيدته بالأدلة في كتابي «فقد الزكاة» (113).

سهم المؤلفة باق، ونحن في حاجة إليه في عصرنا لتتألف الناس على الإسلام.

الذين يدخلون في الإسلام، ويحاربون من أهليهم وذويهم ومن الجماعات التنصيرية في حاجة إلى أن نتألف قلوبهم، حتى يرسخ إيمانهم.

نحن في حاجة إلى أن نتألف بعض الزعماء في بعض البلاد، وزعماء القبائل، ليدخلوا في الإسلام، ويدخل معهم من وراءهم، أو على الأقل لا يحاربون من دخل في الإسلام من أتباعهم.

هذه سياسة شرعية.

فكيف يقال إن عمر أوقف نصًّا في كتاب الله، وعطل حدًّا من حدود الله؟!

عمر كان وقافًا عند كتاب الله:

عمر كان من أوصافه: أنه كان وقافًا عند كتاب الله، لو ذكر له أحد آية أو حديثًا، سرعان ما يرجع عن رأيه إلى النص، حتى إن امرأة ردتته وهو على المنبر حينما أراد أن يضع حدًّا أعلى للمهور فقالت له: كيف تفعل هذا يا أمير المؤمنين والله تعالى يقول: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا} [النساء: 20] فأشارت الآية إلى أن المهر قد يبلغ قنطارًا، فرجع عمر عن رأيه إلى رأيها وقال: «أصابت المرأة وأخطأ عمر». مع أن ما استدلت به المرأة يمكن أن يناقش ويقال: القرآن ذكر هذا على سبيل المبالغة، ولكن عمر عاد عن رأيه إلى رأي المرأة.

لا يمكن لعمر ولا لغير عمر أن يعطل نصًّا من كتاب الله.

وما فعله في عام المجاعة من إسقاط حد السرقة، كان ذلك لأن شبهة قامت: أن الناس إذا اشتدت المجاعة وعمت لا يسرقون إلا من حاجة. لا يسرق السارق إلا لأنه جائع يريد أن يشبع بطنه وأن يملأ معدته، والجوع كافر، والجوع لا يرحم.

من أجل ذلك رأى عمر هذه شبهة عامة توجب إيقاف الحد. لم يجب الحد

ثم أسقطه عمر، لا، الحد لم يجب أساساً، لم يستوف شروطه، لم تنتف الشبهة، وقد جاء في الحديث: «أدراؤ الحدود بالشبهات»<sup>(114)</sup>، «أدراؤ الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»<sup>(115)</sup>.

وهذا كان في الحجاز فقط، ولكن في مصر أو في الشام أو العراق لم يرد أن الحد أوقف، حيث وجدت المجاعة وجدت الشبهة. فعمر لم يوقف حدًا وجب، لا، بل الحد لم يجب ولم يقم، لأنه لم يستوف شروطه، ولم تنتف مواعنه.

هذا ما فعله عمر رضي الله عنه.

فكيف يأتينا هؤلاء في آخر الزمان، ويقولون: أن في القرآن أحكامًا مؤقتة

(114) رواه الحارثي في مسند أبي حنيفة عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه ابن السمعاني عن عمر بن عبد العزيز مرسلاً، وقال الحافظ ابن حجر: وفي سنده من لا يعرف، وقال أيضاً: اشتهر على الألسنة والمعروف في كتب الحديث أنه من قول عمر بن الخطاب «كشف الخفاء» (71) برقم (166)، وذكر البيهقي في «المعرفة» أنه جاء من حديث على مرفوعًا. «فيض القدير» للمناوي (227/1) برقم (314).

(115) أخرجه الترمذي في الحدود عن عائشة رضي الله عنها، وقال: حديث عائشة لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث محمد بن ربيعة عن يزيد بن زياد الدمشقي عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه وكيع عن يزيد بن زياد نحوه ولم يرفعه، ورواية وكيع أصح، وقد روى نحو هذا عن غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ذلك، ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث ويزيد بن أبي زياد الكوفي أثبت من هذا وأقدم. «عارضه الأحوذى» (6/198)، (199) دار الكتب العلمية - بيروت.

وقد أخرجه الحاكم في «المستدرک» (384/4) وقال: صحيح الإسناد، وخالفه الذهبي بأن يزيد بن زياد قال فيه النسائي: شامي متروك.

قد بطل زمانها؟ أين هذا الكلام أيها القوم؟

القرآن جاء حجة الله على الناس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أحكامه ثابتة، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} تخاطب الناس وتخاطب المؤمنين في عهد النبوة، وفي عهد الصحابة، وفي الدولة الأموية، وفي الدولة العباسية، وفي الدولة العثمانية، وفي العصر الحاضر، وبعد العصر الحاضر وبعد عشرين قرناً، وإلى أن يشاء الله.

أحكام القرآن ثابتة لأنها تمثل أمر الله تعالى ونهيه، ولا يستطيع أحد أن يرد أمر الله تعالى ونهيه. كيف يستطيع المخلوق الضعيف أن يجعل نفسه نداً للخالق القوي القادر العليم الحكيم؟ كيف يستطيع الإنسان الضعيف المحدود الإدراك أن يقول لله: أنا أعلم منك بمصالحي ومصالح عبادك؟ {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف: 5].

قدس الأقداس هو القرآن الكريم، ولا يجوز أبداً أن نسمح لأحد أن يتناول على كتاب الله عز وجل، نحن نقول: إن علينا أن نطبق أحكام القرآن بضوابطها وشروطها.

لا شك أن هناك أناساً من المسلمين أساءوا استخدام هذه الأحكام، ووضعوها في غير موضعها، وهؤلاء لا شك أن الإسلام حجة عليهم وليسوا هم حجة على الإسلام.

يجب أن ندعو الناس إلى أن يلتزموا أحكام الله بشروطها. إذا وجد من يظلم زوجته الأولى أو الثانية، ولا يرعى حق الله فيها، ولا يقيم العدل، ولا ينفق عليها بالمعروف، فهذا قد خرج على حدود الله، وخرج على أحكام كتاب

الله، وكتاب الله حجة عليه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وان يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زالت الأيام تثبت ما قلناه: أن هذا السلام المزعوم سلام هش، سلام لا يقوم على أسس متينة، ولا على ركائز ركيئة، إنما يقوم على ما تريده إسرائيل.

ما تريده إسرائيل هو الذي ينفذ وهو الذي يمضي، وما نريده، لا نعطي منه إلا من ثقب الإبرة. هكذا يقول «نتنياهو» نحن نقرر والفلسطينيون ينفذون! يقول هذا بكل استعلاء ولا يبالي بأحد. لا يبالي بأمريكا، ولا بأوروبا، ولا بروسيا، ولا بالصين، ولا بالعرب، ولا بالعجم. إنه يقرر وينفذ ما يقرره بل يريد من الفلسطينيين أن ينفذوا ما يقرره هو.

ولذلك قرر أن يقيم مستوطنة في القدس الشرقية في جبل «أبو غنيم»، وبعد أيام قليلة سيبدأ التنفيذ، لأننا لا نملك إلا الصراخ ... إلا الاحتجاج، وهذا لا يغير من الواقع شيئاً.

لا يمكن أن تخضع إسرائيل إلا لمنطق القوة، لا لقوة المنطق، منطق القوة

هو الذي يجبرها على أن تتراجع.

الجهاد في سبيل الله، الانتفاضة الجديدة، انتفاضة الشباب والأطفال والرجال والنساء، حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، كل هؤلاء هم الذين يجبرون إسرائيل على أن تتراجع.

وقد لا تتراجع اليوم، ولكن على الأقل تبقى الشعلة متقدة لا تنطفئ أبدا حتى نسترد حقوقنا، وحتى لا نسلم في قدسنا ومسجدنا الأقصى.

هؤلاء لا يريدون أن يبقى لنا شيء، عشرات الآلاف يراود لهم أن يستوطنوا القدس الشرقية، وتبقى هذه الأقلية العربية المسلمة والمسيحية لا تساوي قطرة في هذا البحر من الإسرائيليين، هذا ما يريد هؤلاء المستكبرون.

ماذا نستطيع أن نقول إلا أننا نرفض هذا، ولا نسلم به، ونقول: نحن أصحاب الحق، وسنظل ندافع عنه، ونقاتل في سبيله ما دام فينا عرق ينبض ونفس يتردد.

ونحن نعتقد أن الحق منتصر في النهاية، قد يكون لليهود جولة أو جولتان أو ثلاث، ولكن دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

اللهم انصرنا وانصر بنا، اللهم أعزنا وأعز بنا.

اللهم أعز الإسلام وأيد المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا على أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم، وقل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد على القوم المجرمين.

اللهم هب لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم ول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

عباد الله، يقول الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

## 9 - القمر الصناعي الإسرائيلي

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

قرأنا في هذا الأسبوع نبأ أثار المواجه، وأحزن القلوب. ذلك النبأ الذي لا يزال صدهاء في العالم كله، فاجأتنا إسرائيل وفاجأت العالم كله، بأن أطلقت قمراً صناعياً، دخلت عالم الفضاء، وأصبحت ضمن دول ثمانية في العالم تملك هذا النوع من التكنولوجيا المتطورة.

وإسرائيل حينما تملك قمراً من هذا النوع، لا يمكن إلا أن يكون قمراً للتجسس علينا، سيكشف أرضنا شبراً شبراً، وفتراً فتراً، سيصور مواقعنا وسيصور أوضاعنا - دون أن تعتمد على أمريكا ولا على غيرها - وجهها لوجه هذا ما صنعته إسرائيل.

تذكرت هذا الذي فعلته إسرائيل، وتذكرت أننا كنا في ذلك الوقت قبل أن نقرأ هذا الخبر، في الليلة السابقة، في نقاش طويل وجدل حاد حول التصوير: أهو حلال أم حرام؟!

إسرائيل تصنع قمراً يصور أرضنا وديارنا وكل شيء عندنا، ونحن لا زلنا نتجادل: هل التصوير جائز أم ممنوع؟!

وذكرني هذا بأمر آخر: العالم الآن انتقل من مرحلة صناعية إلى مرحلة أخرى، نحن في أواخر عصر الصناعة الثاني. عصر الصناعة الأول هو الذي كانت الآلة فيه توفر الجهد البدني للإنسان، بدل أن يعمل الإنسان بجسمه



وبدنه، الآلة توفر عليه ذلك. بدل أن يمشي على رجليه، يركب السيارة. بدل أن ينسخ بيديه يجد المطبعة توفر له ذلك أضعاف الأضعاف وآلاف الأضعاف.

هذا عصر الصناعة الأول، الثورة الصناعية الأولى كانت مهمتها أن توفر الآلة طاقة الإنسان البدنية.

أما عصر الصناعة الثاني، فمهمة الآلة فيه أن توفر الجهد الذهني للإنسان، عصر الكمبيوتر، الشيء الذي يمكن أن تعمله في شهر أو في سنة يمكن أن يفعله الكمبيوتر في لحظة. بل إن قدرة هذا الجهاز العجيب «الكمبيوتر» تتضاعف يوماً بعد يوم.

هكذا وصل القوم.

ونحن ما دورنا؟ نحن مختلفون: ماذا نسمي هذا الشيء الذي صنعه القوم؟ أهو العقل الإلكتروني أم هو الدماغ الإلكتروني؟ أهو الحاسب الآلي؟ أم نسميه الحاسوب؟ أم نسميه المحساب؟ أم الحاسبة؟ أم نسميه الكمبيوتر؟ أم ... إلخ، هكذا نتجادل.

العالم صار شيئاً آخر. ونحن لا زلنا «مهلك سر» كالثور في الساقية أو الحمار في الطاحون، يدور ويدور ويسير ويسير، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي بدأ منه، حلقة مفرغة، دائرة لا نخرج منها، لا زلنا في سجن التخلف، لا زالوا يسموننا «البلاد النامية» والبلاد النامية كلمة مهذبة، تعبير ملطف، بدل أن يقولوا «البلاد المتخلفة» يقولون: «النامية»، مراعاة لمشاعرنا أو لعله إيهام لنا أننا في طريق النمو.

ونحن لا ننمو بالقدر الكافي، لأننا نحاول أن نلحق بالقوم فنلهث ونلهث، ونركض ونركض، ولكن نجد أن المسافة لا تضيق بمرور الزمن، بل تتسع وتتسع.

إننا نركب حمارًا، وهم يركبون حصانًا، فإذا ركبنا حصانًا ركبوا قطارًا أو سيارة، فإذا ركبنا السيارة وجدناهم ركبوا طائرة، فإذا ركبنا الطائرة وجدناهم ركبوا الصاروخ وركبوا مراكب الفضاء، ووصلوا إلى القمر، ثم نحن نقول: هل وصلوا إلى القمر؟ فينا من المشايخ من يقول: لا تصدقوا أنهم وصلوا إلى القمر، هذه خرافات!!  
هذا ما لا زلنا فيه.

ثم ماذا نصنع نحن؟ إذا ركبنا السيارة، هل نحن صنعنا السيارة؟ وإذا ركبنا الطائرة من أحدث طراز، فهل نحن الذين صنعناها؟ نحن لم نصنع محركًا قط، أي «موتور» نستورده. أعظم صناعة عندنا إذا ارتقت هي صناعة «التجميع»، نجمع في ديارنا، ولكن نبعد كل البعد عن «المحركات» وعن هذه الأشياء الأساسية في الصناعة.

أنحن متقدمون؟

ليس المتقدم هو الذي يركب سيارة من أحدث طراز، إنما هو الذي يصنعها. أنت حينما تركب «المرسيدس» الخمسمائة أو الألف، وتفتخر وتزهى وتتهب الأرض نهبًا، ما قيمتك يا راكب الخمسمائة والألف وأنت لم تصنع فيها ترسًا واحدًا؟!!

يمكن لمصانع ألمانيا أن تنتج لك ما تريد، وتخرجها باسمك خاصة،

وتضع فيها من الكماليات ما لم يوضع لغيرك، لأنها تأخذ نقودك، وتروج بضاعتها.

لسنا متقدمين إذن!

إذا كان غيرنا هو الذي يصنع لنا، لا تظنوا أننا دخلنا أبواب الحضارة ما دام هذا المكبر «المكيرفون» الذي أمامي ليس من صناعتنا، وما دامت هذه «الكاميرا» التي تصورني أمامكم للتلفزيون ليست من صنع أيدينا والتلفزيون الذي ينقل هذا من المسجد ليس من صناعتنا فنحن لسنا متقدمين نحن مستهلكون لا منتجون، ومستوردون لا منشئون، ومقلدون لا مبتكرون.

فعلينا أن نحزن على أنفسنا، وأن نبكي على أنفسنا، إذا استطاعت إسرائيل أن تطلق قمرًا صناعيًا، ونحن لا زلنا نتغنى بالقمر غناء الشعراء، ولا زلنا نختلف في حكم التصوير: هل يجوز لنا أن نطلق قمرًا يصور أو طائرة استطلاع تصور، والتصوير حرام؟! هذه هي حالنا.

لا زلنا في دائرة التخلف ما دمنا لا نصنع بأيدينا ما نحتاج إليه، إنما يصنع ذلك غيرنا، هذا هو التخلف حقًا. إذا كنا لا نزرع ما نأكله، ولا نصنع ما نستعمله، فهذا هو التخلف.

للأسف، بلاد المسلمين بلاد زراعية ولكنها تستورد نصف أقواتها من غير المسلمين! لو كفوا أيديهم عنا لمتنا جوعًا في كثير من بلاد المسلمين. ثم «الماكينات» والأجهزة من صنع غيرنا، والسلاح الذي ندافع به عن أنفسنا من الذي يصنعه لنا؟! استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تصنع بعض الأشياء، ولكن لا زالت الصناعات الثقيلة في أيدي غيرنا.

كيف استطاعت إسرائيل أن تفعل هذا كله ونحن لم نفعل شيئاً؟ لسنا مستقلين حقيقة، ولا سادة أنفسنا حقيقة، إذا لم يكن سلاحنا من صنع أيدينا.

حكوا أن أحد ملوك المسلمين في الهند من ملوك المغول، حينما ولي الملك بعد أن نصره الله على المشركين، أرادوا أن يحتفلوا بتتويجه، فكان من مراسم الحفل أن يركب فيلاً ضخماً مزيناً. فجئ له بالفيل وقيل له: اركب هذا الفيل لتمر بالمدينة ويراك الناس. فقال لهم: هذا الفيل من الذي يقوده؟ قالوا له: له سائس هو الذي يقوده، هو الذي يدربه، هو الذي يأمره قال: إذن لا يستطيع أن أركبه. لا أركب مطية زمامها بيد رجل غيري، هاتوا جوادي، وركب جواده لأنه هو الذي يستطيع أن يسوسه وأن يقوده وأن يحركه. أما أن يركب دابة لا يستطيع أن يوقفها فتقف، ولا أن يحركها فتتحرك، فلا.

هذا مثال لوضعنا. نحن نستخدم التكنولوجيا التي يصنعها غيرنا، ولذلك لو خربت أو تعطلت ما استطعنا أن نفعل شيئاً. في بعض بلاد الخليج تعطلت محطة كهربائية كبيرة وكان خللاً غير عادي، فتوقفت الحياة في نصف المدينة، لماذا؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أمام هذا الخلل شيئاً، لا بد من خبير أجنبي من المصنع الذي صنعها.

تصوروا إذا توقفت الكهرباء في بلد من بلاد الخليج ماذا يصنع الناس؟ لا تستطيع أن تشغل مكيفاً، ولا مروحة، ولا أن تشرب شربة من ماء بارد، ولا أن تجد في الليل ما يضيء غرفتك. ولكن لا بد من الخواجة، لا بد من الخبير. نحن إذن عالة على غيرنا.

ومع هذا أقول لكم شيئاً: كنت من عدة أشهر ألقى محاضرة دعيت إليها في

جامعة الملك فيصل بالدمام، وكان من الأسئلة العجيبة التي وجهت إلي بعد المحاضرة - وكان موضوعها عن «موقفنا من الحضارة» - سؤال يقول: أنت تحدثنا عن الحضارة، وعن التقدم، على حين سمعنا خطبة لأحد الدعاة الدينيين يقول فيها: الحمد لله الذي سخر لنا الإفرنج الكفرة ليشتغلوا بالعلم، وفرغنا نحن لعبادة الله!!!

انظروا غباء هذا الذي زعموه داعية للدين، يحمد الله على أن ملك الأفرنج العلم، وفرغنا نحن للتعبد! اعتبر هذه نعمة، وهي مصيبة، الله يحمد، ولا يحمد على مكروهه سواه، ولكن هذه بليية: أن نصبح عالة على غيرنا.

ربنا سبحانه وتعالى يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله...»<sup>(116)</sup>. منبله الذي يضعه في القوس أو النبل.

الصانع مثاب، لأنه يوفر للأمة ما تحتاج إليه، ولهذا قال فقهاء المسلمين: إن على المسلمين أن يكون لهم من العلوم والصناعات ما يغنيهم عن غيرهم. وهذا يعتبره العلماء من فروض الكفايات. لا بد أن يكون في الأمة من الأطباء

(116) رواه أبو داود واللفظ له، والنسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي من طريق الحاكم وغيرها، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (380/1) برقم (686)، قال الشيخ القرضاوي معلقاً على الحديث: وفي هذا ترغيب للمسلمين في إتقان الصناعات الحربية التي تمدهم بالسلاح والذخيرة، حتى لا يكونوا عالة على غيرهم، وأن فعل هذا بنية الخير لون من العبادة والجهاد يستحق صاحبه الجنة.

والمهندسين والكيمائيين والفلكيين والجيولوجيين والفيزيائيين، وجميع أصناف العلوم، وجميع أصناف الصناعات الدنيوية: المدنية والعسكرية، ما يسد الثغرات، ويغطي كل الحاجات، ولا يحوج المسلمين إلى أن يمدوا أيديهم لغيرهم، هذا فرض كفاية على الأمة.

ومعنى «فرض الكفاية»: أنه إذا وجد عدد كاف من العلماء والخبراء في الأمة الإسلامية سقط الإثم عنهم، وإذا لم يوجد هذا العدد أثم المسلمون عامة، باؤوا بالإثم ... بالمعصية ... بالذنوب، لأنهم فرطوا في واجب عليهم بالتضامن، أثم المسلمون عامة وأولو الأمر فيهم خاصة، لأنهم مسؤولون، وكل راع مسؤول عن رعيته «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته...»<sup>(117)</sup>.

نحن المسلمين علينا أن نحاول استدراك ما فاتنا، وأن نلحق بالركب، لا ندع إسرائيل تتفوق علينا. ولماذا تتفوق إسرائيل علينا؟

نحن أكثر من: مائتي مليون من العرب، وألف مليون من المسلمين جميعاً. عندنا قدرة بشرية هائلة نستطيع أن نفعل بها الكثير.

وعندنا القدرة المادية والاقتصادية، فبلادنا من أعظم بلاد الله من ناحية خصوبة التربة، ومن ناحية وجود البحار والأنهار، ومن ناحية وجود المعادن.

(117) رواه البخاري، ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وتتمته: «والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (553/2) برقم (1108).

ونحن من الناحية الروحية نملك الرسالة العظيمة القادرة على أن تسعد العالم، وهي رسالة الإسلام.

عندنا من مقومات السيادة والقدرة، ما يجعلنا نتبوأ مكانتنا تحت الشمس، لو استفدنا مما أهدنا الله له، ومما وهبنا الله إياه. ولكننا لم نستفد، لم نحاول أن نتقدم، لا زلنا ندور حول أنفسنا، لا نراجع أنفسنا ونحاسبها كما هو شأن المؤمن، الذي يحاسب نفسه وينقدها، قبل أن يحاسبه ربه، وهو شأن الجماعات المتحضرة أيضاً، وهو ما يسمونه «النقد الذاتي»: هل أثمر نظامنا التعليمي؟ هل أتى أكله؟ أو هو في حاجة إلى مراجعة.

أمريكا تتقد نظامها التعليمي، وكتب أهل الفكر والإصلاح فيها كتاباً أو رسالة تقول: «أمريكا على حافة الخطر» إذا لم تتدارك نظامها التعليمي. وجاءت بأناس من غيرها ... من اليابانيين، وقالوا لهم: قولوا لنا رأيكم في التعليم عندنا - التعليم بعيون غيرنا - ماذا تجدون فيه؟

انظروا: إلى هذا الحد ينقد القوم أنفسهم، ويراجعون سياساتهم.

نحن نخرج موظفين يجلسون على المكاتب. هل نخرج علماء وباحثين؟ نحن في حاجة إلى مراجعة أنظمتنا التعليمية، وفلسفتنا التعليمية، نحن في حاجة إلى تربية حقيقية.

نحن في حاجة إلى تطوير أوضاعنا الاجتماعية والثقافية والأخلاقية، بحيث نتيح الفرصة في أقطارنا للمواهب الشابة ... للنوابغ من أبنائنا.

للأسف في كثير من البلاد يقدم المنافق ... يقدم الثرثار ... يقدم المحسوب، ولا يقدم الكفاء القادر. كثيراً ما لا يوضع الإنسان المناسب في المكان

المناسب. الإنسان إذا لم يجد حقه ولم يجد مكانه، ولم يوضع في موضعه، كثيراً ما ييأس ويترك قومه ويهجر وطنه، أو ينكمش ويعتزل الحياة، وهو موهبة يمكن أن تنمو، وأن تثبت، وأن تثمر.

قد حكوا في أدبنا العربي أن عنتره بن شداد العبسي، كان أسود اللون، وكان أبوه يحقر شأنه ولا يكاد يعترف به، فكان متروكاً لرعاية الإبل كأنه أحد العبيد. فلما أغارت بعض القبائل على بني عبس وقف عنتره يتفرج وهو يرعى الجمال، وقد كاد المغيرون يقتحمون الحمى، وينتهكون الحرمات، ويسبون النساء، ويأخذون الأموال، فقال له أبوه: مالك؟ كر. قال له: يا أبت، العبد لا يحسن الكر، وإنما يحسن الحلاب والصر «أي: العبد ليست مهمته أن يكر ويهجم ويقاتل إنما مهمته أن يحلب الإبل والغنم». قال كر وأنت حر! فحمل سيفه وركب جواده وتصدى للمغيرين، فردهم، وأظهر بطولة أصبحت حديث القبيلة. ثم ظهرت بعد ذلك بطولاته فأصبح حديث العرب كلهم، وحديث الأجيال بعد ذلك، أصبح أسطورة من الأساطير.

ما الذي حدث؟

كان هذا الشاب مدفوناً حينما كان محقوراً، ولم يوضع في مكانه، فلما اعترف له بحقه - كر وأنت حر - فعل الأفاعيل، وأظهر الأعاجيب.

أعط للإنسان حقه، وأعط للنوابغ حقوقهم، هيء لهم المناخ العلمي، دع الزهرات تتفتح، افتح النوافذ لكي يستنشق الناس الهواء الطلق. هنا في مثل هذا المناخ تنمو العقول الذكية النابغة.

نحن للأسف في بلادنا العربية والإسلامية لا زلنا نقتل المواهب، ونؤد



النوابغ. ما أوجنا إلى جو إيجابي صحيح يعين على تنشئة العقول النابهة.

ثم إننا لا يمكن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة فرادى، لا يستطيع بلد واحد من بلادنا أن يلحق بالقوم. إسرائيل بمساعدة الغرب - طبعًا - استطاعت أن تصل، ولكن هي التي فرضت على الغرب أن يساعدها، هي التي استطاعت أن تؤثر في سياسة أمريكا. ونحن منا من له أصدقاء وحلفاء من الغرب وحلفاء من الشرق، ولم نستطع أن ننتفع بحلفاء الغرب ولا بحلفاء الشرق.

نستطيع أن نفعل شيئاً إذا تجمعنا، إذا تجمع العرب وتجمع المسلمون يستطيعون أن يفعلوا الكثير، إذا صمموا وأرادوا.

تستطيع باكستان أن تصنع قنبلة. كان الرئيس «ضياء الحق» رحمه الله يسميها: القنبلة الإسلامية، يقول: نحن لا نريدها قنبلة باكستانية، ولكنها القنبلة الإسلامية.

إذا كانت اليهودية قد ملكت القنبلة، والوثنية قد ملكت، فلماذا لا يملك الإسلام؟

تستطيع الدول الإسلامية أن تصل إلى ما تريد بالتخطيط، والاتحاد، والترابط. أما إذا اختلفنا وأرد كل منا أن يدخل الميدان وحده، فبهيات أن يصنع شيئاً.

ثم هناك أمر آخر: هذه الأمة أمة مؤمنة، أي لا يحركها إلا الإيمان، الدين هو العنصر الأول المؤثر فيها، إذا قذتها بـ «لا إله إلا الله والله أكبر» صنعت الروائع، صنعت المعجزات، أو ما يشبه المعجزات. انظر إلى ما فعله - من

يسمونهم - أطفال الحجارة، انظر إلى ما صنعه المجاهدون في أفغانستان، انظر إلى ما صنعه الذين اقتحموا خط «بارليف» في العاشر من رمضان (1393هـ).

الإيمان هو المحرك الأول لهذه الأمة، الإيمان يستطيع أن يجعل من الإنسان طاقة غير عادية، وأن يعمل بأضعاف أضعاف طاقته. نحن لا نستطيع أن نحلق بالقوم، وبيننا وبينهم مسافات ومسافات إلا من خلال رسالة يؤمن بها الأفراد، فتفجر مكنون طاقاتهم.

نحن لسنا أقل من القوم، لقد بدأت مصر نهضتها مع «اليابان» أو قبل اليابان بقليل، فانظروا أين اليابان وأين نحن الآن؟! بل انظروا إلى «كوريا» التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، ومنتجاتها الآن تغزو أسواق العالم في أوروبا وأمريكا، وأصبحت المنافس الخطر لليابان. انظروا إلى هذه المصنوعات التي تأتي من «تايبوان» و«هونج كونج» وغيرها. ما بالناس نحن؟ أليس لنا عقول كعقول القوم؟ لنا والله، ولكن نحتاج إلى إيمان يحركنا للعمل. إننا أقل بلاد الدنيا عملاً، وما رأيت مثل أمتنا في تكاسلها عن العمل.

لو أدرك الناس أن العمل للدنيا عبادة وجهاد، وأن المرء مأجور على كل عمل يعمل، لو نفخنا هذه الروح في الناس، لو قدناهم في طريق الإيمان الحق، لو رفعنا أمامهم المصحف وقلنا: اعملوا لله، واجعلوا حياتكم ومماتكم وصلاتكم ونسككم لله تعالى رب العالمين لا شريك له، لو فعلنا هذا لاستطعنا أن نعوض كثيرًا مما فاتنا.

ولكن بعض الناس يظن أن الدين شيء والدنيا شيء آخر، ولا علاقة للدين

بهذه الأمور. كأننا ندعو الناس إلى الدروشة، أو البطالة، أو إلى أن يجلسوا في التكايا أو الزوايا متبطلين، لا، نحن نريد الدين محرّكاً، محرّكاً يستطيع أن يصنع من الإنسان شيئاً جديداً وإذا هو انقاد باسم الله، وسار على طريق الله.

نحن قادرون على أن نعوض ما فاتنا لو أن الأمة سارت سير المؤمنين الصادقين، إن الله تعالى علمنا شيئاً من ناحية القتال ... من الناحية العسكرية: { ... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } [الأنفال: 65] (118)، بالإيمان والصبر يمكن أن يكون الإنسان قدر غيره بعشر مرات، تتضاعف طاقته عشر مرات { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ... }، وكذلك في معركة البناء والتقدم، نستطيع أن نفعل الكثير لو أننا استفدنا من هذا.

يا أيها الإخوة:

إننا أمام ما فعلته إسرائيل يجب أن نفكر ونفكر، ونعيد النظر في حياتنا كلها. إسرائيل تخدم هدفاً، وتقوم على أساس ديني، ولا بد أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، إذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، إذا قالوا: الهيكل، قلنا: المسجد الأقصى، إذا قالوا التلمود، قلنا: صحيح البخاري ومسلم. عندنا ما هو أقوى منهم، ولا يفل الحديد إلا الحديد وحديدنا أقوى من حديدهم.

اليهودية لن تقف أمام الإسلام إذا رفع شعاراً، وأصبح محوراً، وعاد محرّكاً، كما كان، للأمة في عصورها السابقة.

إن انتصار إسرائيل علينا ليس مجافاة للسنن، لأنه انتصار للعلم على

(118) وأولها { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ... }.

الجهل، وللعمل على الكسل، وللنظام على الفوضى، وللترايط على التفسخ، وللاتحاد على الاختلاف.

نحن إذا أردنا أن نتنصر عليهم، فلا بد أن نراعي سنن الله لترعانا سنن الله، لا بد أن ننصر الله لينصرنا الله، ونصر الله ليس بالكلام، ولا بمجرد التسبيح والتهليل والتكبير، وإنما نصره أن نعمل وفق أمر الله، ووفق سنن الله، وبذلك ننتظر النصر، وما ذلك على الله بعزيز { ... وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ 4 بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ 5 وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: 4 - 6].

أقول قولي هذا - أيتها الإخوة - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فقد جاءني شاب يخبرني عن مولود وجد في علبة ... في كارتونة، ووضع أمام باب من أبواب أحد المساجد، ومعه خمسون ريالاً. مولود غض طري خرج إلى الدنيا من وقت قريب، ثم وضع أمام أحد المساجد!

قال لي: من المسؤول؟ من المسؤول عن هذا الإنسان الذي سيعيش ما شاء الله له أن يعيش في مرحلة الحياة بدون أب ولا أم؟

مولود مجهول النسب، مقطوع الخيوط والروابط، لا أم ... لا أب ... لا إخوة ... لا أعمام ... لا عمات ... لا خالات ... لا أخوال.

إنسان يعيش بغير أهل ولا رحم، من المسؤول عن هذا الطفل البرئ؟

الطفل لا ذنب له، والإسلام يحميه ويحمي حياته، ويقرر له في بيت المال نفقة. وفي كتب الفقه الإسلامي باب مشهور اسمه: باب «اللقيط»، الذي يلتقط ولا أب له ولا أم. الإسلام يرعاه ويرحمه لأنه لا ذنب له، بل يحفظ حياته بعد أن يولد وقبل أن يولد.

قد عرفنا المرأة التي زنت وهي حبلى، وجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليها الحد، فأجلها، لأنه إن كان له سبيل عليها فليس له سبيل على ما في بطنها<sup>(119)</sup>. ما ذنب ما في بطنها وإن جاء من حرام؟ ولكنه مخلوق محترم.

الإسلام يرعى هذا الإنسان، لكن من المسؤول عن حياته؟ إنها مسؤولية الأبوين: الأب الذي ألقى البذرة المحرمة، قضى شهوته في الحرام ثم لم يبالي ما حدث بعد ذلك. والأم التي هان عليها أن تلقي وليدها وفلذة كبدها في عرض الطريق، ولا تدري ماذا يحدث له بعد ذلك؟ أين يذهب؟ وكيف يعيش؟ ولعلها من أسرة، ولعل لها مالا، ولعل عندها ثراء. ولكن خشية أن تقتل قتلاً مادياً من أهلها، أو تقتل قتلاً معنوياً من المجتمع بالفضيحة على رؤوس الأشهاد، تخلصت من هذا.

إنها مسؤولية الرجل، ومسؤولية المرأة من غير شك.

ولكنها مسؤولية المجتمع كذلك، المجتمع الذي يعوق طريق الحلال، فلا بد أن ينحرف الناس إلى الحرام. طريقة الإسلام أن نفتح للحلال ألف باب وباب،

(119) انظر قصتها في «صحيح مسلم» باب حد الزنا.

وأن نسد إلى الحرام كل باب.

تيسير الزواج، تيسير الارتباط الحلال، التخلي عن المظاهر الكاذبة، غلاء المهور، الحفلات، التأنيث الفاخر، هذه الأشياء التي لا معنى لها ولم يجئ بها الإسلام، وإنما يسر الإسلام ولم يعسر، هذه كلها تنتهي إلى مثل هذه النتيجة.

قرأت في بعض كتب التاريخ أن رجلاً وجد في الطريق غلاماً مثل هذا الذي حدثني عنه الأخ، ومعه صرة فيها ألف دينار، ومع الصرة ورقة تقول: هذا جزاء من لا يعجل بزواج ابنته إذا جاءها من يرضى دينه وخلقه. أبو البنت يبدو أنه من الأثرياء، لأنه وضع مع الطفل ألف دينار في ذلك الوقت، وكان الرجل يخاطب نفسه. لقد أراد أن يستر على ابنته، وتحمل المسؤولية، وذهب بهذا الطفل إلى باب المسجد كما يفعل الناس عادة.

هذه إحدى ثمرات البعد عن روح الإسلام، ومنهج الإسلام في الزواج.

إذا عسرنا طريق الزواج تكون النتيجة الانحراف، تكون النتيجة أن يعيش الشاب بغير زواج، أو تعيش الفتاة بغير زواج. يعيش الفتيات عوانس في بيوتهن محرومات من الحياة الزوجية وهي حق لهن، محرومات من عاطفة الأمومة وهي حق لهن، وفطرة فطر الله الإناث عليها.

تكون النتيجة أن يذهب الإنسان ليتزوج امرأة أجنبية من غير دينه ومن غير قومه. وهذه آفة من الآفات أيضاً.

أنا - في عصرنا - لا أجاز أن يتزوج المسلم بغير مسلمة، لأن الإسلام حينما أجاز زواج غير المسلمات إنما أجاز المحصنات، المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والمحصنات هن العفيفات الشريفات النظيفات، وأين تجد هذه

في غير بلاد المسلمين ومن غير المسلمات؟!!

شرط «الإحصان» قلما تجده في بلاد تعير البنات بعذريتها إذا بقيت عذراء، معناه: أنه ليس لها صديق!

الزواج من أجنبية غير مسلمة اشترط له أن تكون محصنة وهيهات، وأن تكون كتابية حقًا، ومعظم هؤلاء لا دين لهم. إنهن يتسمين بأنهن نصرانيات - أو غير ذلك - وهن في الحقيقة ليس لهن دين، وأهلهن ليس لهم دين إلا ما ندر، فهي ليست كتابية على الحقيقة.

ثم يشترط أن لا يكون في هذا الزواج ضرر على المسلمات. سيدنا عمر بعث إلى حذيفة بن اليمان بالمدائن وقد تزوج يهودية، قال له: عزمت عليك إلا طلقته. فبعث إليه يقول: أهو حرام يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أخشى أن يكون في ذلك فتنة على نساء المسلمين.

«أن تتزوج من امرأة أخرى وتترك بنات المسلمين» معناه: أنك حكمت على بنت مسلمة بالكساد. إذا كان لا بد أن تتزوج، فتزوج مسلمة، وما أكثر البنات المسلمات.

ثم من ناحية أخرى: زواج هذه يعرض الشخص نفسه للخطر، لماذا؟ سينقص من دينه وهو لا يشعر، لأنه لن يجد المرأة التي تقول له: قم فصل الفجر، قم فاقرا كتاب الله، إياك وكسب الحرام. ستكون خطرًا على زوجها، خطرًا على أولادها لو أنجب منها، لأن الأولاد - وخاصة البنات - يتأثرون بأمهم. فإذا كانت من دين غير الدين ولغة غير اللغة وقوم غير القوم،

أصبحت «ثالثة الأثافي»<sup>(120)</sup>!

إن كل هذا ناشئ من بعدنا عن منهج الإسلام، فلنرجع إلى منهج الإسلام، ولنتق الله تعالى، عسى الله أن يرحمنا.

اللهم ارحمنا رحمة واسعة. اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

عباد الله، يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*

(120) انظر فتوى الشيخ القرضاوي المطولة حول «زواج المسلم لغير المسلمة» وما ذكره من شروط وضوابط، وذلك في كتابه «فتاوى معاصرة» الجزء الأول (ص 562 - 576).



## 10 - العدوان على الكويت (121)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

أما بعد، فقد حدث ما لم يكن في الحسبان، ووقع ما لم يتصوره إنسان، وقعت الواقعة، وقع العدوان، على شعب آمن، نام مطمئناً ثم أصبح فإذا هو مغزور في عقر داره، معتدى عليه في وطنه.

ظلم ذوي القربى:

وممن كان العدوان:

لو كان من إسرائيل ... من الصهاينة، لو كان من الشيوعيين الحمر، لكان الأمر هيئاً، الاعتداء من أهل معقول وممكن، طالما اعتدت إسرائيل، وطالما اعتدى الشيوعيون، وطالما اعتدى الصليبيون، ولكن أن يقع العدوان من عربي على عربي، ومن مسلم على مسلم، وأن يعتدي عليك بالسلاح الذي اشتراه بمالك، أن يعتدي عليك من أعتته في وقت الشدة ووقفت معه في ساعة العسرة، فهذا هو الأمر الفظيع.

الشاعر العربي الجاهلي قديماً «طرفه بن العبد» قال في معلقته:

وظلم ذوي القربى أشد على المرء من وقع الحسام  
أن تُظلم من قريبك ومن أخيك ومن ابن عمك، وأن يعتدى عليك وأنت لم

تقدم له إلا الخير والمعروف، هذه هي المصيبة.

قديمًا قال الشعر:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وإن ابن عم المرء - فاعلم - وهل ينهض البازي بغير  
ولكن الذي يفترض أن يكون سلاحك، وأن يكون جناحك، هو الذي كان  
سلاحًا عليك، وكان سهمًا في صدرك، وهو الذي جاء ليهيئ جناحك،  
وينتف ريشك، ويكسر عظامك، كما قال الشاعر قديمًا:

وإخوان حسبتهمو دروعًا فكانوها، ولكن للأعادي!  
وخلتُهُمُ سهامًا صائبات فكانوها، ولكن في فؤادي!  
هذا هو الذي وقع.

حينما وقع هذا الأمر كنت في «لندن» قادمًا من أمريكا لإجراء عملية  
جراحية، وما إن فتحت «التلفزيون» حتى لم أكد أصدق، أهذا يحدث؟!  
من قبلها في الليلة السابقة - قال مندوب الجامعة العربية: إن مجرد  
الاحتشاد هذا - أي احتشاد القوات العراقية على حدود الكويت - ليس معناه:  
الاعتداء، هذا لم يحدث في تاريخ الجامعة العربية، ولم يحدث أن اعتدى بلد  
عربي على بلد عربي آخر، ومستحيل أن يقع!  
ولكن المستحيل حدث ووقع.

لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا:

روع الأمنون في بيوتهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل

لمسلم أن يروع مسلماً»<sup>(122)</sup>. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، ففحق رجل على راحته «أي نعس» فأخذ رجل سهمًا من كنانته «يمارحه»، فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»<sup>(123)</sup>، أي ولو كان ذلك على سبيل المداعبة والمزاح.

«لا يحل لرجل أن يروع مسلماً» فكيف بالآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف، الذين روعوا في بيوتهم، باتوا آمنين، وأصبحوا خائفين؟!!

وروى البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة أن رجلاً فقد نعله - غيبتها رجل عنه - فصار يبحث عنها، وارتاع لهذا الأمر الصغير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم»<sup>(124)</sup>.

ماذا نقول عن هذا الذي حدث؟ والنساء في بيوتهن يخفن أن يأتي آت فيعتدي على أعراضهن، والأطفال يختبئون، والناس لا تدري ماذا يحدث

(122) أخرجه أبو داود في «الأدب»، وأحمد، من حديث ابن نمير، عن الأعمش عن عبد الله بن يسار الجهني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، وانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»، وإسناده صحيح، وحسنه الحافظ العراقي «شرح السنة» للبعوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (263/10، 264) برقم (2571).

(123) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير والأوسط»، ورجال «الكبير» ثقات «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» برقم (10529). وانظر تعليق الشيخ القرظي على الحديث في كتاب «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (736/2) برقم (1689).

(124) قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وفيه «عاصم بن عبيد الله» وهو ضعيف. «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» برقم (10525).

لهم؟

ما الذي جرى؟ ما الذي وقع؟ ما سبب هذا كله؟

عدوان لا مبرر له:

ما السبب في أن يعتدي على بلد آمن؟

خلافات؟ كل الخلافات يمكن أن تسوى.

حدود؟ كم طلبت الكويت أن تسوي مسألة الحدود، ولكن الآخرين هم الذين

يسوفون.

أموال؟ ديون؟ لم تطالب الكويت بديونها قط.

وكل شيء قابل للحل.

أما أن تبيت العدوان على أخيك، ويبدو أن الأمر مبين بليل، من أشهر

طويلة، ومن مدد طويلة، كما تدل على ذلك الشواهد والوقائع.

كنا نظن أن تتجه هذه القوة - التي كان يعتبرها الكثيرون رصيماً للعرب

والمسلمين - إلى إسرائيل، وطالما سمعنا التهديدات لإسرائيل، ولكن إسرائيل

لم تضرب إلا بالكلام، أما الكويت فضربت المدافع. كنا نظن أن هذه القوة

تتجه إلى أعداء الإسلام، وأن البندقية العراقية تتجه هناك إلى صدر إسرائيل،

لا إلى صدور أبناء الكويت.

رجعة إلى الجاهلية:

ما الذي حدث؟

هذا شيء عجيب حقاً: أن يحدث بين أبناء العرب والمسلمين، هذه هي

الجاهلية الأولى، حينما كان يغير بعضهم على بعض، وكما يقول الشاعر:

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أئانا  
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من فعل الجاهلية وقال:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(125)</sup>. «كفاراً» لأن هذا من عمل الكفار ومن عمل الجاهلية. وقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»<sup>(126)</sup>. هذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

بل حذر مما هو أكثر من لك، حذر من مجرد أن تشهر السلاح على أخيك، وقال: «من سل علينا السيف فليس منا»<sup>(127)</sup>. ويقول فيما رواه أبو هريرة: «لا يشير أحكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»<sup>(128)</sup>، وفي رواية قال أبو هريرة: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلغنه حتى

(125) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جرير، ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر، ورواه البخاري والنسائي عن أبي بكر، ورواه البخاري والترمذي عن ابن عباس. «فيض القدير» (394/6) برقم (9767).

(126) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة وعن سعد، والطبراني عن عبد الله بن مغفل وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطني في «الأفراد» عن جابر. «فيض القدير» للمناوي (84/4) برقم (4633).

(127) رواه أحمد ومسلم، عن سلمة بن الأكوع. «فيض القدير» للمناوي (154/6) برقم (8755).

(128) رواه البخاري ومسلم. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (737/2) برقم (1691). ومعنى ينزع: أي يرمي ويفسد.

ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»<sup>(129)</sup>، الملائكة تلعنك بمجرد الإشارة إلى أخيك السلاح، فكيف إذا دخلت عليه واحتلت أرضه، وغزوته في عقر داره؟!!

إن هذا أمر يرفضه الإسلام، وترفضه الشرائع الدولية، وترفضه الأخلاق، وترفضه قيم العرب وأعرافهم من قديم، حتى في الجاهلية. لقد كان العربي يتعفف عن قتل أخيه حتى ولو كان عنده ثأر، يقول شاعرهم:

قومي همو قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي  
فلئن عفوت لأعفون جلا ولئن رميت لأوهنن عظمي  
هكذا كان العرب قديمًا، رغم ما كانوا فيه من الجاهلية، ولكن كان فيهم مروءات وشيم، وكان فيهم مكارم يعرفونها ويتباهون بها. نجى نحن في عصر الإسلام ويعتدي بعضنا على بعض، وتتفرق الأمة شيعًا، ويذوق بعضها بأس بعض، هذا شر ما تُبلى به أمة.

من المستفيد من هذه الكارثة؟

من المستفيد من هذه المحنة ... الأزمة ... المصيبة ... الكارثة؟ سموها ما تسمونها.

من المستفيد؟

والله لن يستفد من وراء هذا إلا إسرائيل ... الصهاينة ... اليهود ... الصليبيون ... الشيوعيون، كل أعداء الأمة العربية والإسلامية.

(129) رواه مسلم. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (737/2) برقم (1692).

إسرائيل تعربد هناك الآن في الضفة الغربية وفي لبنان، ولا أحد يردها،  
تصول وتجول في أفريقيا، وليس هناك من يسأل عنها، الكل مشغول عنها.  
إسرائيل هي المستفيدة. والغرب هو المستفيد أيضاً، هو الذي جمد  
الأرصدة «مئات المليارات» لحسابه، هو الذي يبيع لنا أسلحته القديمة،  
ويجرب فينا أسلحته الجديدة.

هم المستفيدون. أما نحن، فنحن الخاسرون على كل صعيد، الخاسرون  
على كل مستوى، نتيجة هذا العدوان الأحمق ... الفاجر ... الذي مزق الأمة  
إربًا إربًا.

خسائرنا كثيرة:

### 1- التمزق:

تمزقت وحدثنا: كنا نقول أمة العرب دخلت الآن في عصر التضامن،  
ودخلت في عصر التلاحم، بعد القمة التي حدثت في بغداد، ودخول مصر  
الجامعة العربية، بعد أن جمدت عضويتها بعد كامب ديفيد، وقلنا: نحن في  
عصر جديد.

لم نكد نفرح حتى انقلب العرس مآتمًا.

عادت أغاني العرس رجع ونعيت بين معالم الأفراح  
كفنت في يوم الزفاف بثوبه ودفنت عند تبليج الإصباح  
كما قال شوقي يرثي الخلافة التي ألغاه كمال أتاتورك.

كما أتاتورك فعل مثل ذلك، بعد أن ظن الناس في يوم من الأيام أنه خالد  
الترك، ولم يدروا أن وراءه مؤامرة ملعونة خبيثة لضرب الإسلام

والمسلمين، حتى أن شوقي رحمه الله قال له في قصيدة:

الله أكبر كم في الفتح من يا خالد الترك جدد خالد  
ظن أنه خالد الترك، وهيهات هيهات.

وهذا في يوم من الأيام زعموا أن له قادسية كقادسية سعد بن أبي وقاص!  
يا سبحان الله كم تظلم الحقائق، وتظلم الألفاظ، وبظلم التاريخ؟! القادسية التي  
كان الهدف منها تحرير الفرس من نير الأكاسرة، ومن عبادة النار، وكما قال  
أحد الصحابة من المسلمين لقائد قوات الفرس «رستم» - وقد سأله: ماذا جاء  
بكم؟ ومن أنتم؟ فقال في عبارات وجيزة لخص فيها أهدافهم بل أهداف  
الإسلام الكبرى - : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى  
عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل  
الإسلام!

هذه هي قادسية سعد، فأين القادسيات المزعومة التي جاءت تفرق الأمة،  
ليحارب بعضها بعضا، ويمزق بعضها بعضا؟!

ما معنى أن يحارب العرب الفرس أو يحارب العراق إيران؟ زعموها  
أحياناً حرباً قومية، فقالوا: إنها حرب العرب ضد الفرس، وأحياناً زعموها  
حرباً مذهبية، فقالوا: إنها حرب السنة ضد الشيعة. وزعموها أحياناً حرباً  
دينية، فقالوا: إنها حرب المسلمين ضد المجوس.

تصوروا: جعلوا الإيرانيين المسلمين مجوساً! وهم الآن يقولون لهم: أنتم  
المسلمون، وأنت الجارة المسلمة، وأنت الأخ والشقيق.

أين كان هذا كله؟



وللأسف حطب الكثيرون في هذا الحبل، وساروا في هذا الركاب، وأعانوا  
الظالم على ظلمه.

الحمد لله، أني لم أتورط في شيء من هذا قط، ولا بموقف واحد، ولا  
بكلمة واحدة.

كنت أدعو من فوق هذا المنبر - طوال شهر رمضان - أن ينصر الله  
المجاهدين في فلسطين، والمجاهدين في أفغانستان، والمجاهدين في السودان  
والمجاهدين في إريتريا، والمجاهدين الفلبين، والمجاهدين في كشمير، وقال  
لي سفير العراق هنا في الدوحة - وبينني وبينه مجاملة ومودة - : تدعو للناس  
في كل مكان إلا العراق؟ قلت له: أنا أدعو أن ينصر الله الفلسطينيين على  
اليهود، وأدعو أن ينصر الأفغان على الشيوعيين الملحدين الحمر، وأدعو أن  
ينصر الله الفلبينيين والسودانيين والإريتريين على الصليبيين الحاقدين  
المتعصبين، فكيف أدعو للعراق؟ أن ينصر الله المسلمين على المسلمين؟!  
ولماذا كان العراق أحق من إيران؟

الذي كسبناه اليوم من هذا العدوان: تمزيق الأمة العربية، التي انقسمت إلى  
محاور مختلفة؟ هذا يؤيد، وهذا يعارض، وهذا بين بين. هناك من يفعل ذلك  
خوفاً، وهناك من يفعل ذلك طمعاً في الغنائم، وهناك من التبس عليه الأمر.  
هناك من سكت عن الحق، وهناك من نطق بالباطل. هناك الشياطين الخرس،  
وهناك الشياطين المتكلمون. اختلط الحابل بالنابل، هذا ما حدث.

الأمة تمزقت، وشر ما تبنتلى به الأمة أن تتمزق، إن الله تعالى جعل ذلك  
عقوبة كالعقوبات السماوية كالخسف والمسح: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ «قصب بحجارة من سجيل» أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ  
«يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون» أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ  
بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 65].

أو خسائرنا هذا التمزق، بعد أن كنا نقول: دخلنا عصر التضامن،  
والتلاحم.

## 2- الأحقاد:

وأكثر من هذا: الأحقاد التي غرست في النفوس الآن، ولا ندري إلى متى  
ستظل في الجيل الحالي والأجيال القادمة؟ متى تزال هذه الرواسب التي  
بذرت بذورها وزرعت؟ الشاعر العربي يقول:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاج كسرها لا يشعب  
الحقد «... والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إنني لا أقول: تحلق  
الشعر، ولكن تحلق الدين»<sup>(130)</sup>.

## 3- تدمير الثروة:

الثروة التي كان ينبغي أن تتوجه إلى تنمية هذه الأمة وتعمير خرابها،  
وإخراجها من دائرة التخلف. المليارات وعشرات المليارات كان ينبغي أن  
توجه لتنمية هذه المنطقة كلها، وتنمية الأمة العربية والمسلمة، فالمال لها

(130) رواه البزار بإسناد جيد، والبيهقي، ورواه الترمذي، عن الزبير رضي الله عنه .  
«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (753/2) برقم (1746)، وأوله: «دب إليكم  
داء الأمم قبلكم: الحسد...». وانظر «شرح السنة» للبيهقي بتحقيق شعيب الأرنؤوط  
(117/13) برقم (3538).

جميعاً، والثروة إليها، والناس مستخلفون في هذا المال، ولكن يبدو أن هناك مؤامرة ماهرة خبيثة، تريد لهذا المال أن لا ينفق إلا فيما لا فائدة فيه ولا نفع منه، بل فيما يضرها يقيناً.

اخترعت حرب العراق وإيران، فالتهمت مئات المليارات، فوق ما التهمت من أجساد البشر. ثم ها هي تخرع الآن هذه القصة الجديدة، لتدمر ثروة هذه الأمة.

ماذا سيفوق في هذه الحرب الخاسرة بكل المقاييس؟

نحن الخاسرون فيها، الأسلحة ستضرب بعضنا ببعض، سواء ضربت صواريخ أم أسلحة كيميائية، من هذا الطرف أم من ذلك، كلها في الأرض العربية الإسلامية.

من المسؤول عن هذا كله؟

ثروتنا تدمر، وكان الأولى بها أن تنفق في الخير. وأنا أشهد والله للكويت أنها لم تبخل على مشروع من مشروعات الخير: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية أسسناها في الكويت، لجنة مسلمي أفريقيا التي أقامت إذاعة إسلامية في «سيراليون»، يسمعون عشرات ومئات الملايين في أفريقيا، وقامت بنشر الدعوة الإسلامية، ومقاومة حملات التنصير، لجنة الدعوة والإصلاح التي تدعم الجهاد الأفغاني، جمعية عبد الله النوري الخيرية، جمعية إحياء التراث الإسلامي التي بنت عشرات المساجد، جمعية الإصلاح الاجتماعي، بيت الزكاة، الهيئة العالمية لقضايا الزكاة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي تجمع بين الفقهاء والأطباء، وأصدرت منشورات عديدة وكتباً ومجلدات في

غاية من القيمة، وزارة الأوقاف وما أصدرته من الموسوعة الفقهية التي صدر منها أكثر من أربعة وعشرين مجلداً، وأصدرت عدداً طيباً من كتب التراث الأصيلة.

ماذا أقول وماذا أحكي؟ أشياء كثيرة.

من ذهب إلى آسيا وأفريقيا وجد أثر الكويت هناك، ويمكن أن تبذل أكثر وأكثر، إضافة إلى ما تبذله أيضاً من سلاسل ثقافية وفكرية: مجلة العربي، ومجلة الوعي الإسلامي، وغير ذلك. إذا نظرنا إلى الكويت من ناحية الشورى والحرية، فهي من أكثر بلاد العرب والمسلمين حرية، أقول لكم الحق في هذا، الصحافة الكويتية صحافة حرة، البرلمان الكويتي، والديوانيات الكويتية تعتبر كأنها برلمانات صغيرة. الكويت من أحسن البلاد في هذا، لم تصل إلى القمة كدول أوروبا الغربية، ولكن بالنسبة لما يجري في بلادنا العربية هي أفضل من غيرها بلا نزاع.

لماذا إذن العدوان على الكويت؟

إن نتيجة هذا كله: تدمير الثروة.

#### 4- تدمير القيم:

وأشد من تدمير الثروة: تدمير القيم، القيم المعنوية، قيم الأخوة والرحم والجوار والوفاء. ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا حينما نتكلم عن حقوق الرحم، أو حقوق الجوار، أو حقوق العروبة، أو حقوق الإسلام؟ ماذا نقول لهم، وهذا كله قد مسخ؟ ماذا نحدثهم عن الوفاء؟ أين الوفاء إذا غدرت بمن وفى لك، واعتديت على من وقف معك ساعة الشدة؟ أين الأخوة؟ وأين الرحم؟ وأين

الجوار؟ وأين العروبة؟ وأين الإسلام؟ مادام أخي هو الذي يقاتلني ويغير علي، وليس عدوي؟

### 5- اليأس:

اليأس وخيبة الأمل التي أصابت هذه الأمة، والكفر بالعرب والعروبة. أصبح السائد على كل لسان: إن العرب لا يصلحون لشيء، إنهم يضرب بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، والعرب مظلومون، والشعوب مظلومة، المسؤولية مسؤولية الحكام.

أنا لا أحمل الشعب العراقي كله مسؤولية ما حدث، وإن كان كثيرون منه قد غسلت أمخاخهم، وضللت عقولهم، كما رأينا في بلاد أخرى من قبل، وعهود أخرى من قبل. لا أحمل الشعب العراقي نتيجة ما فعل حكامه، ولا أحمل الشعب الفلسطيني نتيجة تصرفات بعض قادته، لا أحمل الشعوب نتيجة أخطاء سياستها، الشعوب فيها خير كثير، ولهذا رأينا هذه الصحوة الإسلامية في كل مكان، وكان هذه العمليات يراد بها إجهاض هذه الصحوة وإيقافها. وقد حدثني بعض الإخوة في أمريكا: أن واحداً من قادة الحزب الجمهوري - في جلسة خاصة - قال له: إذا كان لهذا العدوان فضل، فإنه أراحنا من الأصوليين الذين اتخذوا الكويت وكرراً لهم!

إنها أحقاد صليبية تظهر على صفحات الوجوه وقلبات الألسن، { ... وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ... } [محمد: 30].

### 6- شماتة الأعداء:

الشاعر العربي يقول:

كل المصائب قد تمر على وتهون غير شماتة الأعداء  
والنبي صلى الله عليه وسلم مما أثر من أدعيته: «اللهم إني أعوذ بك من  
جهد البلاد، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»<sup>(131)</sup>.

إن إسرائيل تتشفى وتشمت بنا اليوم، لقد رأيت أحد المسؤولين  
الإسرائيليين في تلفزيون بريطانيا وهو يقول: هذا ما قلناه من قديم، إن مشكلة  
الشرق الأوسط ليست الصراع العربي الإسرائيلي، ولكن المشكلة تكمن في  
الصراع العربي العربي!

ليتشفوا بنا، ليشتموا بنا، نحن الذين مكناهم.

#### 7- الانشغال عن قضايانا الكبرى:

كنا نتحدث عن الانتفاضة الفلسطينية، وعن ثورة المساجد، وعن أشبال  
الحجارة، وعن الأطفال الذين يقاتلون الصهيونية. وكنا نتحدث عن الهجرة  
اليهودية، وعن هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين، وعن هذه المؤامرة  
المبيتة التي تريد أن تخرج الناس من ديارهم وتحل غيرهم مكانهم. كنا نقيم  
الدنيا من أجل هذا.

انتهى هذا، وشغلنا عنه بهذه المصيبة، وغطت على قضايا الجهاد كلها.

#### 8- وجود القوات الأجنبية:

من المتسبب في هذا؟ كانت المنطقة كلها ترفض أن تكون هناك قواعد  
للجنود الأجانب، طلب منها ذلك في بعض الأحيان، رفضت الكويت،

(131) قال الزين العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» متفق عليه من حديث أبي هريرة  
(322/1).

ورفضت المملكة العربية السعودية، ورفضت قطر، ورفضت البحرين، ورفضت الإمارات. والآن حانت الفرصة لذلك، ووجد المبرر، وجاءت هذه الأساطيل البرية والبحرية والجوية، لتحتل المنطقة وتتحكم فيها.

من المسؤول عن هذا الاحتلال الجديد، الذي أعاد القوات العسكرية الأجنبية إلى المنطقة بعد أن تحررت منها، والذي جعل حكام المنطقة يطلبونه بأنفسهم؟ من المسؤول عن هذا كله؟ من المسؤول عن هذه الخسائر؟ ماذا أعدد من خسائر، ومن كوارث، ومن مصائب، حلت بنا نتيجة هذا العدوان؟ إنها خسائر كثيرة وكبيرة، مادية ومعنوية، آنية ومستقبلية، وما خفي أعظم، وما ينتظرنا لا يعلمه إلا الله.

لو انفجر الموقف، لو انطلقت الشرارة، لو استعرت النار، ومن سيصطلي بها؟ سنصطلي بها كلنا. وإسرائيل تتفرج علينا ضاحكة السن، تضحك ملء سنها، وتنام ملء جفنها، لا تبالي، مبسوطة مسرورة.

يقولون: إن إسرائيل ستتدخل. وما الذي يدعوها لأن تتدخل؟ لا، هي لن تتدخل، يكفيها أن تتفرج علينا.

خسائرنا كبيرة، وكبيرة جداً.

مسؤولية الساكتين عن الظلم:

يا أيها الإخوة: مصيبة حلت بهذه الأمة، نتيجة لسكوتنا عن ظلم سابق: ضرب إخواننا الأكراد بالأسلحة الكيماوية، أبيدت - كما حدثني أحد علماء الأكراد - أكثر من عشرة آلاف قرية في منطقة حلبجة، قتل من أهلها من قتل، وهاجر منها من هاجر. أكثر من عشرة آلاف قرية فيها أكثر من

عشرين ألف مسجد دمرت، وقتل خمسة وعشرون عالمًا رفضوا أن يتركوا المساجد، واستشهدوا في داخلها.

هذا ما حدث. هل تحدث أحد؟ الأفلام تحدثت عنها، وتلفزيونات العالم، إلا العرب لم يتحدثوا عنها.

لو أننا كنا كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قيل: يا رسول الله، نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه»<sup>(132)</sup>. ولكننا ركنا إلى الذين ظلموا فمستنا النار، سكتنا عن الظلم وساندناه. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»<sup>(133)</sup>، ويقول الله تعالى: {وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 25]، لأن الرحمة تخص والنقمة تعم، العقاب ينزل على من ظلم وعلى من تغاضى عن الظلم وسكت عنه.

من المسؤول؟

من المسؤول عن كل هذا الذي أصاب هذه الأمة؟ من المسؤول عن الأمنيين الذين روعوا؟ من المسؤول عن الأموال التي نهبت؟ من المسؤول عن النساء اللاتي اغتصبت؟ من المسؤول عن الحرمات التي انتهكت؟ من

(132) متفق على صحته من حديث أنس رضي الله عنه «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (97/13) برقم (3516).

(133) رواه أبو داود، والترمذي عن أبي بكر وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، ورواه أحمد في «مسنده». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (643/2) برقم (1375).



المسؤول عن الأعراض التي هتكت؟ من المسؤول عن الشاردين التائهين الذين ماتوا في الصحراء، نفذ الوقود من سياراتهم، ونفذ الزاد من أيديهم ونفذ الماء من قربهم؟ من المسؤول عن الأطفال الصغار في تلك الطرق الصحراوية الذين كانوا يلهثون من العطش، يبكون أمام الآباء والأمهات، من أجل جرعة ترويههم فلا يجدونها؟ من المسؤول عن عشرات الآلاف، ومئات الآلاف الذين خرجوا من الكويت، وقد تركوا «تحويشة العمر»، تركوا مدخراتهم، تركوا أثاثهم، تركوا متاعهم، وخرجوا بملابسهم، وليتهم يصلون إلى أوطانهم سالمين؟ من المسؤول عن هذا كله، وعن أكثر من هذا كله؟

إن المسؤول هو من قام بالعدوان.

وإذا كان هناك أناس يركزون على التدخل الأجنبي في المنطقة وعلى الوجود العسكري، فالمسؤول عن هذا أيضًا هو من قام بالعدوان ومن بدأ الشر، والشر بالشر يحسم، والبادئ أظلم.

والناس إن ظلموا البرهان فالحرب أجدى على الدنيا من والشرب إن تلقه بالخير ضقت ذرعًا، وإن تلقه بالشر ينحسم المسؤول عن هذا هو من قام بالعدوان، التاريخ يحمله المسؤولية عما حدث، لولا هذا ما دخل عسكري واحد إلى هذه المنطقة.

هل فات الأوان؟

هل فات الأوان؟ لم يفت الأوان بعد.

لو أن الناس استمعوا لصوت العقل، وصوت الضمير، وصوت الإسلام، وصوت العروبة، لو أننا ناشدناهم الله فاستمعوا. كما روى النسائي أن رجلاً

جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن عُدى على مالي، قال: «فأنشد بالله» قال: فإن أبوا علي؟ قال: «فأنشد بالله» قال: فإن أبوا علي؟ قال: «فأنشد بالله» قال: «فقاتل، فإن قُتلت ففي الجنة، وإن قُتلت ففي النار»<sup>(134)</sup>.

وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»<sup>(135)</sup>.

وروى سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»<sup>(136)</sup>. الإنسان مطالب أن يدافع عن عرضه وماله ودمه ودينه، ولا يستسلم للبغي والمعتدين، وإن أدى ذلك إلى قتلهم، فإن قُتل فهو شهيد وإن قتلهم فهم في النار. ولكن بعد أن ينشد بالله، يقول: أنشدك الله.

(134) رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر تعليق الشيخ القرضاوي عليه في كتابه «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (413/1) برقم (771).

(135) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (413/1) برقم (771).

(136) رواه أحمد (190/1)، والنسائي (116/7)، والترمذي (1455) كلهم من حديث سعيد بن زيد.

وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «مسند» أحمد: غسناده قوي وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم (4772).

وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه

ولا زلنا نقول لحاكم العراق ولنظام العراق ونكرر القول: ننشدكم الله، ثم ننشدكم الله! ننشدكم الله في هذه الأمة، قبل أن تندلع الحرب المدمرة، فتأكل الأخضر واليابس. وما ذنب الأمنين؟ ما ذنب الشعوب؟ ما ذنب الناس؟ ماذا ستجني هذه الأمة من وراء ذلك؟

ننشد الله حكام العراق أن يستجيبوا لصوت العروبة والإسلام، والخلق والدين، والرحم والجوار، والقوانين الدولية، وينسحبوا من الكويت.

لقد كان حاكم العراق جريئاً حينما فجر الأزمة، فليكن شجاعاً فينهاها. لقد قدر على إشعال النار، فليكن قادراً على إطفائها، وسيسجل ذلك التاريخ له بإكبار. لقد وجد من الجرأة أن ينهي آثار حرب استمرت ثماني سنوات، ثم تنازل فيها عن كل شيء، وأعلن أنها لم تكن حرباً عادلة. إذا واتته الجرأة لذلك فليفعل ذلك بالنسبة لبلد عربي مسلم جار.

يقول: إن الكويت جزء منه، حتى لو كان جزءاً منه، هذه «تايوان» جزء من الصين - التي عددها أكثر من ألف مليون - ولا يعترف بها أحد، ومع هذا نرى الصين لم تفكر في أخذها بالقوة. «هونج كونج» جزء من الصين، ومع هذا لم تفكر في أخذها بالقوة، وتحترم المعاهدات التي بينها وبين بريطانيا حتى تنتهي.

القول بالضم بالقوة هذا يعطي حجة لإسرائيل، هي المستفيد الوحيد الذي يرى أن الضم بالقوة لما تزعمه حقاً لها من الحقوق التاريخية.

الشام كانت بلداً واحداً طوال التاريخ، لم يكن هناك سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، هل معنى هذا أن نمكن سوريا لتأخذ لبنان وتأخذ الأردن؟ هل نتيجة

للقوي أن يبتلع الضعيف، ولكل بلد أن يأخذ الأصغر منه؟ مصر تأخذ ليبيا، والمغرب تأخذ موريتانيا، والجزائر تأخذ تونس، وهكذا، هل هذا منطق؟ هذا منطق الغاب، وقانون المخلب والنباب.

نحن نناشد هؤلاء الحكام أن يتقوا الله في هذه الأمة، إننا نخاف من المصير الأسود الذي لا نكسب منه إلا الدمار والخراب. نناشد هؤلاء أن يرجعوا أنفسهم، وأن يكونوا شجعاناً ويعلنوها صريحة، هذه هي الشجاعة الحقة، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. الشجاعة حقاً أن يعترف الإنسان بخطئه، والاعتراف يهدم الاقتراف.

إن الذي أصابنا - أيها الإخوة - إنما كان من جراء شيء واحد، هو: بعدنا عن الإسلام. بعدنا عن الإسلام، فأصابنا ما أصابنا. لو أن العرب من يوم أن حدث هذا العدوان رجعوا إلى الإسلام وإلى القرآن الذي يقول: { ... فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات: 9] (137) - هذا في حالة طائفتين نصلح بينهما حتى يكف كل منهما عن صاحبه، ويغمد سيفه، لأنه لا يجوز لمسلم أن يسفك دم مسلم آخر، فإذا حدث هذا لا بد ان نحاجز بين الفريقين ونصلح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى بعد هذه المحاجزة، وهذا الإصلاح، نقاتل الفئة الباغية المعتدية الظالمة. ومن باب أولى إذا لم يحدث اقتتال، وحدث بغي من أول الأمر، بغت الطائفة القوية على الضعيفة، فالمفروض في المسلمين أن يقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر

(137) وأولها: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ... }.

الله، لا بد أن يقف الناس بقوة أمام العدوان - لو أنهم فعلوا ذلك، لو أن الشارع العربي المسلم قام عن بكرة أبيه من المحيط إلى الخليج، أو من المحيط إلى المحيط، ونادى بصوت واحد، وبصوت جهير يبلغ عنان السماء: ارجعوا أيها المغيرون ... أيها المعتدون على إخوانكم، لو وقف الناس وقفة رجل واحد، لكانوا قد راجعوا أنفسهم، ولكن حدث ما حدث، حدث هذا الانقسام المرعب ... الانقسام المؤسف والمؤلم.

على كل حال سيبقى الإسلام هو طوق النجاة، وسفينته لإنقاذ هذه الأمة، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة ينبغي أن نعيها ونرويها للأجيال دائماً، قال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلنا الله.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة - واستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

وبعد، أيها الإخوة:

من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقنت في النوازل، ويدعو الله تعالى في صلواته للمسلمين المستضعفين في مكة أن ينقذهم الله من محنتهم، وكان يدعو على من ظلمهم وعلى من أذلهم من المشركين. ولذلك ذهب الكثيرون من الفقهاء إلى استحباب القنوت في ساعة النوازل.

ونحن في نازلة كبيرة لم تر الأمة مثلها، نحن في كارثة لم تصب أمتنا بمثلها من عهد بعيد، ولهذا نقنت إن شاء الله بعد القيام من الركوع في الركعة

الثانية، وندعو الله عسع، عسى أن يكون فينا رجل صالح يستجيب الله تعالى له. إننا في محنة، نسأل الله تعالى أن يخرج المسلمين منها، ومن هذا المأزق الصعب، ومن هذه الكارثة التي حلت بهم، وأن يجمع الكلمة على الهدى والقلوب على النقى والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

إنني أطلب من المسلمين أن يدعوا الله بأن يفرج الكربة، وأن يكشف الغمة، وأطلب من الأئمة والخطباء أن يفتنوا قنوت النوازل، فإن الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

أسأل الله تعالى أن يجعل لنا من همنا فرجا، ومن ضيقنا مخرجا، ومن عسرنا يسرا، ومن محنتنا منحة، وأن يجزي الذين تسببوا في هذا، وان يهيء لنا من أمرنا رشدا.

\* \* \*

## 11- حقائق حول أزمة الخليج

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

فتن يرقق بعضها بعضا:

نعيش هذه الأيام مآسي في حياة المسلمين، مآسي وفتناً تدع الحليم حيران، إنها فتن - كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (138) - يرقق بعضها بعضا، أي أن الفتنة تأتي ويقول المؤمن: هذه مهلكتي، فتأتي فتنة أشد منها، بحيث تبدوا السابقة رقيقة وهينة بالنسبة لما بعدها.

نحن في عصر فتن تذر الحليم حيران، هذه الفتن جعلتنا اليوم ننظر إلى هذه المآسي وقلوبنا تنتقطع حسرات، وأعيننا تذرف العبرات.

المسجد الأقصى يعتدى عليه وتقوم فيه مذبحه تراق فيها الدماء، وتنتهك فيها الحرمات، ويمنع المصلون المسلمون من أداء الصلوات داخل المسجد. ومع هذا لا يتحرك المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

اليهود يعملون لهدم المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، يعملون لهدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، فأين المسلمون؟ وأين العرب؟ إنهم مشغولون بأنفسهم، بأسهم بينهم شديد.

لم أعجب إذا كان هناك من يريد أن يهدم مسجداً في الهند، ليبنى على

(138) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (1844)، ورواه أحمد من حديثه أيضاً (161/2).

أنقاضه معبداً للإله عندهم. إذا كان المسجد الأقصى نفسه مهدداً، فكيف لا تهدد بقية مساجد المسلمين؟!

عشرات الآلاف من المسلمين في «سير لانكا» يغادرون بيوتهم مهاجرين، لأن هناك من المتعصبين «التاميل» من يريدون أن تخلو المنطقة لهم، ولا يبقى فيها مسلم. هل احتج على هذا أحد؟

أرخص دم في الأرض هو الدم المسلم!

أهون المعابد هي المعابد المسلمة؟

ذاق بعضنا بأس بعض:

لماذا؟ لأننا مشغولون بأنفسنا. بدل أن كنا نتجه بمدافعنا وبنادقنا وأسلحتنا إلى عدونا الحقيقي، وجهناها بعضنا إلى بعض. أصبح البأس بيننا شديداً، الله تعالى جعل من العقوبات القدرية للأمة أن يكون بأسها بينها: ﴿قُلْ هُوَ الْقَائِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ «كما بعث على قوم لوط حجارة من سجيل» ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ «أي يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون وغيره» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ...﴾ [الأنعام: 65]، يجعلكم شيعاً متفرقة، يکید بعضها لبعض، ويزوق بعضها بأس بعض، وهذا ما نعیش فيه.

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها، قالوا: يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليتها، قال: «أجل، إنها صلاة رغبة ورهبة، إنى سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بسنة «أي بالمجاعات» فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم



فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»<sup>(139)</sup>.

وفي رواية: «... وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»<sup>(140)</sup>، هكذا تسلط الأمة على أنفسها. وهذا ما نراه: أمة يسلط بعضها على بعض، الأسلحة التي ظننها بعض الناس أنها رصيد للأمة أصبحت موجهة إلى صدور بعض أبنائها.

لن أكون عوناً لظالم:

قال لي واحد من الناس: لقد خطبت خطبة منذ شهرين، وتحيزت فيها للخليج ضد العراق. قلت: معاذ الله، ما كنت متحيزاً ولن أكون متحيزاً. أنا لا أعرف خليجاً ولا عراقاً، إنما أعرف ظالماً ومظلوماً، أعرف معتدياً ومعتدى عليه. أنا ضد الظالم أيّاً كان هذا الظالم، وأنا مع المظلوم أيّاً كان هذا المظلوم. علمني ذلك الإسلام وعلمتني الحياة، أكتويت بنار الطغاة والظالمين، ولذلك

(139) رواه الترمذي عن خباب بن الأرت، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. انظر

«عارضه الأحمدي بشرح صحيح الترمذي» أبواب الفتن، سؤال النبي ثلاثاً في أمته.

(140) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، عن ثوبان رضي الله عنه،

وأوله: «إن الله زوى لي الأرض «أي جمعها وقبضها»، فرأيت مشارقها ومغاريها،

وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني

سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم،

فيستبيح بيضتهم...».

«شرح السنة» للبوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (215/14، 216) برقم (4015).

أقول ما قال كلبيم الله موسى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا  
لِلْمُجْرِمِينَ} [القصص: 17].

لن أكون يوماً ظالماً ولا عوناً لظالم، فإن أعوان الظلمة كلاب النار، لا  
ينبغي للمسلم أن يظلم ولا ينبغي له أن يكون سوطاً في يد ظالم أو أداة لخدمة  
ظالم.

حملة الإسلام على الظلم والظالمين:

إن الله حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده، وقال في الحديث  
القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا  
تظالموا...»<sup>(141)</sup>. إن الله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، { ...  
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام: 135، يوسف: 23]، { ... وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا }  
[طه: 111].

ليس هناك دين كالإسلام حمل على الظالم والظالمين، كما حمل القرآن  
الكريم والسنة النبوية المطهرة. «إن الله يملئ للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»<sup>(142)</sup>  
هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ  
وَهِيَ ظُلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102].

من سنن الله تعالى:

أن بعض المعاصي تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك الظلم

(141) قطعة من الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وهو  
الحديث الرابع والعشرون من «الأربعين النووية».

(142) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، عن أبي موسى رضي الله عنه. «المنتقى من  
كتاب الترغيب والترهيب» (619/2) برقم (1303).

والبغي، فإن البغي مرتعه وخيم، وعلى الباغي تدور الدوائر، { ... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } [الشعراء: 227].

الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نقف مع الظالم يوماً.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن الله يبقي الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويزيل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة!

فالعدل إن دام عمر، والظلم إن دام دمر. الظلم سبب خراب البيوت العامرة، وسبب سقوط الدول الشامخة، اقرأوا قول الله تعالى: { قَتَلْنَا بَيْوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ... } [النمل: 52]، وقرأوا قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ 6 إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ 7 الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ 8 وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ 9 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ 10 الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ 11 فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ 12 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ 13 إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر: 6 - 14] يمهل ولا يهمل، لا يغفل ولا ينام.

الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نظلم، ولا ينبغي أن نعين ظالماً. يؤثم الإسلام الظالم ويؤثم من أعانه، أو سكت عليه، أو رضى عنه، أو مال أو ركن إليه مجرد الميل أو الركون، فالله تعالى يقول: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } [هود: 113]. { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا } لا تعينوا الظالمين، بل لا تميلوا إليهم مجرد الميل.

الظلم مرتعه وخيم مهما يكن قليلاً، فكيف بظلم شعب بأكمله. إن القرآن الكريم يقرر في قتل نفس واحدة { ... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

الأَرْضَ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...} [المائدة: 32]. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»<sup>(143)</sup>، ويقول: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»<sup>(144)</sup>.

لا يجوز التهاون في عرض يهتك أو دم يسفك أو مال ينهب. بل لا يجوز التهاون في ظلم حيوان أعجم، وإن كان كلبًا أو هرة.

«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(145)</sup>.

الظلم ينبغي أن يقاوم، ولا ينبغي أن يسكت عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم»<sup>(146)</sup>. أمة تفقد مبرر بقائها إذا لم تأخذ على يد الظالم ولم تمنعه من

(143) رواه النسائي، والترمذي مرفوعًا وموقوفًا ورجح الموقوف، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله موثقون، وحسنها الحافظ في «التلخيص». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (665/2) برقم (1446).

(144) رواه الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن غريب. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (665/2) برقم (1447).

(145) رواه البخاري وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما. ومعنى «خشاش الأرض»: حشرات الأرض ونحوها. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (628/2) برقم (1333).

(146) رواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقوله: «فقد تودع منهم» يعني: استوى وجودهم وعدمهم، أو تركوا وخذلوا وخلق بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي ليعاقبوا عليها. «المنتقى من كتاب الترغيب

الظلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»<sup>(147)</sup>.

الأخوة الإسلامية تفرض على كل مسلم أن ينصر أخاه، ظالمًا أو مظلومًا. هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، فقال رجلاً: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ «كان أهل الجاهلية يقولون هذه الكلمة على معنى انصر ابن قبيلتك سواء كان على الحق أم على الباطل، ولكن حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم استغرب الصحابة أن ينطق بها النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكون هذا هو المراد عند أهل الجاهلية» قال: «تحجزه - أو تمنعه - عن الظلم، فإن ذلك نصره»<sup>(148)</sup> نصرته على نفسه، نصرته على شيطانه، منعه من الوبال الذي ينزل عليه في الدنيا والآخرة.

لو أن المسلمين في أزمة الخليج نصرروا الظالم بأن منعه من الظلم، ونصروا المظلوم بأن وقفوا إلى جانبه، ما تطورت الأزمة إلى ما تطورت إليه.

والترهيب» (644/2) برقم (1378) و«فيض القدير» للمناوي (354/1) برقم (627). وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» برقم (12110) وقال: رواه أحمد والبخاري بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البخاري رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد.

(147) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، ونقل عن النووي في «الأذكار» و«الرياض»: أن أسانيد صحبة. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (643/2) برقم (1375).

(148) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (621/2) برقم (1310).

نحن ينبغي أن نقف ضد الظلم وضد الطغيان.

كنا ونحن طلاب نعيب على الاستعمار الذي يستنكر بعض الجرائم الفردية، ولكنه يسحق شعوبًا بكاملها، وكنا نتمثل بقول الشاعر:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر  
وسحق شعب كامل مسألة فيها نظر!

هكذا كنا نعيب على الاستعمار، فإذا بنا نجد من العرب من يفعل فعل الاستعمار، ويسحق شعبًا بكامله، يسحق إرادته وكرامته، ويفرض عليه ما يريد.

يجب أن نقف ضد الظلم والطغيان والاستبداد أيًا كان مصدره. هذه حقيقة لا لبس فيها.

الكويت وعمل الخير:

الحقيقة الثانية التي أريد أن أذكرها وأذكر بها هي: ليس معنى هذا أن أهل الكويت المغزويين المعتدى عليهم ملائكة مقربون، أو أنبياء معصومون، أو أنهم من أولياء الله الصالحين وليس لديهم معصية ارتكبت. لا.

إن أهل الكويت كغيرهم، فيهم الصالح والطالح، فيهم الطيب والخبيث، ولكن نشهد أن في الكويت - كما رأينا - تيارًا إسلاميًا قويًا على الصوت، يدعو إلى الله، ويأمر المعروف وينهى عن المنكر، ويجمع الشباب على الإسلام، ويربي الشباب على الإسلام.

رأينا آلاف الشباب الذي يعمل في جبهات متعددة في سبيل الخيرات، يناصر فلسطين، ويجاهد مع الأفغان، ويجمع التبرعات للبلاد الإسلامية

وللمنكوبين في الزلازل والمجاعات. رأينا العمل الخيري هنا وهناك، رأينا جمعيات إسلامية تعمل: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، لجنة مسلمي أفريقيا، بيت الزكاة، وغيرها، الكويت كان فيها خير وكان فيها عمل إسلامي، ولا زال مستمرًا.

مما يذكر لأهل الكويت بالخير أنهم حتى اليوم يحاولون أن يستمر عملهم الخيري، وطلبت الجمعيات الخيرية الإسلامية من البنك الإسلامي للتنمية أن يمنحهم سلفًا حتى يهيئ الله لهم أسباب العودة، ليعملوا في مشروعاتهم التي توقفت - بعد الغزو - في آسيا وأفريقيا، فكم من مستشفيات توقفت، وكم من مدارس وكم من مراكز وكم ... وكم ...؟

لا زالت هذه الهيئات تعمل، ولا زالت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - التي ساهم فيها كثير منكم بجهد وماله - تعمل، ولها مكتب هناك في رابطة العالم الإسلامي، ولا زال حسابها مفتوحًا ويستطيع منكم أن يدفع لها من زكاته ومن غير زكاته.

هذا الخير يجيب أن يذكر لأهله.

فإذا كان هناك شر، فهناك خير وأظنه أكثر منه وأعلى صوتًا. فلماذا نذكر الشر وننسى الخير. وهل دخل العراق الكويت ليقول لأهلها: توبوا إلى الله من المعاصي؟ هل دخل ليطهرهم من شرهم؟ ما فعل هذا قط.

مصيبة القوات الأجنبية:

هناك حقيقة ثالثة ينبغي أن نذكرها هنا، وهي ما يتشبهت به الكثيرون من وجود القوات الأجنبية على أرض الخليج. وهذه لا شك مصيبة كلنا ننكرها،

ولا نرحب بوجودها ولا بقاءها، وقد أصدرت بياناً منذ الأيام الأولى - مع إخوة لي في مصر - نستنكر فيها الأمرين جميعاً: العدوان على الكويت، ووجود القوات الأجنبية في أرض المسلمين.

ولكن من الإنصاف أن نقول: من الذي يتحمل وزر هذه القوات التي جددت احتلال المنطقة بعد أن كانت قد خرجت منها؟ من الذي أعطاها المبرر للعودة؟ الذي يتحمل وزر هذه القوات البغيضة من كان السبب في وجودها.

ينبغي أن نفرق بين السبب والنتيجة، بين الفرع والأصل. هذا فرع من أصل، فإذا أردنا أن نعالج الفرع فلا بد أن نعالج أصله، لا بد أن نعالج السبب، أي مرض يعالج لا بد أن يعرف سببه. السبب ينبغي أن نعرفه، إنه: الغزو العراقي للكويت.

ولهذا نقول للنظام العراقي وللرئيس العراقي: لكي لا يكون لهذه القوات مبرر ولا حجة لوجودها على أرض المسلمين، ينبغي أن تنسحب، لتسقط حجتهم، وفي هذه الحالة لن نرضى ببقائها. وقد قلت هناك في رابطة العالم الإسلامي بأعلى صوتي: يوم ينسحب العراق فلا بد أن تنسحب هذه القوات في اليوم التالي، وإلا قاتلناها ودعونا الشعوب المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها إلى قتالها، وقمنا نحن العلماء بحمل السلاح في المقدمة لنقاتل هذه القوات.

فلا ينبغي أن تترك لها فرصة، أو ندع لها مبرراً، حتى تبقى على أرض المسلمين.



من المستفيد من الحرب غير إسرائيل والغرب؟

حقيقة رابعة: من المستفيد من الحرب إذا وقعت ومن الخاسر؟

الحرب إذا وقعت فسيقع فيها الدمار والخراب للمنطقة كلها، ولا نريد أن تخرب هذه المنطقة، نحن أحرص ما نكون على الشعب العراقي والوطن العراقي والجيش العراقي، لأننا نعتبره قوة ورصيداً لأمة العرب والإسلام، لا نريد أن يذهب هذا كله سدى. ومن هنا لا نريد الحرب، لأنها ستدمر هذا كله، لمصلحة من؟ لمصلحة الغرب، ولمصلحة أمريكا، ولمصلحة إسرائيل، إسرائيل هي المستفيدة الأولى بلا ريب.

ومن هنا ينبغي أن نجنب المنطقة ويلات الحرب ما استطعنا.

النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي عاش مجاهداً في سبيل الله ويتمنى أن لا يتخلى عن غزوة ويقول: «... والذي نفسي بيده لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»<sup>(149)</sup>، ومع هذا كان يكره الحرب، وإذا وجد فرصة للسلام لم يضيعها، ولذلك صالح صلح الحديبية على ما كان فيه من شروط ظنها بعض المسلمين إجحافاً، وسمى الله هذا الصلح فتحاً مبيناً، ونزلت فيه سورة «الفتح»: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} [الفتح: 1]، وجاء فيها قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ...} [الفتح: 24]، قال ذلك في معرض الامتنان.

{كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} معقول هذا.

(149) رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه «كتاب السنن الكبرى» للبيهقي (157/9) ط. دار المعرفة - بيروت.

{وَأَيَّدِيكُمْ عَنْهُمْ} حتى كف أيدي المسلمين عن المشركين اعتبره منة ونعمة.

وفي غزوة الخندق التي أرادت قريش وغطفان ومن معهما أن يبيدوا المسلمين - وحاصروهم من كل الجهات، وجأؤوهم من فوقهم ومن أسفل منهم وبلغت القلوب الحناجر وظن الناس بالله الظنون، وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً - أراد الله عع أن ينهي هذه المعركة بجنود لم يرها المسلمون، وبريح من عنده، أكفأت قذورهم وأنيتهم، وقلعت خيامهم، وعادوا مدحورين ولم يحققوا أملاً، يقول القرآن في ذلك: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: 25].

انظروا إلى هذه الكلمة: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}: الله لا يريد للناس أن تراق دماؤهم، إذا انتهت معركة بغير دماء فهي نعمة.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره مجرد كلمة «حرب»، يقول: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»<sup>(150)</sup>، الاسم نفسه لا يحبه، اسم مستقبح.

هكذا كان صلى الله عليه وسلم. وليس كما يصوره الأفاكون من المبشرين والمستشرقين: أنه كان ميالاً لسفك الدماء، لا، ثم لا.

سيدنا عمر رضي الله عنه حينما عرض عليه غزو الروم، كان متردداً

(150) أخرجه أبو داود والنسائي والبخاري في «الأدب المفرد» من حديث أبي وهب الجشمي، وفي سنده عقيل بن شبيب وهو مجهول، وباقي رجاله ثقات. «زاد المعاد» لابن القيم بتحقيق آل الأرنؤوط (2/334).

غاية التردد، ولما قيل له: إن النصر مضمون، وإنها كذا وأنها كذا، كان يقول لهم: «والله لمسلم واحد أحب إلي من الروم وما حوت». لا يريد أن يغامر بأرواح المسلمين.

هكذا شأن الإنسان الذي ينظر إلى أنه مسؤول عن رعيته، وأن كل روح من الأرواح أمانة في يده.

الحرب ليست لعبة وليست عبثًا، فكيف بحرب اليوم وأسلحة الدمار تفعل ما تفعل، وستقوم على أرضنا وليس على أرض الأمريكان ولا على أرض البريطان، هي على الأرض العربية الإسلامية، فنحن الخاسرون فيها أيًا كان المنتصر.

نحن لا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولذلك كل من يحب العرب والمسلمين، وكل من يحب العراق وشعب العراق وجيش العراق، عليه أن يضغط على المسؤولين في هذا البلد العربي المسلم لينسحب، ولا يدع الفرصة للحرب، وكل شيء قابل لأن يسوى.

أما الذين يقفون مع الظلم والعدوان مؤيدين، فمعناه أنهم يغرونه بالاستمرار، ومعنى الاستمرار هو الدمار. لا يمكن أن ينتصر العراق على العالم كله، لا يمكن، فمعنى هذا أنه سيدخل معركة تضيق فيها قواته ومعداته، ويخسر فيها شعبه، وتخسر المنطقة كلها.

نحن حراس على أي قطرة دم من إنسان مسلم أن تسفك، ولا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولهذا ينبغي أن يسعى الساعون في كل مكان إلى إيقاف هذا الأمر، والضغط على من بيده مفتاح الحل، ومفتاح الحل في يد رجل واحد،

هو الذي يستطيع أن ينهي هذا، هو الذي بدأ المعركة ويستطيع أن ينهيها، هو الذي أشعل النار ويستطيع أن يطفئها.

ولهذا ندعوه باسم الله، نناشده باسم الله، وباسم الإسلام، وباسم الرحم، وباسم الجوار، وكل المقدسات والقيم، أن يطفى هذه النار التي نخشى أن تحرق الأخضر واليابس، وتحرق المنطقة كلها.

هذه هي الحقيقة الرابعة.

مسؤولية الحكام لا الشعوب:

وحقيقة خامسة - أيها الإخوة - أريد أن أذكرها وأذكر بها:

أننا لا ينبغي أن نخلط بين الحكام والشعوب، لا ينبغي أن نظلم الشعوب بظلم حكامها، ليس كل عراقي مسؤولاً عما يجري في العراق وما اتخذه حاكم العراق، وليس كل فلسطيني مسؤولاً عما اتخذه رئيس فلسطين، وليس كل يمني مسؤولاً عما اتخذه رئيس اليمن، وليس كل تونسي مسؤولاً عما اتخذه رئيس تونس.

لا، { ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... } [الأنعام: 164، الإسراء: 15، فاطر: 18، الزمر: 7]، كل إنسان مسؤول عن نفسه، من أيد وأظهر تأييده يتحمل المسؤولية، وإلا فالحكام هؤلاء مسؤولون عن أنفسهم، ولا ينبغي أن نحمل شعوبهم آثامهم، فكثير من الناس ليس لهم ذنب.

للأسف نرى الآن بعض البلاد الأوربية تعامل العراقيين في الخارج باعتبارهم خصومًا وأعداء، وكثير منهم فر من العراق مضطهدًا مظلومًا من سنوات. فإذا ألغيت بعثته أو فصل من دراسته أو فصل من عمله، ضاقت

الدنيا عليه بما رحبت.

الحجاج بن يوسف الثقفي وقد كان معروفاً بالظلم والطغيان، أخذ رجلاً من إحدى القبائل، لأنه بحث عن قريب له ارتكب جريمة فلم يجده فأخذ ابن عمه، فلما وقف أمام الحجاج قال له: ما قضيتك؟ قال: جنى جان من عرض العشيرة فبحث عنه جنودك فلم يجده، فأخذت بسببه. قال: أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد تُعدى الصحاح مبارك الجرب  
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة ونجا المقارف صاحب الذنب  
إن الأجر قد يعدي السلمي، وإن البرئ قد يؤخذ بذنب المسيء. فقال له:  
إذا كان الشاعر قال ذلك، فإني سمعت الله تعالى قال غير ذلك، قال: ويحك،  
وماذا قال الله؟ قال: قال الله تعالى على لسان يوسف - وقد طلب منه إخوته أن  
يأخذ أحدهم مكان من وجد في رحله صواع الملك - : {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ  
إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مُتَعَانًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا نَظَّمُونَ} [يوسف: 79].

هنالك بُهت الحجاج وقال: صدق الله وكذب الشاعر، خلوا سبيله.

هذا هو العدل، العدل أن يؤخذ كل إنسان بجريته.

ولا نريد لهذه الفتنة ولا لهذه الأزمة أن تترك مرارة بين الشعوب بعضها وبعض. نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الفتن والأحقاد.

خلل في الوجود الإسلامي لغياب الخلافة:

وحقيقة سادسة: هي أن ما جرى اليوم نتيجة لسبب، نتيجة لخلل في الحياة الإسلامية ينبغي أن يُسد، نتيجة لفراغ ينبغي أن يملأ. الذي حدث أن المسلمين

كانت لهم رابطة تربطهم. كانت لهم وحدة تجمعهم، كانت لهم قيادة مركزية تجسد وحدتهم، كان هناك شيء اسمه الخلافة. الخلافة معناها: وحدة إسلامية لها قيادة مركزية.

ولكن هذه الرابطة فُصمت، هذه القلعة هدمت، هذه المظلة هتكت، هذا الحصن حطم، لم يعد للمسلمين شيء يجمعهم، لم يعد لهم قيادة تستطيع أن تستنفرهم في الأزمات وتقول لهم: انفروا في سبيل الله. لم يعد هناك شيء يمكن أن يحكم بينهم في النزاعات، ويرد إليه الأمور المتنازع فيها.

ولهذا ليس عندنا محكمة عدل إسلامية تفصل في النزاع، ليس عندنا قوة ردع إسلامية تقاتل الباغي كما قال الله تعالى: { ... فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ... } [الحجرات: 9]. ليس عندنا هذا، فكانت النتيجة أن استنصرنا بغيرنا واستعنا بغيرنا. لا يمكن أن تكون للمسلمين حياة مستقلة يسودون فيها أنفسهم ما لم يراجعوا أنفسهم من جديد.

ذهبت الخلافة ولم يوجد بديل عنها، فما الذي يوحد المسلمين؟ ما الذي يجعلهم أمة كما قال الله: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... } [البقرة: 143]، { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... } [الأنبياء: 92]، { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... } [آل عمران: 110]؟ ما الذي يجعلهم أمة كما أراد لهم الله وليسوا أمماً كما أراد لهم الاستعمار؟

الأصل في الحياة الإسلامية أن يكون هناك دار واحدة، اسمها: دار الإسلام. توجد أقاليم وولايات داخل دار الإسلام، ولكن كلها دار واحدة، ونظام الخلافة يحكمها.

العالم الآن يتوحد إلا المسلمين، أوروباً تتوحد على ما كان منها من صراعات وخلافات وثورات خلال قرون، وهم في الطريق الآن إلى «الولايات المتحدة الأوربية»! ونحن للأسف نختلف ونفترق إلى حد أن يقاتل بعضنا بعضاً.

لا بد أن نتعلم من هذه الأزمة، ليسعى أهل الإصلاح وأهل الرأي في الأمة الإسلامية إلى أن يبحثوا من جديد: كيف تعود لهذه الأمة وحدتها؟ كيف تعود لها قيادتها الموحدة؟ وهذا ليس بالشيء الكبير، وليس بالشيء الغريب ولا بالعجيب.

المسلمون في العالم حوالي ألف مليون أو يزيدون، وهم داخل العالم الإسلامي نحو ثمانمائة مليون. الصين وحدها تزيد عن ألف ومائة مليون نسمة، الهند وحدها أكثر من تسعمائة مليون، أوروباً الآن تتوحد. فلماذا يستبعد أن يكون للمسلمين وحدة؟

ليس الأمر ببعيد إذا صدقت النيات وصحت العزائم.

الرجوع إلى الله في الشدة:

والحقيقة الأخيرة أيها الإخوة: أن الناس في الأزمات ينبغي أن يعودوا إلى الله، ينبغي أن يرجعوا إلى الله، أن يتذكروا أن ما نزل بالناس لا بد أن يكون وراءه معصية. مهما قلنا أن أهل الكويت كذا وكذا، ليس معنى هذا أننا نبرئ أهل الكويت أو أن نبرئ أهل قطر أو نبرئ أهل الخليج ... الكل مقصر.

في الأزمات ينبغي للإنسان أن يراجع سجلاته، أن يحاسب نفسه، أن يعرف ماذا بينه وبين الله؟ إذا لم يعرف الناس ربهم في وقت المحنة فمتى

يعرفون ربهم؟

الناس ثلاثة:

هناك من يعرف الله في وقت الرخاء ليعرفه الله في وقت الشدة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «... احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة...»<sup>(151)</sup>.

هذا صنف من الناس.

الصنف الثاني: ينسى الله في سعة الرخاء والعافية، حتى إذا دهمته الشدة استيقظ ضميره، وصحا قلبه، ورجع إلى ربه منيباً إليه، كالذين حدث الله تعالى عنهم: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ...} [الروم: 33]، وكأهل السفينة الذين إذا ركبوا السفينة {... وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس: 22]<sup>(152)</sup>.

صحيح أن كثيراً منهم بعد أن تنتهي الأزمة يعود سيرته الأولى، ولكن على الأقل في ساعة الأزمة يقول: يا رب يا رب، يبسط يده إلى الله، ويقول ما قاله أبوه آدم وأمه حواء: {... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23].

(151) رواه أحمد من حديث ابن عباس (307/1)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث

صحيح.

(152) وأولها: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ...}.



وهناك صنف ثالث: لا يتحرك قلبه لا في رخاء ولا في شدة، لا في عافية ولا في بلاء. تمر عليه السراء والضراء والنعماء والبأساء، وهو غال عن الله، تنزل به المحن القاصمة فلا يرجع إلى ربه، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون: 76]، وهم الذين قال الله فيهم: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} 42 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 43 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} 44 فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 42 - 45].

ينبغي أن نرجع إلى الله في وقت الأزمات، وأن نتوب إلى الله توبة جماعية، وكل إنسان أعرف بنفسه وبما بينه وبين ربه.

ينبغي أن نتطهر، ينبغي أن نخلص الدعاء في هذه المرحلة، ليجنب الله هذه الأمة المصائب المترتبة، أن يجنبها الحرب وويلاتها.

ولكن الله لا يستجيب لنا إذا ظلت القلوب مظلمة بالمعصية، وظلت الأنفس بعيدة عن الله، تجري وراء الشهوات. إنما يستجيب الله لنا إذا دعونا مخلصين له الدين، وهذه هي الفرصة لتنتظر ونتوب ونرجع إلى الله عز وجل، وننظر في أمورنا كلها، لنقومها بمقياس الإسلام، فما كان منها صواباً حمدنا الله عليه وسألناه الثبات عليه والمزيد منه، وما كان خطأً أو خطيئة استغفرنا الله منه، وعملنا على أن يكون يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا.

ينبغي أن يفعل ذلك الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والغني والفقير.  
 ينبغي لمن منع الزكاة أن يؤدي الزكاة ... لمن أهمل الصلاة أن يقيم  
 الصلاة ... لمن ظلم الضعفاء أن يعدل مع الضعفاء ... لمن ينفق ماله في  
 المعاصي أن يمسكه فلا ينفقه إلا في الحق.

ينبغي لكل إنسان عرف من نفسه انحرافاً عن صراط الله أن يرجع إلى  
 الله، ويتوب إليه، ويقول: يا رب يا رب، فإن الله أهل لأن يجيب الدعاء {وَإِذَا  
 سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...} [البقرة: 186] (153).

اللهم إنا نسألك أن تكشف الغمة عن هذه الأمة، وأن تخرجنا من هذه الفتنة  
 منصورين بالحق. اللهم انصرنا بالحق وانصر الحق بنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور  
 الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير  
 إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا. اللهم استر  
 عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن  
 شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

\* \* \*

(153) وتتمتها: { ... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }.

## 12- مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كنت أود أن أبدأ معكم في سلسلة نتحدث فيها عن الإسلام وتعاليمه، عن الإسلام عقيدة، والإسلام شريعة، والإسلام أخلاقاً، نتعلم الإسلام ومبادئه وأحكامه، ونتواصى به.

ولكن مآسي المسلمين التي تصاحبنا وتماسينا، وترأوحنا أنباؤها وتغادينا، وتصك أسمعنا كلما اقتربنا من أجهزة الإعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة، مآسي المسلمين في كل مكان تجعلنا لا نستطيع أن نتحدث عن الأمور النظرية.

لا زلنا في مآسي بعد مآسي، فتن كما جاء في الحديث: «يرقق بعضها بعضاً»<sup>(154)</sup>، أي كلما جاءت فتنة غطت على التي قبلها، حتى اعتبر ما قبلها شيئاً هيناً رقيقاً بالنسبة لما يحدث، وكأن الأمر كما يقول الشاعر أبو الطيب المتنبي:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال  
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال  
هذه هي أحوالنا، وهذه هي أحداثنا ومآسينا.

(154) سبق تخريجه في (ص 159).

منذ أسبوعين صليت الجمعة في مدينة «زغرب» عاصمة «كرواتيا». هذه العاصمة هي المنفذ الوحيد لإخوتنا المسلمين في البوسنة والهرسك.

صلينا الجمعة في مسجد المركز الإسلامي هناك، وهو المسجد الوحيد في هذه البلدة، بعد أن حول مسجدها الجامع - الذي رأيناه في وسط البلدة، وفي سرا المدينة وفي ميدان من أعظم ميادينها - إلى متحف في عهد الشيوعية، هدم «المارشال تيتو» مآذنه الأربع واستبقى المسجد متحفاً، ولا زال الميدان يسمى «ميدان الجامع».

المسلمون في تلك البلاد منذ قرن وربع قرن من الزمان يلاقون المصائب تلو المصائب، والمذابح إثر المذابح، منذ عهد المملكة اليوغسلافية القديمة، ومنذ عهد الشيوعية. وبعد زوال الشيوعية اليوم أصبح هؤلاء لحمهم مباحاً، يقطع بالسكاكين ما بين الحين والحين، هكذا رخصت دماء المسلمين، وهانت حرمان المسلمين.

لقد زرنا الإخوة من البوسنة والهرسك في مدينة «زغرب»، أو زرنا المهاجرين منهم أو المهجرين أو الفارين بأنفسهم، واستمعنا إليهم، وحضرنا مؤتمراً عالمياً لرعاية حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك<sup>(155)</sup>، حضره ممثلون من أكثر من ثلاثين دولة، وللأسف لم نر له أثراً في الإعلام العالمي ولا الإسلامي ولا العربي، لأن الذي يسيطر على الإعلام في العالم - للأسف - هم اليهود وأشباه اليهود، والصليبيون، فلم يسمع عن هذا المؤتمر إلا بعض

(155) انعقد هذا المؤتمر في مدينة زغرب عاصمة كرواتيا في 18 و19 سبتمبر سنة 1992م.

تعليقات في إذاعة «لندن».

تتادى الغيورون من المسلمين بحضور هذا المؤتمر ليؤدوا عدة رسائل:

**الرسالة الأولى:** إلى المسلمين في البوسنة والهرسك: أنهم ليسوا وحدهم، وأن إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليسوا غافلين عنهم، ولا ناسين لقضيتهم، حتى نشد أزهرهم ونقوي عضدهم وننفخ في روحهم. هذه هي الرسالة الأولى.

**والرسالة الثانية:** إلى الغرب ... إلى العالم الغربي الذي يتباهى ويتعالم بأنه عالم حقوق الإنسان، عالم النور والحرية. أردنا أن نبليغه رسالة تقول: أين أنت أيها العالم الغربي؟ أين أنت يا أوربا ويا أمريكا وهؤلاء يذبحون ويقتلون، وتفعل بهم الأفاعيل، في داخل أوربا، قارة النور والعلم والحرية؟! أين العالم الغربي؟ أين هذا العالم الذي خف سريعاً أيام أزمة الكويت، وجاء تحالف من ثلاثين دولة لتحرير الكويت كما زعموا؟ هل كان تحريراً للكويت حقاً؟ لماذا لا يحررون هؤلاء إذن؟

للأسف أن مجلس الأمن قد أصدر قراراً بحظر توريد الأسلحة إلى تلك المنطقة، لأنها منطقة حرب أهلية!! يا عجباً كيف يسوي بين المعتدي والمعتدي عليه؟! كيف يسوي بين الجاني والضحية المجنى عليها؟! ومعنى حظر توريد الأسلحة إلى المسلمين: تسليمهم للسكاكين لتقطع رقابهم وأعناقهم. هذا ما يصنعه العالم الغربي المتحضر.

أردنا أن نبليغ هؤلاء رسالة عسى أن ينتبهوا ويستيقظوا.

**ورسالة ثالثة:** إلى المسلمين في العالم، وللأسف لم تصل إليهم، لن أجهزة

الإعلام لم توصل هذه الرسالة كما ينبغي.

أردنا أن نسمع المسلمين في العالم ما يتعرض له إخواننا هناك من خطر. خطر عليهم في كل ناحية: خطر في دنياهم وفي دينهم، في أنفسهم وفي أعراضهم، في أطفالهم وفي نسائهم، في حاضرهم وفي مستقبلهم.

شعب يباد إبادة كاملة، يصفى جسدياً، تهدم مساجده «أكثر من سبعمئة مسجد هدمت»، تهدم المستشفيات على من فيها، تهدم المدارس، تحرق المزارع، تدمر المصانع، تهدم البيوت، إنهم لا يريدون أن يبقى من هذا الشعب شيء.

في الحرب العالمية هدمت منازل وهدمت مستشفيات وهدمت مدارس، ولكنها هدمت خطأ لا قصداً، كان الذين يرمون القنابل يقصدون الأهداف العسكرية فتصيب أهدافاً مدنية. أما هؤلاء فهم يقصدون ويعمدون عمداً إلى تدمير البيوت والمدارس والمساجد والمستشفيات، إنهم يريدون أن لا يبقى لهذا الشعب شيء.

أكثر من مائة ألف قتلوا حتى الآن، يريدون أن يفنوا الرجال، ويستبقوا النساء، لا للخدمة كما كان يفعل فرعون قديماً - لقد ذكر القرآن عن فرعون المتأله الجبار: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4] - ولكن يستبقوهن للاغتصاب وللمتعة. أصبحت أعراض المسلمين لعبة، أصبحت المرأة تتعرض للهتك والانتهاك، ولا تجد من يحميها.

ذهبنا إلى أحد المعسكرات - أنا وفضيلة الشيخ الغزالي وبعض الإخوة من

الدعاة - واستمعنا إلى بعض القصص، ورأينا الدموع على الخدود، ورأينا المآسي. وقال لنا بعض الإخوة المرافقين: تريدون أن تروا بعض المعسكرات الأخرى؟ قلنا: ومن عنده قلب يستطيع أن يرى أكثر مما رأى؟ لم نستطع أن نبقى طويلاً، مع أننا لا نسمع إلا بواسطة مترجم، ولكن الدموع كانت تعبر.

معسكر فيه ألفان وخمسمائة، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، لأن الرجال إما يقتلون وإما يعتقلون في معسكرات الاعتقال، وكذا الكثير من الشابات.

هؤلاء الصرب الحاقدون المتوحشون يزعمون أنهم لا بد أن يطهروا المنطقة من البوسنويين المسلمين، لا يريدون أن يكون هناك عرق آخر، إنها عملية تطهير عنصري عرقي، هذه فكرة جاهلية... فكرة وحشية، فإله خلق الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا، لا ليقتل بعضهم بعضاً.

ولماذا كان عرق أفضل من عرق؟

وهي ليست مسألة عرقية فقط، ولكن مع هذه العصبية العرقية: عصبية جاهلية... عصبية صليبية، ولا أقول عصبية دينية، فهؤلاء ليسوا من الدين في شيء. فرق بين الصليبية وبين التدين المسيحي، هؤلاء ليسوا مسيحيين، هم صليبيون، لا يعرفون من المسيحية إلا شعار الصليب، هم حاقدون، وبهذه العنصرية الحاقدة يتعاملون مع المسلمين، يقتلون الرجل - أو المرأة - ويرسمون الصليب عليه، هذا ما يعرفونه من المسيحية. أين المسيحية التي تقول: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر؟!!

هؤلاء لا يعرفون إلا الدماء، مجازر وراء مجازر، ومذابح وراء مذابح،

ويكتشف العالم يوماً بعد يوم مقابر فيها مئات وآلاف، ولا بد أن يأتي يوم يحاكم فيه هؤلاء باعتبارهم مجرمي حرب، لا بد أن يأتي يوم يحاكمون فيه على مرأى ومسمع من العالم.

لقد رأينا تقريراً عجباً نشر في مجلة «الدرع» العسكرية لقوات البوسنة: لقد قبضوا على بعض الصربيين من الجنود الذين كانوا يتولون التعذيب والحراسة في معسكرات الاعتقال، وحققوا معهم، واعترفوا اعترافات يشيب من هولها الولدان، وتقتشر من فظاعتها الأبدان. هؤلاء الجنود تبع لذلك الزعيم الصربي المتوحش الذي يعرف بـ «أركان»، وجنوده كانوا يدرّبون في إسرائيل ثم يعودون، وهم غلاة متوحشون قساة غلاظ.

إنهم يتولون حراسة المعتقلين والأسرى من المسلمين، ويكلفون بذبح عدد لا بد منه كل يوم. وطريقة القتل المفضلة عند الصربيين هي قطع الرقبة كما تذبح الأغنام. ذكر أحدهم أنه كلف مع فريق أن يعملوا جزارين للمسلمين، بيد كل منهم سكين - كسكين الجزار أو القصاب تماماً - يذبحون بها المسلمين. قال: ذبحت في يومين ثمانين مسلماً! كيف يذبحه؟ يضربه بمطرقة فوق رأسه أو في مؤخرة رأسه فيغمى عليه، ثم يأتي بالسكين فيذبح رقبتة ويحز رأسه، ويقدم هذه الرؤوس بعد ذلك لرؤسائه ليريهم أنه عمل فأجاد وأحسن، فيكافأ على ذلك بمجموعة من فتيات المسلمين يغتصبهن.

قال أحدهم: اغتصبت ثلاث عشرة امرأة، أول من صادفني منهن عجوز في سن الستين فاغتصبتها! هؤلاء إذن لا يغتصبون للمتعة فقط، إنهم يغتصبون لإذلال المسلمين والمسلمات. قال: واغتصبت أربع فتيات ما بين العاشرة والثانية عشرة - طفلات - وبعد ذلك مجموعة أخرى في العشرينات



من العمر.

وواحد منهم اعترف أنه ذبح ثمانين، واغتصب ثلاث عشرة امرأة.  
عندما كنا في ذلك المخيم - في أطراف المدينة - رأينا العجائز من النساء،  
والشيوخ من الرجال، والأطفال، وقد جاءوا لن بعض إخواننا جاء معه  
بالحلو يوزعها عليهم، ولم نر كثيرًا من الفتيات، لماذا؟ لقد اختبأ الفتيات  
وراء الجدر حياءً وخجلًا، إن كثيرًا منهن حملن نتيجة الاغتصاب.

وعندما كنا في المؤتمر قال الدكتور مصطفى استربتش: لقد عرف  
الإخوان والأخوات هنا بمجيئك أنت والشيخ الغزالي، ولذلك يقدمون إليكما  
استفتاء: ما العمل في هذا الحمل الذي جاء نتيجة الاغتصاب؟ ماذا تفعل  
هؤلاء الأخوات والبنات والفتيات العذارى والأبكار اللاتي حملن اغتصابًا؟  
ماذا يعملن في هذه الأرحام وهذه الأجنة في بطونهن؟

وهو استفتاء ليس بجديد، سمعناه من قبل، عرض علينا من إخواننا في  
إريتريا، حيث الجنود الصليبيون كانوا يفعلون ذلك بفتيات المسلمين، وعرض  
علينا قبل ذلك من سجون إحدى الدول العربية، التي لا ترقب في مؤمن إلا  
ولا نمة (156).

إنها مصائب - أيها الإخوة - تحل بنا نحن المسلمين، الذي انفرط عقدنا،  
ولم نجد أحدًا يدافع عنا. كان لنا خلافة قبل ذلك، وكان الخليفة يستطيع أن

---

(156) أجاب الشيخ القرضاوي عن استفتاء المسلمات في اليوسنة والهرسك بفتوى نشرت  
في كتابه «فتاوى معاصرة» الجزء الثاني (ص 609 - 612)، تحت عنوان: إجهاض  
الحمل الناشئ عن اغتصاب.

يقول: يا مسلمون هبوا لنجدة إخوانكم. بحسبه أن ينادي نداء، فيهب المسلمون من أقطار الأرض للإغاثة والنجدة. ثم هدمت أو هتكت الخلافة، هتكت هذه المظلة التاريخية.

ليس عندنا سلطة دينية كما عند النصارى، عندهم «بابا» يقول: افعلوا وسووا، ليس عندنا هذه السلطة. كان في وقت من الأوقات يوجد من يسمى «شيخ الإسلام» أكبر شيخ عند المسلمين، ولكن السياسة ضيقت علماء الإسلام، فلم يعد هناك أحد يمكن أن يسمى «شيخ الإسلام» الذي يسمع له الناس في كل مكان.

ضعنا نحن المسلمين، واجترأ علينا من اجترأ، وأصبحت مآسينا في شمال الأرض وجنوبها. ما خلصنا من مأساة فلسطين، المأساة القديمة الجديدة المتجددة، حتى فوجئنا بفلسطين أخرى. صربيا الكبرى أشبه بإسرائيل الكبرى، وهؤلاء الصربيون أشبه باليهود، حذوك النعل بالنعل {أَتَوَاصَوْا بِئِنَّ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات: 53]، تشابهت قلوبهم فتشابهت مواقفهم وتصرفاتهم.

إنها المآسي - أيها الإخوة المسلمون - تلاحقنا في كل وقت من الأوقات.

إخواننا هناك الآن يحتاجون إلى المعونة، المعونة بالسلاح والمعونة بالمال، والمال هو قبل كل شيء، به يستطيعون أن يشتروا السلاح. صحيح أنهم سدوا عليهم الطريق بقرار الحظر، ولكن الذين يعرفون الدنيا يعلمون أن السلاح يشتري من السوق السوداء، ما دام معك مال تستطيع أن تشتري السلاح من هنا وهناك.

الجهاد بالمال هو المطلوب الآن ليشتروا به السلاح، إنهم في حاجة السلاح

ليدافعوا عن أنفسهم. والآن قد ارتفعت معنوياتهم وأصبحوا يصمدون، وأصبحوا يكبدون الصربيين خسائر في الأرواح، رغم عدم التكافؤ، فالصربيون ورثوا جيش يوغسلافيا الذي كان رابع جيش في أوروبا، ورثوا أسلحته الثقيلة من الدبابات والطائرات والصواريخ والمدافع والمصفحات، أصبحت كلها بأيديهم، والمسلمون ليس معهم إلا مدافع خفيفة أو بنادق، إنهم الآن في حاجة إلى الدعم حتى يستطيعوا أن يواجهوا هؤلاء.

حينما قلنا للإخوة هناك: إذا كان هناك أطفال أيتام، فإن بلاد المسلمين مستعدة لاستضافتهم، هناك بلاد كثيرة: مصر ... المملكة العربية السعودية ... باكستان، أبدت استعداداً لاستضافة الآلاف من هؤلاء. ولكنهم قالوا: إن سياستنا الآن أن يبقى المسلمون ولا يهاجروا، وأن يقاوموا ولو انهدمت عليهم بيوتهم أو تحولت مساكنهم إلى مقابر، لا نريد ان تتكرر مأساة فلسطين، لقد فعلها «بيجن» وأمثاله وأقاموا المذابح في دير ياسين وغيرها، كي يملأوا القلوب رعباً، ويجعلوها تهجر منازلها، وتصبح المشكلة مشكلة لاجئين. قالوا: يكفي من هاجر من الأطفال إلى أوروبا، نريد أن نبقى في أماكننا، نصبر ونصابر ونقاوم ونقابل ولو فنيينا.

وهذا موقف يحمد لهم، وينبغي أن يعانون عليه، وينبغي أن يؤيدوا فيه، وهناك محاولات لاسترداد الأطفال الذين ذهبوا إلى ألمانيا أو إيطاليا أو غيرها من البلاد الأوروبية، والاتجاه الآن أن يكونوا في «استانبول» ليكونوا في بيئة قريبة من بيئتهم، بيئة أوروبية، المناخ قريب، والحياة قريبة مما هم فيه. فإنهم لو جاءوا إلى مثل ديارنا لكان الموقف مختلفاً تماماً، وفي هذا صدمة نفسية لأولئك الأطفال، وهذا اتجاه طيب.

إن في المسلمين خيراً كثيراً، وهذا الخير يجب أن نستثمره لصالح إخواننا هؤلاء، إنه امتحان للضمير الإسلامي، ونرجو أن ينجح المسلمون في هذا الامتحان.

إنهم الآن على أبواب محنة كبيرة، فصل الشتاء - أيها الإخوة - هناك تنزل درجة الحرارة فيه إلى ثلاثين درجة تحت الصفر، أو أكثر، جردة التجمد، الثلوج ترتفع إلى ثلاثة أمتار أو أربعة أو خمسة، الطرقات تتوقف، لا تستطيع الشاحنات التي تحمل الغذاء أو الدواء أو الوقود أن تتحرك وتنتقل إليهم، ولذلك هم في حاجة إلى مخزون من الأغذية والأدوية والوقود يكفيهم لعدة أشهر، حتى يتجاوزوا فصل الشتاء، وإلا هلكوا برداً وهلكوا جوعاً.

حدثنا الإخوة هناك أنه لا بد من إمداد هؤلاء قبل أن يأتي فصل الشتاء، وإلا وقعوا في هلاك ميبين.

وقال لنا الإخوة البوسنيون: إن الهيئات الفعالة هي هيئات الإغاثة العربية والإسلامية في تلك المناطق، ومعظم ما يأتي عن طريق الأمم المتحدة لا يصل إليهم.

فلا بد أن نمد اليد إليهم، لا بد أن يتحرك الضمير المسلم.

إن الصربيين يزعمون أنهم يدافعون عن أوربا، وأنهم يقومون بخدمة وبمهمة جليلة تاريخية لأوربا كلها. ما هي هذه المهمة؟ إنهم يدفعون عن أوربا خطر الإسلام!

كذبوا والله، الإسلام ليس خطراً، الإسلام رحمة الله للعالمين. والله لن ينقذهم مما هم فيه إلا الإسلام. الإسلام ليس دماء تسفك، ولا أعرضاً تهتك

كما يفعلون، الإسلام حتى في حروبه كان يحرم أن يقتل الشيخ أو المرأة أو الطفل، أو يهدم البناء، أو يقطع الشجر، أو يمثل بجثة. ولهذا قال المؤرخ الفرنسي المعروف «غوستاف لوبون»: «ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب» يعني المسلمين.

هل هؤلاء الملايين المعدودة في البوسنة والهرسك يخوفون أرباباً؟! هؤلاء يريدون أن يقيموا لهم دولة بين الكروات الكاثوليك وبين الصرب الأرثوذكس، وهم ليسوا أصوليين كما يزعمون، إنهم أناس عاشوا نحو نصف قرن تحت وطأة الحكم الشيوعي المستبد، الذي جهلهم بالإسلام وفرغهم من معاني الإسلام إلا قليلاً منهم، فلا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئاً، لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، إنهم بقايا إسلام، ما يبقينهم ويمسكهم على الإسلام هو «شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ولذلك قال لي الوزير الذي زارنا هنا في قطر حينما زرته في فندق «شيراتون»: إن ما أصابنا كان تأديباً من الله لنا، فقد تركنا الإسلام وجهلناه، فأراد الله تعالى أن يردنا إليه وان يلقننا درساً قاسياً، حتى نعود إلى ديننا الذي به عزتنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة.

هؤلاء بعدوا عن الإسلام طوال الحكم الشيوعي، الذي لم يعلمهم لا في مدرسة ولا في مسجد ولا في أي شيء. ولذلك كيف يقيم هؤلاء دولة أصولية، وهم بحاجة إلى أن يتعلموا «ألف باء» الإسلام؟! وهم فعلاً بدأوا بهذا.

حينما علموا أنهم يقتلون ويذبحون من أجل الإسلام، بدأوا يسألون عن هذا

الإسلام، وبدأوا يستجيبون، وبدأوا يصلون، وبدأت بعض الفتيات تتغطين.

ذهب أحد الدعاة على أحد المخيمات هناك فألقى عليهم درساً، ثم قال لهم: في يوم الخميس القادم سأتي لألقي عليكم درساً آخر، ولكم أتمنى لو كنتم صائمين، فإن يوم الخميس ويوم الإثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، فحسب أن ندعو الله معاً ونحن صيام. يقول: وحينما عدت إليهم في الدرس التالي وجدت أكثر من أربعمائة من الرجال والنساء صائمين وصائمات.

فهذا من فضل الله، رب ضارة نافعة، ورب منحة في طي منحة.

لقد قدموا الكثير، ولكن هذا لن يضيع إن شاء الله.

إن الإسلام باق وإن أراد أهل الكفر أن يحوه من الأرض، ولكن هيهات: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: 32]، هل يستطيع أحد أن يطفىء الشمس بنفخة من فمه؟ لا.

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33].

يا أيها الإخوة المؤمنون:

أنتم مدعوون لمعاونة إخوانكم في البوسنة والهرسك، وإخوانكم في الصومال، وإخوانكم في فلسطين، وإخوانكم في جامو وكشمير، وإخوانكم في كل مكان، و«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه» لا يتركه ولا يسلمه لأعدائه بل يقف بجانبه ولو كلفه ذلك نفسه وماله» من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب

يوم القيامة...» (157).

{هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} [محمد: 38].

نستطيع أن نعين هؤلاء من مال الزكاة، فهم من مصارف الزكاة بأكثر من وجه: هم فقراء ومساكين، وأبناء سبيل، وهم في سبيل الله. ونستطيع أن نعينهم من الصدقات بعد الزكاة، ومن الوصايا التي تترك من أموال المتوفين. ونستطيع أن نعينهم بالجهاد بالمال.

إن بعض الشباب يريد أن يذهب إلى هناك ليجاهد، ولكنهم حقيقة ليسوا في حاجة إلى الرجال - وإن كان يوجد هناك بعض الإخوة من العرب والمسلمين، وهم يقومون بتقوية الروح المعنوية لهؤلاء الإخوة من البوسنيين - ولكن حاجتهم إلى المال، فالجهاد بالمال هو المطلوب الآن: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...} [التوبة: 111]، {أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...} [التوبة: 41]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ 10 تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 11} «هذه هي التجارة الربحية، ما ربحها؟» يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ 12 وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا

(157) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (647/2) برقم (1386)، (703/2) برقم (1569).

«أَيُّ أَنْ الرِّبْحِ لَيْسَ فِي الْآخِرَةِ فَقَطْ وَلَكِنْ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا» نَصَرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: 10 - 13].

أقول قولي هذا - أيها الإخوة - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم أيد إخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك، وإخواننا المسلمين في فلسطين، وإخواننا المسلمين في جامو وكشمير، وإخواننا المسلمين في الفلبين، وإخواننا المسلمين في بورما، وإخواننا المسلمين في كل مكان، اللهم أيدهم بملا من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام. وأمدهم بروح من لدنك، ولا تجعل لأعدائهم عليهم سبيلا.

اللهم عليك بالصربيين المتوحشين، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بأعداء الإسلام والمسلمين. اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، واذهب عن أرضك سلطانهم، وخذهم ومن ناصرهم أو وادهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق



والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونياتهم على الجهاد في سبيلك.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

عباد الله، يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*

## 13 - الصحوة الإسلامية بين المتشائمين والمتفائلين (لا يأس ... الفجر قريب)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في بعض المراحل من تاريخ الأمم، تسود بعض موجات التشاؤم واليأس، حتى تغلب على بعض النفوس، فتظن أن الليل مستمر، وأن الظلام لا ينتهي، وأن الفجر لن يطلع. وهذا لا ينبغي أن يكون من شيم المؤمنين، فإن اليأس من لوازم الكفر عند المسلمين، والقنوط من مظاهر الضلال، يقول الله تعالى: { ... إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [يوسف: 87]، { قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } [الحجر: 56].

في العام الماضي كنت في الجزائر، فجاءني بعض الشباب المسلم المتحمس وقال: هل تظن أن تقوم لهذه الأمة قائمة، وأن ترتفع للإسلام راية؟ وها هي الأمة يعتدي بعضها على بعض؟ كالأسمك يلتهم الكبير الصغير، وكالسباع في الغابة يفترس القوي الضعيف، يعتدي الجار على جاره، فلا تستطيع الأمة أن تحرك ساكنًا، ولا تستطيع الأمة أن تحل مشكلاتها بنفسها، فليس عندها قوة ردع تردع الباغي، وليس عندها محكمة عدل تفصل في الخلاف فيما بينها، وأصبح الأمر كما قال الشاعر من قبل:

في كل محكمة قضية مسلم يشكو بليته لغير المسلم  
ولهذا استعنا بغيرنا حتى يحل لنا مشكلاتنا، وضرب بعضنا بعضا،

وقضى بعضنا على بعض، أيًا كان الجاني والمجني عليه، فالضحية هي الأمة في مجموعها، والمضيع هو اقتصاد الأمة ومقدراتها وأبناؤها.

هكذا كان بعض الشباب ينظرون إلى هذا الأمر.

وفي أوائل هذا العام جاءني بعض الشباب هنا في الدوحة وقالوا: ألا ترى ما يحدث؟ هذا مؤتمر السلام كما يدعونه، إسرائيل تتعجرف وتتحكم وتشترب، والجميع يحنون لها الرؤوس، ويقبلون الشروط، تنهي الاجتماع عندما تريد، وتحضر عندما تريد، وتحدد ما ترى، ولا يستطيع أحد أن يرد لها قولاً، أو ينقض لها شرطاً، أليس هذا هو الوهن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: 35].

أصر «شامير» على أن ينهي المؤتمر في «مدريد» يوعود ليقوم بشعائر السبت، وقال له بعض الحاضرين من وزراء الخارجية المسلمين: ها نحن يوم الجمعة ومع هذا لم نبال بيوم الجمعة! فلماذا إصرارك على الرجوع إلى إسرائيل يوم السبت؟!

هذا هو كل ما عندنا: أن اليهود يحترمون يوم السبت، ونحن لا نحترم يوم الجمعة!

رأى البعض في هذا المؤتمر<sup>(158)</sup> أنه إجهاضة للانتفاضة، وقضاء على الجهاد ... الجهاد الذي رفض أن يذكر مجرد عنوان أو لفظة في بيان مؤتمر القمة الإسلامي في السنغال.

(158) أي: «مؤتمر السلام» في مدريد كما يزعمونه.

وجاء آخرون - وأنا ذاهب إلى أمريكا وبريطانيا - من الشباب المصري المسلم يقولون لي: ألا ترى ما يحدث؟ ألا ترى هذه الكوارث؟ ألا ترى هذه الحوادث؟ الناس يموتون بالمئات من أجل أناس أخذوا رشوة، وسمحوا بعبارة لا تصلح للعبور، أليس هذا دليلاً على التسبب؟ ألا ترى هذا الفساد. ألا ترى الوزير الذي اشترى لنفسه، وباع لنفسه، وجمع مئات الملايين؟ وهكذا في كل مكان أرى المتشائمين واليائسين.

وحيثما اختلف المجاهدون الأفغان بعضهم مع بعض، وقتل أحد القادة نتيجة فتنة، جاءني بعض الناس وقال: انظر إلى هذا الجهاد الأفغاني الذي طالما تحدثتم عنه ودعوتم إلى تأييده، قتل بعضهم بعضاً، وفعلوا وفعلوا. يريدون أن يشوهوا الصورة المضيئة المشرقة التي بيضت وجه الإسلام وشرفت المسلمين.

وأخرون يقولون: انظر كيف انتهى الجهاد الإريتري إلى أن يسلم الحكم إلى جبهة يسارية علمانية غير إسلامية. أهذا هو الجهاد الذي طالما دعوتم لأصحابه بالنصر؟ أهذه هي القضية؟

هكذا، المتشائمون يرون الصورة من وجه واحد، لا يرون إلا الفساد، ولا يرون إلا الانحراف، ولا يرون إلا الظلام. وينظرون إلى الأمور بمنظار أسود قاتم، ولكن الواقع أن الصورة ليست كلها كذلك.

ولكن هل هذه الصورة السوداء هي الحقيقة كلها؟ وهل صحيح أن الأمة كلها غارقة في ظلام دامس، وأنها لا تسير من سيء إلا إلى أسوأ، ولا من الأسوأ إلا إلى الأشد سوءاً؟

نحن نظلم أنفسنا، ونظلم أمتنا، ونظلم ديننا، إذ نظرنا إلى الأمور بهذه الطريقة، إذا شوهنا الصورة إلى هذا الحد، إذا سكتنا عن المحاسن، وجسمنا المساوي، إذا أغفلنا المزايا، وضخمنا الأخطاء والعيوب، إذا نظرنا إلى جانب واحد فقط من الصورة، وأعرضنا عن الجانب الآخر.

نظلم أنفسنا إذا نظرنا إلى الأمر كذلك، ناسين أن مع العسر يسرا، وأن بعد الليل فجر، وأن بعد الظلام نورا، وأن الأمور لا تدوم هكذا، وأن في الصورة جوانب ينبغي أن ننظر إليها وينبغي أن نهتم بها، وينبغي أن نضعها أمام أعيننا.

لماذا لا ننظر إلى هذا الجهاد المقدس في فلسطين ... إلى أطفال الحجارة ... إلى هذا الشباب الذي انطلق من المساجد يرفع شعار «لا إله إلا الله والله أكبر»، يتحمل ما يتحمل من كسر العظام، ومن دق الأجسام، ومن التعذيب في المعتقلات، ومن القتل، ومن ... ومن ... ومن؟؟

لماذا لا ننظر إلى هؤلاء الصامدين؟

لماذا لا ننظر إلى الجهاد الأفغاني الذي ظل سنين طويلة يقاتل أعتى قوة ملحدة في الأرض ... وأعتى دولة ملحدة في التاريخ: دولة الاتحاد السوفيتي؟ قاتلها بأسلحته البسيطة التي قام بها في أول الأمر «بعض بنادق وبعض مسدسات»، ثم ظل ينتزع أسلحته بعد ذلك من عدوه، حتى اعترف الناس به، وأيده من أيده، وظل هذه السنين صامداً شامخاً راسخاً كالجبل الأشم، حتى كان سبباً من الأسباب التي أدت إلى التغيير ثم الانهيار في الاتحاد السوفيتي.

لماذا لا نذكر هذا أيها الإخوة؟

لماذا لا نذكر الجزائر؟ الجزائر التي ظلت مائة وثلاثين عامًا تحت الحكم الفرنسي ... تحت الاستعمار الاستيطاني المتعصب، الذي أرد أن يلغي هوية الجزائر، فحارب الإسلام دينًا، وحرار العربية لغة، وفرنس التعليم، وحول كثيرًا من المساجد إلى مستشفيات أو ثكنات أو كنائس أو نحو ذلك.

وظن الناس الظنون بأن شعب الجزائر قد انتهى من الخريطة العربية والإسلامية. ولكن الله هيا له أمثال: عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وإخوانهما من العلماء الصامدين الراسخين، الذين أبوا إلا أن يحفظوا على هذا الشعب شخصيته الإسلامية وهويته التاريخية، وحفظوه في المدارس الإسلامية التي أنشأوها:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب  
وظلت هذه التربية تعمل عملها حتى كانت ثورة الجزائر، أو الجهاد الجزائري، أو حرب التحرير الجزائري، بين المسلمين والفرنسيين - كما كان يقال في إذاعات العالم في ذلك الوقت - وقدمت الجزائر مليونًا ونصف المليون من الشهداء، وتحررت، وخرج الناس في الشوارع يهتفون:

يا محمد<sup>(159)</sup> مبروك عليك الجزائر رجعت إليك  
صحيح أنها لم ترجع كاملة إلى صلى الله عليه وسلم - وإنما اختطفها كارل ماركس، على عادة ما يحدث في كثير من بلاد الإسلام: الإسلام يزرع والعلمانية تحصد - ولكن حينما أتاحت الفرصة للشعب الجزائري ليعبر عن

(159) أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نفسه، لم يجد إلا الإسلام ملاذًا وملجأً، وكانت الصحوة الإسلامية الهائلة التي رأيتها بعيني وعاشتها تلك السنين التي مضت خلال عقد الثمانينات.

لقد كنت أخطب الجمعة في بعض الأحيان، فيحضر مائة وخمسون ألفاً أو مائتا ألف من الفتيان والفتيات، يستمعون إلى الخطبة!

البنات اللاتي تربين على مناهج فرنسا قديماً، وكن لا يعرفن إلا العري، التزمن الحجاب طواعية واختياراً، وأصبحت تمر في الشوارع فلا تكاد تجد امرأة غير محجبة إلا القليل.

وكانت النتيجة ما رأيناه وقرأناه وسمعناه من نجاح التيار الإسلامي في الجزائر. وليس هذا بغريب، والمسلمون جربوا اليمين، وجربوا اليسار، جربوا الليبرالية، وجربوا الاشتراكية، فلم يجنوا من وراء ذلك إلا الضياع والخراب على كل صعيد، فلماذا لا يجربون الإسلام؟

على أن الإسلام ليس مجرد تجربة، الإسلام - بحكم العقد الذي بيننا وبين الله - ليس لنا خيار في قبوله أو رفضه، بل لا بد أن نختاره، ووراءه الخير كل الخير إذا أحسنا فهمه وأحسنا تطبيقه.

وللأسف وجدنا الغرب كله بقضه وقضيضه، يخاف من انتصار التيار الإسلامي في الجزائر، ويخوف المسلمين من وراء ذلك. لم هذا كله؟ شعب اختار لنفسه الطريق.

ألستم أنتم أيها الغربيون تدعون إلى الديمقراطية، وتدعون الشعوب لتختار لنفسها؟! فإذا اختار الشعب الإسلام، كانت الديمقراطية شيئاً يخاف ويجب أن يمحق ويسحق؟! ويدعون يدعو إلى تدخل الجيش الجزائري وإلى

... وإلى ... لم هذا كله؟

لماذا يخاف الإسلام؟

إسرائيل تقيم دولة على أساس التوراة، فإذا جاء من يريدون أن يقيموا دولة على أساس القرآن، كان هذا هو الشيء المرفوض؟! الإسلام وحده هو الذي يحارب في العالم؟! لماذا لا يحترم الناس رغبة الشعب الجزائري؟

كل ما نريده من الذين نجحوا هناك: أن يلتزموا بالإسلام الصحيح، وأن يلتزموا بالحكمة، وأن يعرفوا موقعهم من العالم، وأن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يتهوروا ولا يرتكبوا حماقات.

أليست هذه - أيها الإخوة - نقطة تحسب للإسلام ولأمته بدل هذا التشاؤم واليأس الذي عم الكثيرين؟

لا ينبغي أن نياس، فالإسلام قوي، ويوم تتاح له الفرصة سيظهر ويبرز إلى الوجود.

أما الخائفون من الإسلام فماذا نصنع لهم؟

كانوا من قبل يقولون: احذروا المتشددین المسلمين، احذروا المتطرفين. أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ يقولون: احذروا المعتدلين المسلمين، احذروا الإسلام المعتدل، إن هؤلاء المعتدلين أشد خطرًا، إن المتطرفين لا يدومون طويلاً إن عمر المتطرف قصير، أما الذين يستمرون ويدومون، فهم المعتدلون الذين يدعون إلى التوازن والوسطية والاعتدال، اخشوا من هؤلاء!!



لماذا لا يتركنا هؤلاء وشأننا؟ لماذا يريدون أن يلقوا لنا بالمرصاد؟ لماذا هم خائفون من أي حركة للإسلام إلى الأمام؟ حتى إن بعضهم حينما قال: حلوا حلف الأطلنطي، فلم يعد له مكان بعد أن حل حلف وارسو، وأصبح هناك قطب واحد. فقالت رئيسة وزراء بريطانيا: إن بقاء الحلف ضروري لمواجهة «التطرف» في الشرق الأوسط! ولهذا انتقل مقر الحلف من شمال أوروبا إلى جنوبها في إيطاليا، ليكون بقرب هذه المنطقة، وما التطرف المقصود في الشرق الأوسط؟ إنه الإسلام، والإسلام وحده.

إن الإسلام - أيها الإخوة - بخير.

كنت في أمريكا وفي أوروبا، وحضرت مؤتمرات الشباب الإسلامي هناك. الناس في تلك الأيام يحتفلون - في أجازاتهم - بما يسمى «الكرسمس»، أي: أعياد الميلاد. تقضي الأجازات في شرب المسكرات، وتناول المخدرات، والعب من كؤوس اللذات. ولكن هذا الشباب انتهز الفرصة ليقوم معسكرات إسلامية.

هذه المعسكرات أو المخيمات تقوم على العبادة والثقافة والرياضة ... على قيام الليل، وصلاة الفجر، وحلقات الدروس، والمحاضرات والندوات والأنشطة الإسلامية.

في قلب أمريكا آلاف من الشباب المسلم. رأيتهم هناك في أمريكا ورأيتهم في بريطانيا ورأيتهم في فرنسا، ورأيتهم في غيرها من البلاد.

من كان يظن أن يذهب الشاب إلى تلك البلاد ليزداد تدينًا، أو ليعرف الدين هناك مع إخوانه الشباب؟ يذهب الشباب - من الخليج ومن الشام ومن مصر

ومن المغرب، ومن بلاد كثيرة - غير متدين، لا يكاد يعرف الصلاة، أو لا يصلي أبداً، فيلتقي بإخوته من الشباب المسلم هناك، فيعود شاباً مسلماً ملتزماً متحمساً غيوراً على دينه!

كانوا قديماً يرون أن إنضاج الشاب إنضاجاً كاملاً ليعود إلى بلده بعقل غير عقل المسلم، وقلب غير قلب المسلم: أن يبعث في بعثة إلى بلاد الغرب.

عندما احتلت إنجلترا مصر وغيرها من البلاد، كان سبيل التغيير الأول هو: التعليم والتربية، عن طريق المدارس التبشيرية والأجنبية في البلاد، ثم عن طريق الإشراف على التعليم الوطني نفسه - في مصر كان هناك قسيس اسمه «دنلوب»، هو الذي يضع المناهج والبرامج وفلسفة التعليم، ويشرف عليها في وزارة المعارف حينذاك - ثم من أرادوا أن ينضجوه إلى النهاية بعثوا به إلى أوربا، ليعود «خواجة» تاماً، اسمه اسم المسلمين، وعقله لا يعرف عن الإسلام إلا صورة شائهة.

تغير الوضع الآن والحمد لله.

أليس هذا مما يبشر بخير؟

حدثني بعض الإخوة القادمين من العراق: أنه بعد أن تراخت قبضة الحكومة القائمة، عاد الناس إلى الإسلام ... إلى المساجد، بعد أن كانوا يخافون من الذهاب إلى المساجد، وبعد أن كانوا يخافون من قراءة كتاب إسلامي أو يضبط مع أحدهم كتاب إسلامي.

عاد الناس إلى الدين، لأنه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولأنه حقيقة هذه الأمة.

الحقيقة المعبرة عن هذه الأمة وعن شعوبها جميعاً هي: الإسلام.

ورأيت بعض الإخوة من اليمين الجنوبية. اليمين الجنوبية كانت تحكمها الماركسية والشيوعية، والذين كانوا يحكمونها كانوا أشد تعصباً من أهل روسيا أم الاشتراكية، كانوا ماركسيين أكثر من ماركس نفسه، كانوا يعيبون على الشيوعيين الآخرين - ومنهم الروس - تهاونهم في الشيوعية، والآن بعد عهد الوحدة، وبعد أن أتيح للناس أن يتنفسوا الصعداء، عاد الناس إلى الإسلام، وأقبلوا زرافات ووحيدانا إلى هذا الدين.

الإسلام ينتصر في كل مكان.

لماذا لا نذكر هذا؟ إذا كنا نذكر دائماً السلبيات، لماذا لا نذكر الإيجابيات؟ لماذا لا نذكر الوجه المشرق؟ لماذا لا نذكر شباب الصحوة الذي نراه في كل مكان داخل بلاد الإسلام وخارجها؟ لماذا لا نذكر الفتيات المحجبات، اللاتي لم يلزمهن أب ولا زوج بالحجاب، ولكن هن ألزمن أنفسهن بهذا الحجاب استجابة لأمر الله تعالى. لا شيء غير ذلك؟ لماذا لا نذكر هذا كله حتى تمتلئ قلوبنا بالأمل؟

بعض الناس يذكرون أحاديث الفتن وأشرار الساعة وما ورد في آخر الزمان، أحاديث يفهمونها على غير وجهها، توحى بكل يأس وبكل قنوط، وهذا غير صحيح. لا يمكن أن يذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث ليملأ قلوب الأمة باليأس.

من هذه الأحاديث: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى

للغرباء»<sup>(160)</sup>، و«لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً...»<sup>(161)</sup>، و«... لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشد منه...»<sup>(162)</sup>.

وتذكر هذه الأحاديث لتوحي للمسلم العادي أن الكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، وأنه سيظل مدبراً حتى تقوم الساعة على كعب بن كعب، أي كافر بن كافر.

هل هذه هي الحقيقة؟ وهل أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأحاديث أن يونسنا ويقنطننا؟ كيف وهو الذي يقول في أمر الدنيا: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة» نخلة صغيرة... شتلة» فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرستها فليغرستها»<sup>(163)</sup> لو أن إسرافيل ممسك بالصور لينفخ وينهي هذه الحياة، وفي يدك نخلة صغيرة، فإن استطعت أن لا تنتهي الحياة حتى تغرستها فاغرستها، لماذا ولن تأكل منها، ولن يأكل منها أحد بعدك، ولن ينتفع بها

(160) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، وابن ماجه عن أنس، والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس، رضي الله عنهم جميعاً. «المبشرات بانتصار الإسلام» للقرضاوي (ص 107).

(161) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي «المبشرات بانتصار الإسلام» (ص 40). وتتمته: «ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً».

(162) رواه البخاري في كتاب الفتن من «صحيحه»، بسنده إلى الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشد منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم». انظر: «فتح الباري» (22/13) ط. دار الريان بالقاهرة.

(163) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري في «الأدب المفرد» عن أنس، وكذا الطيالسي واليزار، وقال الهيثمي: رواه ثقات أثبات. «المبشرات بانتصار الإسلام» للقرضاوي (ص 108).

مخلوق؟ إنها إشارة إلى أن المسلم يظل عاملاً منتجاً معطاء حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولو لم ينتفع بهذا العمل أحد، لأن العمل في حد ذاته عبادة لله عز وجل.

هذا في أمر الدنيا، فما بالكم في أمر الدين؟! أمعقول أن يقول الإسلام للمسلم: اترك الدعوة إلى الله، اترك الأمر بالمعروف، اترك النهي عن المنكر، اترك العمل لإصلاح الفساد، لأننا في آخر زمن ولا فائدة؟

مستحيل، مهما فسدت الأحوال، فقد جاءت الآيات والأحاديث تبشرنا أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأنه إن ضل قوم فسيظل هناك مهتدون هادون: { ... فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } [الأنعام: 89].

{ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: 181].

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... } [التوبة: 33، الفتح: 28، الصف: 9]. ليظهر الإسلام ويغلب على كل الأديان، وقد ظهر على اليهودية والنصرانية والمجوسية، ولكن بقيت البوذية والهندوسية والوثنيات المختلفة، ولا بد أن يظهر مرة أخرى على كل دين، وهذه آية ذكرت في القرآن ثلاث مرات (164).

{ ... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة: 32] (165).

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

(164) في «التوبة» و «الصف» {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}. في «الفتح»:

{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}.

(165) أولها: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ...}.

أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ  
خَوْفِهِمْ أَمْنًا...{0} [النور: 55] (166).

بشائر القرآن كثيرة، وبشائر السنة أكثر:

«لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي  
أمر الله وهم على ذلك»، فعليك إذن أن تنضم إلى هذه القافلة ... أن تنضم إلى  
هذه الطائفة المنصورة، القائمة على الحق، الثابتة عليه إلى يوم القيامة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار» ينتشر  
في المشرق والمغرب وفي كل مكان ظهر فيه ليل أو نهار، أي في العالم كله  
وفي الكرة الأرضية كلها» ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر «بيت من حجر أو  
من شعر أي في الحضر أو في البوادي» إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز  
أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر» (167)، هكذا  
بشرنا عليه الصلاة والسلام بانتشار «الدعوة».

وبشرنا كذلك باتساع «الدولة» فقال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت  
مشاركها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها...» (168). وقد  
حدث فيما سبق أن انتشرت الدولة الإسلامية من أطراف الصين إلى  
الأندلس، ولكنها لم تبلغ كل المشارق وكل المغارب، كما بشرنا الحديث

(166) وتنتمها: {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

(167) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال  
الصحيح. «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» (7/6، 8) برقم (9807).

(168) رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه «شرح السنة» للبعوي بتحقيق الأرنؤوط  
(215/14) برقم (4015).

الشريف.

وحدثنا عليه الصلاة والسلام أنه بعد الخلافة الراشدة سيكون هناك ملك عضوض، ثم ملك جبري، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة<sup>(169)</sup>. هذه بشرى من بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ - رومية كما يقول ياقوت في «معجم البلدان» هي «روما» عاصمة إيطاليا الآن، وقسطنطينية هي استانبول - فأخرج صحيفة من صندوق عنده، وقال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال - وكان الصحابة قد علموا أو سمعوا أن كلتا المدينتين ستفتح، لكن السؤال: أيهما يفتح أولاً؟ - فقال: «مدينة هرقل تفتح أولاً»<sup>(170)</sup> أي: «قسطنطينية».

وهذا ما حدث بالفعل، فتح هذه المدينة ذلك الشاب العثماني الطموح «محمد بن مراد» المعروف في التاريخ باسم «محمد الفاتح»، الذي قرأ في كتب الحديث ... في «مسند أحمد» و«مستدرك الحاكم»: «لتفتحن القسطنطينية، لنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»<sup>(171)</sup>، فتاقت نفسه - وكان ذا نفس تواقه - أن يكون هذا الفضل قد ادخر له، وأن يكون جيشه هو الجيش الموعود، وأن يكون هو الأمير المنشود، وظل يهيئ

(169) انظر نص الحديث في «خطبة عيد الفطر» (ص 213).

(170) أورده الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» (323/6) برقم (10384).

(171) رواه أحمد والحاكم وصححه عن بشر الغنوي، وأقره عليه الذهبي. «فيض القدير» للمناوي (262/5) برقم (7227).

الأسباب ويعد الخطط لفتح القسطنطينية، ففتحها وهو ابن الثالثة والعشرين!

ليعرف ذلك شبابنا، ليعرفوا كيف تكون المطامح والأحلام.

فتحت القسطنطينية بطريقة معروفة: المراكب أجراها السلطان محمد الفاتح على القطران «الزفت»، ودخل القسطنطينية هناك من الجانب الآسيوي إلى الأوربي سنة (1453م)، ومن زار منكم استانبول، وزار منطقة الفاتح، وجامع محمد الفاتح، وجد هذا الحديث مكتوبًا على الباب من الخارج: «لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش».

فتحت القسطنطينية، وبقي أن تفتح رومية إذن، هكذا بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ننتظر أن تفتح رومية ... أي إيطاليا ... أي الفاتيكان ... أي أن يعود الإسلام إلى أوربا مرة أخرى.

وما أحوج الغرب كله إلى الإسلام.

أيها الإخوة:

إن الغرب استطاع أن يصعد إلى القمر، ولكنه لم يسعد نفسه على سطح الأرض. إن الناس هناك يشكون من القلق والاكتئاب ... من الاضطرابات النفسية ... من العقد ... من الحياة التي لا معنى لها ولا طعم، يشعرون فيها بالتفاهة والضياع، ولهذا كثيرًا ما يتخلصون من حياتهم بالانتحار.

وهذا سر ما نراه ونقرأه ونسمع عنه عن الخنافس والهيبيز وغير ذلك، من الذين ثاروا على مادية الحضارة وآليتها. الحضارة لم تشبع نهمهم الروحي،



لم تملأ فراغهم العقائدي، إنهم يريدون شيئاً آخر، إنهم ثاروا على الحضارة ولكنهم لا يعرفون البديل، والبديل عندنا.

هل نقدم نحن البديل للإنسانية المعذبة؟ هل نحمل الراية؟ هل نحمل الرسالة إلى العالم؟

لا يوجد غيرنا يحمل طوق النجاة، لا يوجد غيرنا عنده سفينة الانقاذ، الإسلام وحده هو سفينة الانقاذ للعالم.

ولكن كيف نقدم الإسلام للعالم، إذا لم نقمه في ديارنا بفهم صحيح للإسلام وتطبيق صحيح له؟ إننا مسؤولون عن ضلال الأمم، سيسألنا الله عز وجل عن المليارات من البشر الذين لم يعرفوا الإسلام إلى اليوم، لأننا لم نقدم لهم الإسلام كما ينبغي. نحن مشغولون بالصراع بين بعضنا مع بعض، أو بهموم أنفسنا، أو بالحياة المادية التي طغت علينا، ولم نشغل بديننا كما شغل الآخرون بدينهم.

المسيحية جيشت جيوشاً من المبشرين «أكثر من أربعة ملايين»، ودفعت المليارات، وليس ملياراً واحداً، كالذي حدثتكم عنه في مؤتمر «كلورادوا»، وهو مؤتمر من المؤتمرات جمعوا فيه في ليلة واحدة «ألف مليون دولار»! ولكن مليارات الدولارات تدفع باستمرار مساعدة للكنائس. فهل نقوم نحن بنصرة ديننا كما يقوم الآخرون بنصرة أديانهم؟

هذا ما يطلب منها.

دين في أعناقنا، وفي عنق كل مسلم ومسلمة: أن نعمل للإسلام، كما نعمل بالإسلام، وأن ندعو إلى هذا الدين في الداخل والخارج، وأن لا نخاف من

الإسلام.

كثير من الناس يخافون من الإسلام. الإسلام مصدر الأمن وليس مصدرًا للخوف. لا يخاف من الإسلام إلا متحلل، يخاف أن يحكم الإسلام عليه بسد باب الشهوات، كما قال قوم لوط من قبل: { ... أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ } [النمل: 56]<sup>(172)</sup>. لا يخاف من الإسلام إلا فاجر أو ظالم أو متعد على حرمان الناس.

الإسلام هو مصدر العدل، ومصدر الأمان، ومصدر الاستقرار، ومصدر الطمأنينة. وهو وحده الذي يصنع الإنسان الصالح في مجتمع صالح. إذا كنا نشكو من التسبب أو الفساد - فساد الضمائر وفساد القلوب - فلن يصلحنا إلا أن نعود إلى الإسلام، ونربي عليه الأمة، ونربي عليه الأجيال من جديد، حتى نخرج الإنسان الذي يخاف الله، ويراقب الله عز وجل، فالقوانين وحدها لا تصلح المجتمعات.

لن يصلح القانون فينار ادعًا حتى نكون ذوي ضمائر تردع

{ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... } [الرعد: 11].

أسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(172) وأولها: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا}. وفي سورة الأعراف: {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ} [82].

## الخطبة الثانية:

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، ولعلها تكون هذه الساعة. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ... اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكأهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين اللهم آمين.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*



أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

التكبير زينة العيد:

هذا يوم التكبير، جاء في بعض الآثار: «زينوا أعيادكم بالتكبير»<sup>(173)</sup>، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر. الله أكبر ما صام صائم وأفطر، الله أكبر ما هلك مهلك وكبر، الله أكبر ما أحسن محسن واستبشر، الله أكبر ما أذنب مذنب واستغفر، الله أكبر ما ذهب يوم وأدبر، الله أكبر ما أشرق صبح وأسفر.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

التكبير شعار من شعائر الإسلام، به يدخل المسلم الصلاة «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»<sup>(174)</sup>، بالتكبير ينتقل المسلم بين أركان الصلاة المختلفة: إذا ركع كبر، وإذا سجد كبر، وإذا قام بين السجدين كبر، التكبير به يستقبل المسلم مولوده فيؤذن في أذنه اليمنى: الله أكبر، الله أكبر، التكبير به يدخل المسلم المعارك: الله أكبر الله أكبر، كما قال الرسول

(173) رواه الطبراني في «الأوسط والصغير» بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وعزاه في «الدرر» للطبراني عن أنس، ولأبي نعيم بسند فيه كذابان عن أنس رفعه: «زينوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس»، وقال ابن الغرس: قال شيخنا حديث حسن، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» وعزاه إلى أبي نعيم وإلى زاهر عن أنس، قال المناوي: ورواه عنه الديلمي أيضاً «كشف الخفاء» (443/1) برقم (1441) وانظر «فيض القدير» (68/4) برقم (4578)، (69/4) برقم (4579).

(174) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عن علي رضي الله عنه، رمز السيوطي لحسنه تبعاً للنووي، وقال العلامة المناوي: وزعم ابن العربي أن إسناد أبي داود أصلح من الترمذي، قال اليعمرى: ولا وجه له وفيه محمد بن عقيل ضعفه الأكثر لسوء حفظه، لكن ينبغي أن يكون حديثه حسناً. «فيض القدير» للمناوي (527/5) برقم (8193).

الكريم عندما غزا خيبر: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(175)</sup>.

التكبير أن تعلم أن الله أكبر من كل شيء، كل ما يخيل إليك أنه كبير، فالله أكبر منه، إن كان بعض الناس كبراء عندك فالله أكبر منهم، إن كان المال كبيراً عندك فالله أكبر من المال، إن كان الجاه كبيراً فالله أكبر من الجاه والمنصب، إن كانت الدنيا كبيرة لديك فالله أكبر منها، يستحضر المسلم كبرياء الله تعالى وتعالیه وعظمته كلما نطق بهذا الشعار: الله أكبر.

وفي الأعياد يتكرر هذا الشعار: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

تميز أعياد الإسلام:

الأعياد واحة للإنسان في رحلة الحياة، لا يحتمل الإنسان أن تكون الحياة كلها جداً لا لهو فيه، وكلها تعباً لا راحة فيه، لهذا عرف الناس الأعياد، وعرفت الأمم الأعياد لمناسبات شتى، ربطتها أحياناً بمعان وذكريات قومية، وأحياناً بمعان وذكريات وثنية، ولكن الإسلام ربط أعياده بمعان ربانية ومعان إنسانية.

كان للأنصار في الجاهلية عيدان أو يومان يلعبون فيهما، فلما جاء الإسلام أبدلهم الله بهذين اليومين يومين آخرين: يوم الفطر ويوم الأضحى<sup>(176)</sup>.

(175) جزء من حديث أنس المتفق على صحته. انظر: «اللؤلؤ والمرجان» (900)، (1180).

(176) رواه أبو داود (1134)، والنسائي (1465)، وأحمد (3، 103، 178، 235)، كلهم من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده

وهذان اليومان ارتبطا بعابدين عظيمتين:

1- عيد الفطر ارتبط بفريضة الصيام، تلك العبادة العظيمة التي يتربى فيها المسلم على كمال العبودية لله، يُقوى فيها إرادته، يدع طعامه من أجل الله، وشرابه من أجل الله، وشهوته من أجل الله، وزوجته من أجل الله، ولذلك استحق أن يُنسب هذا الصيام إلى الله: «... الصيام لي وأنا أجزي به...» (177).

الصيام تربية لإرادة المسلم، يتعلم منه: كيف يدع الشيء وهو يشتهيهِ، ويستطيع أن يتناوله لو أراد.

ربط الإسلام عيد الفطر بهذه الفريضة، فإذا أتمها استحق العيد. ولذلك يسمى العيد يوم «الجائزة»، كأنه جائزة لمن صام وقام، جائزة من الله تعالى لعباده يوزع عليهم مغفرته ورحمته، ولهذا جاء في آية الصيام: {... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185].

2- وربط عيد الأضحى بفريضة الحج، فالعيد يوم الحج الأكبر الذي يذهب الناس فيه من مزدلفة إلى رمي الجمار، ثم إلى الطواف بالكعبة، إلى الحلق، إلى النحر والذبح، إلى التحلل. هذا كله في يوم العيد.

صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(177) جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (307/1) برقم (505).

المعنى الرباني في أعيادنا:

ربط الإسلام عيد الفطر بالصيام، وعيد الأضحى بالحج، لنعلم أن الأعياد عندنا هي أيام شكر الله عز وجل، ليس العيد انطلاقة للشهوات كما عرف في أديان آخر: أن يوم العيد يوم يسير الناس وراء شهواتهم، يعبون منها حلاًلاً كانت أو حراماً، لا، العيد في الإسلام يبدأ بالعبادة... بصلاة العيد... بالتكبير لله عز وجل.

صلاة العيد فرض كفاية على كل جماعة مسلمة، وهي سنة بالنسبة لكل مسلم ومسلمة، من فاتته الصلاة في الجماعة مع الإمام ينبغي أن يصلي وحده، أو يصلي مع أهل بيته... مع زوجته وأولاده، فالصلاة للرجال وللنساء جميعاً.

العيد مهرجان إسلامي للرجال والنساء والأطفال:

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون يوم العيد يوم مهرجان إسلامي «عرس إسلامي» للأمة كلها، ولذلك دعا الجميع إلى المشاركة فيه، دعا الرجال ودعا النساء، حتى قالت أم عطية رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الأ Bakar والعوائق وذوات الخدور والحويض في العيدين، فأما الحويض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين، قالت إحداهن: إن لم يكن لها جلباب؟ «ثوب خارجي تخرج به» قال: «فلتعرها أختها من جلابيها»<sup>(178)</sup> تستعير من أختها... من جارتها... من صديقتها...

(178) رواه البخاري ومسلم، والترمذي. والعوائق: جمع العائق، وهي الجارية التي قاربت الإدراك. «شرح السنة» للبعوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط (319/4، 320) رقم (1110).



من قريبة لها, وتذهب إلى صلاة العيد, حتى الحيض أمرهن النبي صلى الله عليه وسلم أن يحضرن ويشهدن العيد, يعتزلن الصلاة ولكن يشهدن الخير ودعوة المسلمين وإن كن حيضًا, وهذه سنة هجرها المسلمون للأسف.

مما حدث في المجتمعات الإسلامية: أنهم عزلوا المرأة عن الدين, كأن الدين للرجال وحدهم وليس للنساء, وعزلوها عن المساجد, فلا تذهب إلى جمعة وإلا إلى جماعة, وعزلوها عن العيد, فلا تشارك الرجال فرحة العيد وصلاة العيد.

والحمد لله قد بدأنا مع الصحوة الإسلامية نحبي هذه السنن.

هنا أرى قليلاً من الأخوات قد حضرن, ولكن ينبغي أن يحضر النساء, أي أن يأتي كل رجل معه بزوجته وبناته, ليحضرن هذا المهرجان الإسلامي.

المرأة مكلفة كالرجل, المرأة نصف المجتمع, المرأة من الرجل والرجل من المرأة, يكملها وتكمله, فينبغي أن تشارك في هذه العبادات الجماعية, والله تعالى يقول: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ...﴾ [آل عمران: 195], ما معنى ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾؟ معناها: أن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل كلاهما لا يستغني عن صاحبه, ولا يستغني عنه صاحبه, ليس أحدهما خصماً للآخر, ولا عدواً له.

المعنى الرباني في أعيادنا معنى واضح: معنى الشكر لله تعالى على ما أنعم على الإنسان, ولذلك كان العيد يوم فرحة, كما جاء في الحديث الصحيح: «... للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره, وإذا لقي ربه فرح

بصومه»<sup>(179)</sup>، والفرحة بالفطرة لها معنيان:

- 1- إما معناها الفرحة اليومية، كلما أفطر الإنسان عند الغروب وأكل وشرب، وقال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»<sup>(180)</sup>.
- 2- وهناك الفرحة في نهاية الشهر إذا أفطر، وجاء العيد، وانتهى من صيام شهره. هنالك يفرح الفرحة العامة. وفرحته لأمرين:

**الأمر الأول:** أن الله تعالى أباح له ما كان محرماً عليه، عادت له الحرية، يأكل ويشرب ويباشر زوجته، ما كان محرماً عليه خلال نهارات رمضان أصبح مباحاً له اليوم، فهو يحمد الله على هذه الحرية... على هذه النعمة.

**الأمر الثاني:** وهناك معنى آخر هو: الفرحة بتوفيق الله تعالى له، حيث صام الشهر إيماناً واحتساباً، وقام لياليه إيماناً واحتساباً، وهذه فرحة أعظم كما قال الله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58].

ويدخر له فرحة أعظم حينما يلقى ربه «... وإذا لقي ربه فرح بصومه»<sup>(181)</sup>.

هذا هو المعنى الرباني في أعياد المسلمين.

(179) جزء من حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري واللفظ له، ورواه مسلم . «المنتقى

من كتاب الترغيب والترهيب» (307/1)، رقم (505).

(180) رواه أبو داود، والداقطني وحسن إسناده، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري.

«فقه الصيام» للقرضاوي (ص 110). ط. دار الصحوه/دار الوفاء.

(181) تقدم تخريجه قبل قليل.

المعنى الإنساني في العيد:

تمتاز أعياد المسلمين عن أعياد الآخرين بهذا المعنى الرباني العميق، وتمتاز أعياد المسلمين أيضاً بالمعنى الإنساني: إن الإسلام لم يرد أن تكون فرحة العيد مقصورة على الموسرين والواجدين، على حين يحرم منها الفقراء والمساكين.

لا، لا يجوز لك أن تفرح بالعيد وحدك، تجد فيه ما لذ وطاب من الطعام والشراب، تأكل ملء بطنك، وتضحك ملء سنك، وتلبس الثياب الجديدة، وبجوارك فقير أو مسكين لا يجد القوت، وربما يئن من الجوع أنين المسوع.

هنا فرض الإسلام زكاة الفطر، فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال ابن عباس: «طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين...»<sup>(182)</sup>، إسعافاً لهؤلاء المساكين في هذا اليوم، وقال: «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم»<sup>(183)</sup>، لا تحوج المسكين والفقير إلى أن يطوف بك، يمد يده إليك ويسألك، بل أنت الذي تطوف عليه، وتبحث عنه، وتوصل إليه الزكاة في بيته.

بهذا تعم الفرحة الجميع، يشترك فيها: القادرون والعاجزون، الواجدون

(182) رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (331/1) برقم (571).

(183) رواه ابن عدي والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد ضعيف «سبل السلام» (270/2). وأخرج البيهقي والدارقطني عن ابن عمر قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال: اغنوهم في هذا اليوم». وفي رواية للبيهقي: «أغنوهم عن طواف هذا اليوم»، وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» من حديث عائشة وأبي سعيد «نيل الأوطار» (258/4).

والمحرومون, الموسرون والمعسرون, الأغنياء والفقراء.

أما أن يكون العيد عيداً للموسر الغني, وغماً وكرهاً على المعسر الفقير, فهذا ما يرفضه الإسلام. لهذا شرع في عيد الفطر «زكاة الفطر», وشرع في عيد الأضحى «الأضحية», توسعة على النفس والأهل, وتوسعة - أيضاً - على الفقراء والمساكين, حتى يأكلوا اللحم في العيد, كما يأكله أهل اليسار.

هذه هي المعاني الإنسانية.

المعنى الاجتماعي في العيد:

وهناك المعاني الاجتماعية:

أن يتواصل الناس في العيد: يصل بعضهم بعضاً, يزور بعضهم بعضاً, يهنئ بعضهم بعضاً, يلقي الرجل أخاه فيقول: تقبل الله منا ومنكم, أي: تقبل صيامك وقيامك, منك ومني.

ينبغي أن يهنئ الناس بعضهم بعضاً, خصوصاً الجيران بين بعضهم وبعض, والأقارب بين بعضهم وبعض, لا ينبغي أن يتدابر الناس ويتقاطعوا, الدنيا أهون من أن يتعادي عليها الناس. ولو جاز التدابر والتقاطع والتهاجر في وقت ما, لا يجوز أن تكون في هذه المواسم الخيرة... في هذه الأعياد الربانية الإنسانية. بل ينبغي للإنسان أن يكظم غيظه وينتصر على شهوته وغضبه, ويحل هذه العقدة من نفسه, ويواصل أقاربه الذين كان بينهم وبينه جفوة.

لا ينبغي أن تهجر أخاك... أخاك في الدين, فضلاً عن أن يكون أخاك لأبيك أو لأمك. لا تهجر أرحامك وأقاربك, الله تعالى جعل هذه الرابطة

«رابطة أبدية»: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ 22 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} [محمد: 22، 23]. إياك أن تكون من هؤلاء.

استعل أيها المسلم على أنانيتك ... على فرديتك ... على غضبك ... وصل أقاربك، في الحديث: «ليس الواصل بالمكافئ...»<sup>(184)</sup> أي ليس واصل الرحم هو الذي يكافئ إحساناً بإحسان، ومودة بمودة، وهدية بهدية، «ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»<sup>(185)</sup> لأن الوصل إنما يكون بعد انقطاع.

وفي الحديث الصحيح: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»<sup>(186)</sup>. وفي رواية<sup>(187)</sup>: «أنظروا هذين حتى يصطلحا» «ثلاثاً». المغفرة توزع عن يمين وشمال لأهل التوحيد، إلا هؤلاء المتخاصمين المتقاطعين، فهم محرومون من رحمة الله عز وجل.

(184) رواه البخاري واللفظ له، وأبو داود، والترمذي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (685/2) برقم (1508).

(185) رواه البخاري واللفظ له، وأبو داود، والترمذي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (685/2) برقم (1508).

(186) رواه مالك، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه بنحوه، عن أبي هريرة رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (729/2) برقم (1666).

(187) لمسلم. ومعنى «انظروا هذين» أخرجهما . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (730، 729/2) برقم (1666).

مآسينا نحن المسلمين:

أيها الإخوة:

لا يسعنا ونحن نتحدث عن العيد وفرحة العيد, إلا أن نتحدث عن مآسينا نحن المسلمين. العيد يوم فرحة, ولكننا منذ زمن طويل لم تكتمل لنا الفرحة. نريد أن نفرح من أعماق قلوبنا, ولكننا لا نجد لهذه الفرحة مكاناً, فمآسي المسلمين حيثما شرقنا أو غربنا, ذهبنا يميناً أو شمالاً, تواجهنا, وتصرخ في وجوهنا.

مآسي المسلمين في فلسطين ... في البوسنة والهرسك ... في الشيشان ... في كشمير ... في الفلبين ... في السودان ... في العراق ... في أفغانستان ... في الصومال ... في الجزائر ... في بلاد شتى, لا أستطيع أن أعدد مجرد تعديد مآسي المسلمين التي نواجهها, كلما قرأنا أو سمعنا نشرة الأخبار.

المسلمون تكالب عليهم الأعداء, تداعت عليهم أمم الكفر, كما تتداعى الأكلة على قصعتها, طمع فينا الطامعون, طمع فينا من لا يدفع عن نفسه, حتى اليهود - أحرص الناس على حياة, وأبخل الناس بنفس ومال - طمعوا فينا, وأقاموا دولتهم في أرضنا, وعلى أنقاض أهل فلسطين, هذا ما حدث.

واجبنا في زمن السامري:

نحن الآن في الزمن الإسرائيلي ... في زمن السامري ... في زمن عبادة العجل الذهبي, الكل يهرول إلى إسرائيل ... للصدقة مع إسرائيل ... للعلاقة مع إسرائيل ... للتجارة مع إسرائيل ... للسياحة مع إسرائيل, هناك أناس

يهيئون أنفسهم لأخذ الوكالات الإسرائيلية, يريدون أن يكسبوا ولو من حرام, ولو على حساب إختنا الذين يعانون ما يعانون إلى اليوم, رغم ما يقال عن هذا السلام المزعوم.

أين السلام والقدس في أيدي اليهود, والأقصى أسير لدى اليهود, ولا يقبل اليهود أن يزور الناس «بيت المشرق» الذي كان لمنظمة التحرير, والمستوطنات في كل يوم تتسع وتزيد مستوطنة بعد مستوطنة, واليهود يعلنون ويتبجحون أن القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل, العاصمة الموحدة, أي التي لا تقبل القسمة؟؟؟

علينا نحن واجب ديني: أن لا ننساق وراء ذلك مهما فرط المفرطون, أن نقاطع البضائع الإسرائيلية, إذا ترخص المترخصون الذين يريدون الثراء بأي وسيلة, علينا نحن الشعوب أن نقاطع هذه البضائع.

الشعب المصري يذكر له بالخير, أنه - رغم الاتفاقيات التي اتفقت عليها الدولة والحكومة - رفض أن يتعامل مع إسرائيل, رفض أن يذهب إلى «تل أبيب», رفض أن يشتري البضائع الإسرائيلية. علينا أن نفعل ذلك, لا يستطيع أحد أن يرغمنا على الشراء من بضائع إسرائيل, قد تغرينا إسرائيل في أول الأمر بإرخاص بضائعها لتعودنا عليها, ولكن على المسلم أن يقطع نفسه عن هذا الأمر.

غربة الإسلام في دياره:

إننا لا نستطيع أن نشعر بفرحة العيد من أعماقنا ونحن نواجه المآسي.

المتنبي قديماً جاءه العيد وهو مغترب فقال:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد  
 أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد  
 كان كل ما يعكر صفو المتنبى أنه كان غريباً عن بلده، وأن الأحبة بعداء  
 عنه، وأنه بعيد عنهم، فكيف نشعر نحن بالعيد والإسلام نفسه غريب في  
 دياره، والدعاة إلى الإسلام غرباء في ديارهم؟! كل أمة تتمكن من أن تقيم  
 حياتها كما تريد، إلا أمة الإسلام. لو أراد شعب أن يقيم حياته على أساس من  
 الإسلام، فإن العالم المتحضر - النظام العالمي الجديد كما يسمونه - يرفض  
 هذا، الغرب يرفض هذا، يرفض أن يقوم بلد على أساس الإسلام، كما يفعل  
 ذلك مع السودان.

ما ذنب السودان؟

السودان لم يعتد على أحد، ما فعل شيئاً، كل ما في الأمر أنه اتهم بأنه  
 يؤوي الإرهابيين! ويقول السودانيون: تعالوا هنا لتروا البلد بأعينكم إذا كان  
 فيها إرهابيون أو لا، فقد فتح بابه لكل من يريد ذلك من الخبراء، ولكن ذنب  
 السودان الذي لا يُغفر: أنه توجه إلى الإسلام، وطبق شريعة الإسلام، وعلم  
 الناس كيف يكونون مسلمين، وفتح المعسكرات التي يتعلم الناس فيها الجندية  
 الحقيقية ... الجندية الربانية ... يصومون ويقومون ويتلون كتاب الله. وأي بلد  
 يفعل ذلك لا بد أن يحارب، ولو تخلى السودان عن توجهه الإسلامي لقابله  
 بالأحضان.

لماذا بلاد المسلمين وحدها التي تُحارب هذه الحرب؟

لماذا لا يسمح لنا نحن المسلمين بأن نقيم إسلامنا إذا أردناه؟



كل أمة تستطيع أن تكيف حياتها وفق ما تريده شعوبها إلا المسلمين, ليس لهم ذلك. الشعب الجزائري اختار الذين يمثلون الإسلام في انتخاباته, ولكن العالم الغربي أبى على الشعب الجزائري هذا الاختيار, وفرض عليه الحكم العسكري, ولم تهدأ الثائرة, ولم تجف الدماء من يومها إلى اليوم.

الإسلام يحارب في كل مكان تحت أسماء شتى, أحياناً تحت اسم التطرف, وأحياناً تحت اسم العنف والإرهاب, وأحياناً تحت اسم الأصولية, وأحياناً تحت عنوان الإسلام السياسي, كلها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان, والقصد الحقيقي: حرب الإسلام.

نحن ضد العنف، ضد الإرهاب، وضد سفك الدماء بغير حق، ولكن افسحوا الطريق للإسلام، افسحوا للدعاة الحقيقيين، حتى يعلموا الناس، ويجمعوا الناس على هذا الدين.

هذا ما لا يريدون.

احذروا الإسلام المعتدل:

كانوا قديماً يقولون: احذروا التطرف, واحذروا المتطرفين.

أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ احذروا الإسلام المعتدل، احذروا المعتدلين, إنهم أشد خطراً من المتطرفين! إن الإسلام المتطرف قصير العمر, أما الإسلام المعتدل فهو الذي يبقى ولهذا كان أشد خطراً. ثم يعودون فيقولون: الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً, الإسلام يبدأ معتدلاً ثم يتطرف! فاحذروا هؤلاء الذين يسمون المعتدلين.

احترنا معهم, إذا اعتدلنا حذروا منا, وإذا تطرفنا حاربونا, ماذا نستطيع أن

نفعل حتى نرضي هؤلاء؟

الله تعالى يقول: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...} [البقرة: 120] لا يمكن أن يرضوا عنا. ويقول تعالى: {... وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا...} [البقرة: 217].

المآسي كثيرة والمبشرات أكثر:

يا أيها الإخوة:

المآسي كثيرة، ولكن المبشرات أكثر. ثقوا أن المستقبل لهذا الإسلام ... أن الغد لهذا الدين ... أن النصر قادم، هذا ما لا نشك فيه.

عندنا الأدلة الكثيرة: الأدلة من القرآن، والأدلة من السنة، والأدلة من التاريخ، والأدلة من الواقع، والأدلة من سنن الله في الكون، كلها تدل على أن هذا الإسلام منتصر وأن الغد له.

القرآن يقول: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ 32 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 32، 33]، ويقول: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].

أما الأحاديث فالمبشرات فيها كثيرة، وإن كان كثير من الوعاظ والمذكرين ينسونها، ولا يذكرون إلا حديث: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ،

فتطوبى للغرباء»<sup>(188)</sup>، وحديث: «... لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشد منه...»<sup>(189)</sup>، وينسون هذه المبشرات العظيمة، منها:

انتشار دعوة الإسلام في العالم:

1- ما رواه تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»<sup>(190)</sup>.

اتساع دولة الإسلام:

2- ورد في «صحيح مسلم» أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها...»<sup>(191)</sup> يعني: الدين سينتشر ما انتشر الليل والنهار،

(188) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، وابن ماجه عن أنس، والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم جميعاً «المبشرات بانتصار الإسلام» للقرضاوي (ص 107).

(189) رواه البخاري في كتاب «الفتن» من «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه «فتح الباري» (22/13)، وانظر ما كتبه الشيخ القرضاوي عن هذا الحديث والذي قبله في كتابه «المبشرات بانتصار الإسلام» تحت عنوان: «أضواء على أحاديث أسية فهمها» (ص 105 - 131).

(190) رواه أحمد في سنده، وأورده الهيتمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد والطبراني: ورجاله رجال الصحيح «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» (7/6 - 8) برقم (9807). ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: انتشاره في الأرض كلها. والمدر: هو الحجر، والوبر هو الشعر، أي أن هذا الدين سيدخل الحواضر والبادي جميعها.

(191) رواه مسلم في «صحيحه» من حديث ثوبان رضي الله عنه «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (215/14) برقم (4015). ومعنى «زوى لي الأرض»: أي

والدولة ستتسع لتشمل المشارق والمغرب.

خلافة مع منهاج النبوة:

3- جاء في الحديث الآخر: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»<sup>(192)</sup> ثم سكت.

عودة الإسلام إلى أوروبا مرة أخرى:

4- وجاء أن رومية ستفتح بعد فتح القسطنطينية ... إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقال: «مدينة هرقل تفتح أولاً»<sup>(193)</sup>، وهي القسطنطينية، وقد فتحت منذ قرون،

قبضها، وضمها، وجمعها له عليه الصلاة والسلام حتى يراها جملة واحدة. (192) أورده الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد في ترجمة النعمان، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط»، ورجاله ثقات. «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» (341/5 - 342) برقم (8960). قال الشيخ القرضاوي معلقاً على الحديث في كتابه «المبشرات بانتصار الإسلام» (ص 34): «المعروض» - هو الذي يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنه له أنياباً تعض. أما ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا. (193) أورده الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» (323/6) برقم (10384). وقال الشيخ شاکر: إسناده صحيح، وذكره الألباني في «سلسلته الصحيحة» برقم (4). وانظر «المبشرات بانتصار الإسلام» للشيخ القرضاوي (ص 28 - 31).

فتحها الشاب العثماني «محمد الفاتح». بقي أن تفتح «رومية» وهي «روما» عاصمة إيطاليا, ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوروبا مرة أخرى, بعد أن أخرج منها مرتين: مرة أخرج من الأندلس ومرة أخرج من البلقان, وهذا ما نوقن به.

سيعود الإسلام إلى أوروبا, والغرب أحوج ما يكون إلى هذا الدين, فهو يعيش عصر القلق والمعاناة والأمراض النفسية. صحيح أنهم استطاعوا أن يصلوا إلى القمر, ولكنهم لم يستطيعوا أن يسعدوا أنفسهم على الأرض. الذي يحقق لهم السعادة هو رسالة الإسلام.

الانتصار على اليهود:

5- وعندنا من المبشرات: أننا سننتصر على اليهود «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود, فيقتلهم المسلمون, حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر, فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم, يا عبد الله, هذا يهودي خلفي, فتعال فاقتله»<sup>(194)</sup>.

المبشرات كثيرة من السنة.

مبشرات من التاريخ ومن الواقع:

والمبشرات كثيرة من التاريخ: حروب الردة, والحروب الصليبية, وحروب التتار, انتصر الإسلام فيها. وهذه الأمة ثبت تاريخياً أنها أصلب ما تكون عوداً, وأشد ما تكون قوة, حينما تحل بساحتها الخطوب, وتشتد عليها الكروب, وتتفاقم عليها المحن, هنا يظهر المكنون من طاقاتها, كما ظهر أيام

(194) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه «صحيح الجامع الصغير» برقم (7427).

صلاح الدين وأيام قطن, في معركة حطين ومعركة عين جالوت.  
وأما المبشرات من الواقع فيكفي أن نقول: إن هذه الصحوة الإسلامية  
المعاصرة تدل على أن الإسلام بخير.

جاءتني منذ سنتين مراسلة أمريكية تقول لي: ما الذي يحدث في بلاد  
الإسلام؟ في بلاد الغرب نجد الناس يتركون الدين ويبيعون الكنائس, وأنتم  
عندكم هذا الإقبال الكبير على الدين!!

أجل, هذا ما لفت أنظار كل المراقبين في الغرب والشرق.

هذه قوة هذا الدين, هذا الدين ولا شك قوي بذاته, فيه قوة ذاتية داخلية,  
انظروا هذه الصحوة التي جمعت الشباب على الإسلام, المساجد تمتلئ  
بالمصلين والمصليات, المواسم في الأرض المقدسة تمتلئ بالمعتمرين  
والمعتمرات, ومعظم هؤلاء شباب. صلى في يوم الجمعة ليلة السابع  
والعشرين من رمضان حوالي مليونين, وفي المسجد النبوي مئات الآلاف,  
وفي كل بلاد الإسلام ملايين وعشرات الملايين قاموا تلك الليلة, هذا يدل  
على أن هذه الأمة بخير.

كل ما نريده من الأمة أن تستفيد من دروسها, وهذا للأسف ما نفتقده.

هل تعلمنا من مدرسة رمضان؟ المدرسة التي يفتحها الإسلام ثلاثين يوماً  
وليلة في كل عام.

هل تعلمنا من الصيام قوة الإرادة؟ هل تعلمنا من القيام؟ هل تعلمنا من  
تلاوة القرآن؟ هل تعلمنا من الدروس التي سمعناها طوال هذا الشهر؟

ينبغي أن نتعلم حتى نغير ما بأنفسنا.

هذه الملايين التي صامتت وقامت تستطيع أن تفعل الكثير لو أنها اجتمعت على منهاج واضح، ووراء قيادة إسلامية، تستطيع أن تفعل ما فعل صلاح الدين من قبل، وما فعل قطز، وما فعل المجاهدون الأولون.

الامة فيها خير: و«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»<sup>(195)</sup>.  
{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: 181].

إن المبشرات كثيرة.

مبشرات من سنن الله:

ومن هذه المبشرات: أن سنن الله معنا، إذا غيرنا ما بأنفسنا غير الله ما بنا:  
{ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... } [الرعد: 11].

ومن ذلك سنة التداول ... تداول الأيام بين الأمم والأقوام: { ... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ... } [آل عمران: 140]، ولهذا قيل: الدهر يومان، يوم لك، ويوم عليك، وقيل: دوام الحال من المحال. وهذه الدورة علينا، ولكن الدورة القادمة لنا إن شاء الله. كان القرن التاسع عشر قرن الرأسمالية، وكان القرن العشرون قرن الشيوعية، ولكن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن الإسلام إن شاء الله.

(195) رواه أحمد والشيخان «صحيح الجامع الصغير» برقم (2790).

هذا أملنا, وهذا رجاؤنا:

سينتصر الإسلام: { ... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ... } [التوبة: 32], ولكن الإسلام إنما ينتصر بأهله:

وعادة السيف أن يزهى وليس يعمل إلا في يدي بطل  
يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله: { ... هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }  
[الأنفال: 62], فالنصر للمؤمنين, والنصر بالمؤمنين.

حققوا إيمانكم, إيمانًا صادقًا يتجلى في أعمال, ويتجسد في أخلاق, ويتحدد  
في مواقف, والله تعالى لن يتخلى عنكم: { إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ  
يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران:  
160].

يا أيها الإخوة:

هذا هو العيد ... عيد الفطر, الذي أكرمنا الله تعالى به. نسأل الله تعالى أن  
يعيده, ويعيد أمثاله على أمتنا, بالأمن والإيمان والسلام والإسلام والتوفيق لما  
يحب ويرضى.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى, وقلوبها على التقى, ونفوسها على  
المحبة, وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم وفق المختلفين من هذه الأمة, اللهم وفق إخوتنا في أفغانستان, ووفق  
إخوتنا في الصومال, ووفق إخوتنا المجاهدين في كل مكان, وافتح لهم فتحًا  
مبينًا, واهدهم صراطًا مستقيمًا, وانصرهم نصرًا عزيزًا.



{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: 10].

{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ 180 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ 181 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الصافات: 180 - 182].

وتقبل الله منا ومنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

\* \* \*

## 15 - وقفات بعد رمضان

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كل شيء هالك إلا وجهه:

انقضى رمضان، ككل شيء في هذه الدنيا ينقضي ويزول، كل جمع إلى شتات، وكل حي إلى ممات، وكل شيء في هذه الدنيا إلى زوال، { ... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص: 88].

نحن زائلون، والحياة كلها زائلة، كل ما في هذا الكون متغير وفان {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٌ 26 وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ نُورًا جَلِيلًا وَإِلَافًا 27}. [الرحمن: 26، 27].

الأزمنة تمضي، والحياة كلها تمضي، ونحن نمضي ونذهب، الحي اليوم سيموت غدًا، من كان على ظهر الأرض اليوم سيصبح في بطنها غدًا، هذه هي سنة الحياة، والباقي هو الباقيات الصالحات ... هو الإيمان والعمل الصالحات، كل شيء ذاهب إلا ما قدمت من خير لوجه الله تعالى.

فرحة الصائمين بالعيد:

ومن هنا كان على المسلم بعد رمضان أن يقف وقفات يحاسب فيها نفسه، ويراجع فيها سجله، وينظر فيما قدم، هل أدى الواجب أو قصر؟ أما من أدى الواجب فمن حقه أن يفرح، وهذا معنى: «وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا

أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه بصومه»<sup>(196)</sup>. الفرحة بالفطر فرح يومي عندما يتناول طعامه الذي كان محرماً عليه، وشرابه الذي كان ممنوعاً منه، ويقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله عز وجل»<sup>(197)</sup>، ويقول: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت»<sup>(198)</sup>، ويدعو بما شاء الله له من خيري الدنيا والآخرة.

فرحة يومية حرم منها أولئك الذين اسودت وجوههم وقلوبهم، ولم يعرفوا لرمضان ولا لرب رمضان حقاً.

ثم يأتي العيد، فيفرح الصائمون بانتهاء هذا الشهر على خير. إنها فرحة بتوفيق الله تعالى للطاعة، إنها الفرحة التي عبر عنها القرآن بقوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58].

فرح بالحق وفرح بالباطل:

الفرح فرحان: فرح بالباطل وفرح بالحق.

الفرح بالحق ما كان بفضل الله وبرحمته وتوفيقه لطاعته.

أما الفرحة الآخر فكالذين قال الله لهم حينما أدخلهم النار: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر: 75]. الذين يفرحون

(196) رواه البخاري وهذا لفظه، ورواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه «المنتقى

كتاب الترغيب والترهيب» (307/1) برقم (505).

(197) رواه أبو داود، والدارقطني وحسن إسناده، والحاكم، وابن السني «شرح السنة»

للبيهقي بتحقيق الأرنؤوط (265/6) برقم (1740).

(198) رواه أبو داود، وابن السني، والحديث مرسل «شرح السنة» للبيهقي بتحقيق شعيب

الأرنؤوط (265/6) برقم (1741).

بغير الحق: يفرحون بالمال الحرام الذي في أيديهم، يفرحون بالجاه الزائف الذي يسر لهم ولا يقومون بشكر الله على شيء من هذا، يفرحون بأموالهم وأولادهم، يفرحون بما أتيح لهم من شهوات حرام، ومتع حرام، ومال حرام، ومجد حرام، {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: 76].

بعض الفرح يكون مصيبة على صاحبه في الدنيا والآخرة، كالذين حدثنا الله عنهم أنهم تنزل بهم المصائب، وتحل بهم الشدائد، فلا يرق منهم قلب، ولا تدمع لهم عين، ولا ينتفعون بعبرة، أولئك ذوو القلوب القاسية الصخرية، الحجرية {وَإِنَّ مِنْ أَلْحَجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءً} [البقرة: 74].

هؤلاء هم الذين قال الله فيهم: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ 42 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} «حينما نزل بهم بأس الله ونزلت بهم الشدة ما قالوا: يا رب، وقرعوا باب السماء مستغيثين نادمين» {وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 43 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} «كلما أحدثوا معصية حدثت لهم نعمة، استدراجاً من الله لهم، وكيداً لهم، ومكرراً بهم» {حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام 42 - 44].

هذا هو الاستدراج: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ 44 وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم: 44، 45]، وفي الحديث «إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم

يفلته» (199) ثم قرأ (200): {وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102].

إذا رأيت بعض الظلمة الجبارين وقد أملى له وأرعى له في الحبل، وفاضت النعم من حوله، ورأيته منتشياً فرحان سكران بخمر النعمة والنعمة، فاعلم أنه مستدرج، وأن شيئاً ينتظره من السماء، وأن كارثة ستنزل به، ولهذا قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ 44 فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 45} [الأنعام: 44، 45] الحمد لله على قطع دابر الظالمين، لأنهم نعمة على الناس كلهم، وعلى الكون كله. وقطع دابرهم نعمة يحمد الله تعالى عليها وتدل على ربوبيته للعالمين.

هذا هو الفرح الذي يجلب على صاحبه شر الدنيا وشر الآخرة.

ليس كل فرح محموداً، الفرح بالحق ... بالطاعة ... بالتوفيق، هذا هو الذي يحمد، أما الفرح بمعنى الأشر والبطر فهذا مذموم، وهو الذي تُهي عنه قارون حينما قال له قوم موسى {لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: 76] أي: لا تبطر بما عندك من نعم، ولا تكن من المزهوين المغرورين، فإن الله لا يحب هذا النوع من الناس.

(199) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، عن أبي موسى رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (619/2) برقم (1303).  
(200) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

الحذر من العجب بالطاعة:

المسلم يقف بعد رمضان - إذا كان ممن وفقه الله لحسن الصيام وحسن القيام، إذا كان ممن صامه إيماناً واحتساباً، وقامه إيماناً واحتساباً، وقفة الفرح بفضل الله ... بتوفيق الله عز وجل، ويسأل الله أن يتقبل منه ولا يعجب بنفسه.

إياك والعجب بما وفقت إليه من طاعة، إياك والغرور، فإنك لا تدري أقبلت منك الطاعة أم لا؟ ربما كان فيها خلل، ربما شابها شائبة من الرياء أو عدم الإخلاص أو العجب، والعجب مهلك، ومفسد للطاعة، ولهذا قال علي رضي الله عنه: «سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك»! سيئة تنكد عليك وتندم عليها وتتكبر نفسك من أجلها، خير من حسنة تعجب بها وتغتر.

أخذ هذا المعنى ابن عطاء الله وعبر عنه في حكمة فقال: «ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية فكانت سبباً في الوصول، معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً». الطاعة التي تورثك العجب والاستكبار تقول بعدها: من مثلي؟ أنا الذي صمت وقمت، أنا الذي صليت التراويح وصليت القيام، أنا الذي تصدقت وأطعت. ما يدريك يا مسكين أن هذا قد قبل منك؟

وقد ذهب بعض الصالحين لزيارة شيخ لهم وهو مريض مرض الموت، فوجدوه يبكي، فقالوا له: لم تبكي وقد وفقك الله للصالحات، كم صليت وكم صمت، وكم تصدقت، وكم حججت، وكم اعتمرت؟! فقال لهم: وما يدريني أن شيئاً من هذا قد قبل؟ والله تعالى يقول: { ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }

[المائدة: 27] وما يدريني أني منهم؟

ولهذا عليك أن تفرح إذا وفقت للطاعة ولا تعجب بنفسك، كن خائفًا، كن على حذر من مكر الله، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى رجلي في الجنة» فالمؤمن دائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، يرجو رحمته ويخشى عذابه، هو دائمًا بين الرجاء والخوف مهما قدم من عمل.

خزي أهل المعصية في العيد:

هذه وقفة يقفها المسلم بعد رمضان. الفرحة لأهل الطاعة، أما أهل المعصية فلهم الخزي، والندامة كل الندامة، الصائمون القائمون في العيد وجوههم مسفرة، ضاحكة مستبشرة، أما أولئك فوجوههم عليها غبرة، ترهقها قترة، أولئك هم العصاة الفجرة، أولئك الذين لم يعرفوا لرمضان حقه، ممن يتسمون بأسماء المسلمين، ويعيشون بين ظهراني المسلمين.

كم تأتيني رسائل وكم تأتيني هواتف من نساء يشكون من أزواج أو من أبناء يشكون من آباء يفطرون في نهار رمضان، ويطلبون الخمر في نهار رمضان! أليست هذه مصيبة: أن يوجد بين ظهرانينا أناس يفطرون في نهار رمضان وصبيان المسلمين يصومون!؟

كم من صبيان في سن السابعة والثامنة صاموا رمضان، وترى الرجل الطويل العريض بفطر رمضان، تنهاه زوجته وبينها ابنه الصغير وهو لا يزدجر، ولا يعتبر، أليست هذه مصيبة؟ مصيبة أن يبقى بين ظهرانينا مثل هؤلاء، يجب أن يقاطعهم المجتمع، يجب أن يحاصرهم حصارًا أدبيًا، يجب أن يشعر الناس أن هؤلاء يحملون «إيدزًا» مرعبًا إنه أيدز المعصية، إنهم

يعدون الأصحاء، إنهم مصيبة، إنهم يحملون أمراضاً وجراثيم أخطر من حملة «الإيدز» وحملة الأمراض الخبيثة.

هؤلاء ليس لهم رمضان، وليس لهم عيد. وليس العيد عيدهم، العيد عيد الصائمين القائمين.

الاستمرار في الطاعة بعد رمضان:

المسلم الذي وفقه الله يقف بعد رمضان فرحاً بما وفقه الله إليه من طاعة، ويقف وقفة أخرى: هي وقفة المتابعة والاستمرار والثبات على ما وفقه الله إليه، والنية في المضي في هذا الطريق والاستفادة من رمضان.

رمضان شحن لك «البطارية» فاستفد من هذه الشحنات في سيرك إلى الله. رمضان أعطاك زاداً ينفعك طوال العام، فاستفد من هذا الزاد.

أما أن تنقطع بعد رمضان عن الله فهذا ما لا ينبغي، أما أن يكون لك في رمضان حظ من التلاوة، ثم بعد ذلك تهجر المصحف إلى رمضان القادم فهذا ما لا يليق. أما أن يكون لك حظ من المسجد، ثم بعد ذلك تنقطع عنه إلى رمضان القادم فهذا لا يليق.

قد يخف نشاطك - وهذا طبيعي، فرمضان يزيد الإنسان فيه من نشاطه فهو موسم الطاعات ومتجر الصالحين - ولكن الانقطاع بعد رمضان لا يجوز.

من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.



الثبات والاستمرار على الطاعة من أخلاق المؤمنين، كان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر ما يدعو به: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(201)</sup> ومن دعاء الراسخين في العلم: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8] أي لا تزيغ بعد الهداية، ولا تتحرف بعد الاستقامة، وأن تظل مستقيماً في طريقك.

لقد قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ 30 نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ 31 نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: 30 - 32]. تنزل الملائكة على هؤلاء - الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - عند الوفاة ... عند الاحتضار، تبشرهم بالجنة، وتبشرهم بهذا الخير العميم.

جاء عن السلف في وصف هؤلاء: «ثبتوا على قولهم «ربنا الله»، وأدوا لها حقها، واستمروا عليها إلى الموت، ولم يروغوا روغان الثعالب». استقاموا على الطريق، ومضوا كالشعاع، لم ينحرفوا.

هؤلاء هم الذين يستحقون البشارة بالجنة عند الموت: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 32].

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبتته، أي داوم عليه، وكان

(201) رواه الترمذي وحسنه عن أنس، والحاكم وصححه عن جابر «كشف الخفاء» للعجوني (390/2) برقم (3215).

عليه الصلاة والسلام يقول: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»<sup>(202)</sup>.

المهم أن تستديم على العمل، وتستمر ولا تنقطع، لا تتحمس فترة من الزمن ثم تنقطع عن هذا العمل نهائياً، لا، اجعل لك حظاً دائماً مع الله ... مع القرآن ... مع المسجد ... مع عمل الخيرات ... مع التواصل لإخوانك ورحمك.

ما كسبته في رمضان لا تضيعه، أحرص على هذا الزاد العظيم:

تزود للذي لا بد منه فإن الموت ميقات العباد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد؟

وخصوصاً أن أحداً لا يعطيك من زاده في الآخرة، كل إنسان حريص على زاده، لا يفرط في شيء منه، لا لأب ولا لأم ولا لولد ولا لأخ، لأن كلاً يقول: نفسي نفسي { ... لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ الْوَالِدَةِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ الْوَالِدَةِ شَيْئاً إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان: 33].

ما كسبته في رمضان - أيها المسلم - استمر عليه، ولو بقدر أقل، ولكن استمر على الخير، اثبت عليه.

كن ربانياً ولا تكن رمضانياً:

الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون موسمياً فقط، يطيع الله في شهر معين ثم ينقطع تماماً. كان السلف يقولون: «بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، كن ربانياً ولا تكن رمضانياً». أي لا تكن أهلاً للطاعة في

(202) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، وله ألفاظ أخرى «كشفت الخفاء» للعجلوني (52/1) برقم (122).

رمضان وحده، كن أهل الطاعة في كل الشهور. زد في رمضان، وانشط أكثر في رمضان، ولكن استمر على الطاعة بعد رمضان، فهذا دليل على أن الله تعالى قد قبل صيامك وقيامك. فعلامة قبول الحسنة أن توفق لحسن بعدها، كما قال تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...} [مريم: 76]، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17]. ومن علامة العقوبة على السيئة أن تعمل سيئة بعدها، وهي عقوبة معجلة في الدنيا قبل عقاب الآخرة، ولكن إذا رضي الله عنك وفكك لأن تتوب من السيئة، وأن تزيد الحسنة حسنة بعدها.

يا أيها الإخوة:

لقد مضى رمضان إما شاهداً لنا وإما شاهداً علينا، ونسأل الله أن يكون شاهداً لنا، وأن يكون شافعياً لنا، فقد ورد أن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»<sup>(203)</sup>.

صيام ست من شوال:

ومما شرعه الإسلام لاستمرار الطاعة، بعد رمضان، ودوام الصلة بالله تعالى بعد رمضان، ما حثنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم من صيام ست من شوال، فقد قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام

(203) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الكبير» ورجاله محتج بهم في «الصحيح» كما قال المنذري والهيثمي، ورواه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (309/1) برقم (509).

الدهر»<sup>(204)</sup>، وجاء تفسير ذلك في حديث آخر، قال: «جعل الله الحسنة بعشر أمثالها، فشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة»<sup>(205)</sup>. فصيام رمضان بعشرة أشهر، وستة أيام بشهرين، أي: صام السنة كلها. وإذا استمر على ذلك كل سنة فقد صام الدهر كله.

الإسلام يريد من الإنسان أن يكون له بعد الفرض نفل، كما أنك إذا صليت الفرض تصلي سنة: ركعتان قبل الصبح، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، كل هذه سنن، لماذا؟ لتجبر ما حدث من خلل وقصور في الفريضة، فهي رصيد احتياطي يكمل ما نقص من فرضك.

ومن ناحية أخرى تقابل ما بدر منك من سيئات، فرصيد السيئات كبير يحتاج إلى شيء يقابله.

ومن ناحية ثالثة لتزداد اقترباً من الله: «... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»<sup>(206)</sup>.

(204) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، عن أبي أيوب

رضي الله عنه «المنتقى عن كتاب الترغيب والترهيب» (315/1) برقم (523).

(205) رواه النسائي عن ثوبان رضي الله عنه «المنتقى عن كتاب الترغيب والترهيب»

(315/1) برقم (524).

(206) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو الحديث الثامن والثلاثون من

«الأربعين النووية».

ولهذا شرع الله صيام هذه الست من شوال «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال...».

بعض العلماء يقول: يتبعها في اليوم الثاني للعيد، والبعض قال: المهم أن تكون في شوال، وليس من الضروري أن يصومها ستاً متتابعة، يمكن أن يفرّقها.

كلّ هذا ليستمر في الطاعة، ليظلّ حبله بالله تعالى موصولاً، ولا ينقطع عن الله تعالى أبداً.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن: ثابت على الطاعة، مستمر في عمل الخير، لا يتوقف ولا يرتد إلى الوراء، ولا ينحرف يميناً أو شمالاً، لأنه يسأل الله تعالى دائماً أن يهديه الصراط المستقيم، فهم قوله تعالى لرسوله: {فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ...} [هود: 112]، فهو يجتهد دائماً أن يكون من الذين قال الله فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 13 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: 13، 14].

أقول قولي هذا، أستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة:

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام. الله خذهم ومن ناصرهم أخذ  
عزير مقتدر. اللهم أدر الدائرة عليهم، وسق الوبال إليهم.

اللهم احفظ أوطاننا من كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، ودعوات  
الهدّامين، وانحلال المنحلّين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر  
بلاد المسلمين.

اللهم إنّنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا  
تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، واجمع كلمة أمّتنا على الهدى، وقلوبها على  
التقى، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ونياتنا على الجهاد في  
سبيلك.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

اللهم اجعل هذا العيد خيراً وبركة على أمّة الإسلام، وأعد أمثال عليها  
بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى.

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرّياتنا، ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم آمين.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*

## 16- رحلة الحج

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن اليوم في الثامن من ذي الحجة ... يوم التروية، اليوم الذي يبدأ فيه الحجاج رحلتهم إلى منى، ثم إلى عرفات، ثم من عرفات إلى المزدلفة، إلى منى لرمي جمرة العقبة، إلى الكعبة للطواف ببيت الله الحرام طواف الإفاضة. ثن في أيام الحج، والحج هو الركن الخامس - من أركان الإسلام - الذي تمم الله به الشعائر والفرائض العملية، التي جعلها أركان هذا الإسلام.

{حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (207) [آل عمران: 97] فريضة على كل مسلم - ومسلمة - قدر على أداء الحج بدنياً وقدر على أداء الحج مالياً، ملك الزاد والراحلة كما روي في الحديث (208). ومعنى «ملك الزاد والراحلة»: أن يملك نفقات الطريق إلى بيت الله، ونفقات الإقامة هناك، كل على ما يليق بحاله.

ونحمد الله في هذا العصر أننا لا نشكو من قلة الحجاج، بل ربما شكونا من كثرة الحجاج وازدحام الموسم ممن يحجون الحجة السابعة والعاشرة

(207) قال تعالى: { ... وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... }.

(208) الذي رواه ابن ماجه بإسناد حسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من الحاج؟ قال: «الشعث الثفل». قال: فأبي الحج أفضل؟ قال: «العج والثج». قال: وما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة». وانظر . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (1/348 برقم 601).



والعشرين والأربعين.

الحمد لله، البيت الحرام مزدحم بالطائفين، وطالبوا الحج كل عام كثيرون وكثيرون، وأكثرهم لا يخرج في القرعة، لا تُتاح له الفرصة. ولذلك ليس حديثنا عن هذه الفريضة ولا عن المقصرين فيها، إنّما حديثنا عن أسرار هذا الحج، وعن الحكم التي توخّاها هذا الدين من وراء هذه الشعيرة العظيمة.

إنّ الحج تذكير للناس بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي بنى البيت الحرام الذي يحج إليه الناس. هذا البيت الذي فرض الله على كل مسلم أن يتوجه إليه في اليوم خمس مرّات إن اقتصر على الفرائض، يولي وجهه شطر المسجد الحرام: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ...} [البقرة: 150].

هذا البيت بناه إبراهيم وابنه إسماعيل: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]. أول بيت وضع في الأرض وأسس لعبادة الله وحده.

الكعبة: البيت الحرام، فرض علينا أن نتوجه إليه في صلواتنا، فهو قبلة المسلمين، وأن نطوف به في العمر مرة واحدة في هذه الفريضة العظيمة. نطوف بالبيت ونؤدي المناسك حول البيت وبالقرب من البيت.

الحج شحنة روحية هائلة:

هذا الحج جعله الله عسع شعيرة متميزة، فيه شحنة روحية وعاطفية ووجدانية للإنسان المسلم يذهب إلى تلك الأرض محرماً. ما معنى «محرماً»؟ أي ناوياً للحج إلى بيت الله، متجرداً - إن كان رجلاً - من ثيابه

العاديّة، الثياب التي فيها الصنعة وفيها التزويق، يلبس ثيابًا فطرية ... ثيابًا طبيعية، ليس فيها صنعة الخياط، ليس فيها تزويق الناس، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، بما يُكفّن به المؤمنون من الثياب البيض.

بعض الفلاسفة دعا الناس أن يتخلّوا أحيانًا عن الحياة المدنيّة المصطنعة الملقّقة، وأن يعودوا ما بين الحين والحين إلى الطبيعة، ليعيشوا بين أحضانها، ويتجرّدوا من القيود التي قيدوا بها أنفسهم.

هذه عودة إلى الطبيعة ... إلى الفطرة.

يحرم الحاج ويذهب إلى تلك الأرض المقدسة، تهبّ عليه الذكريات الإبراهيمية من بعيد، والذكريات المحمدية من قريب.

**إيحاء هذه الشعائر:** إن قوة الجماعة الإسلامية ووحدها، وتجردها من زخارف الدنيا، ونداءاتها لله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» لها أثرها في نفسية المسلم وفي تحريكه من داخله.

هذه المعاني تهزّ المسلم من أعماقه هزًّا، وتعيده كأنما هو مخلوق جديد، كأنما وُلد من جديد. فيعود أظهر قلبًا، وأصدق عزمًا على الطاعة، وأكثر ندمًا على المعصية، ولذلك سرعان ما نجد الإنسان بعد الحج قد تغير وأصبح إنسانًا آخر، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «من حجّ، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»<sup>(209)</sup>، لقد وُلد ميلادًا

(209) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي إلا إنه قال: «غفر له ما تقدم من ذنبه»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب

جديداً.

الحج توسيع لأفق المسلم:

الحج توسيع لأفق المسلم، المسلم الذي عاش في وطنه، أو في قرينته لا يخرج منها، ولا يعرف غيرها، ولا يسمع ببلاد سواها. الحج يرفع مستواه، يصله بالعالم الإسلامي، يلقي مسلمين من أنحاء الأرض، من أجناس شتى، وأوطان شتى، ولغات شتى، وطبقات شتى، فيتسع أفقه، ويعرف روعة هذا الإسلام وعالميته، وسعة أفقه، وأن له إخواناً مسلمين في أنحاء العالم.

فهذه بعض المنافع التي يشهدها {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 27 لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...} [الحج: 27، 28]، منافع بعضها مادية... تجارية، وقد كان بعض الصحابة يتخرجون من التجارة في الموسم، ويخافون أن يكون هذا خدشاً في نيتهم وإخلاصهم في هذه العبادة، فأنزل الله تعالى قوله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...} [البقرة: 198] لا حرج في أن تتجر في الموسم وتبتغي فضل الله ورزق الله، ما دام هدفك الأساسي هو أداء هذه الشعيرة.

الحج تدريب عملي على ممارسة مثل الإسلام:

والحج كذلك تدريب عملي على المبادئ العظيمة التي جاء بها الإسلام:

### 1- تدريب على ركوب المشقة:

الإنسان يذهب إلى الحج، فيترك وطنه، ويهجر أهله وأحبائه، ويهاجر إلى الله عز وجل، هجرة لا يبتغي بها إلا وجه الله تعالى. يعاني من السفر ووعناء

السفر، والسفر قطعة من العذاب أيًا كانت وسيلة السفر. سواءً سافر بالبرّ أم بالبحر أم بالجو، السفر قطعة من العذاب. الحج قديمًا كان بالدواب، ولكنه لم يكن يحتاج إلى تأشيرات، ولا إجراءات كسفر اليوم.

ولم يشأ الله أن يجعل هذا الحج إلى مدينة من المدن الجميلة: لبنان أو سويسرا، وإنما جعله إلى واد غير ذي زرع. وشاء الله أن يربطه بالأشهر القمرية {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ...} [البقرة: 197]: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهذه أشهر تتعاور على فصول السنة، فأحيانًا يأتي الحج في الصيف، وأحيانًا في الربيع، وأحيانًا في الخريف، وأحيانًا في الشتاء، مثل الصيام أيضًا، ليعتاد المسلم أداء شعائره في كلّ فصول العام.

شاء القدر أن يحمّل المسلم ركوب المشقّات، وأن ينزل في هذا الوادي الضيق، وادي «منى»، لينصب الخيام، ويعيش حياة أشبه بحياة الكشّافين والجوّالين، ينام على الحصى ... على الحصباء، ما استطاع أن يفعل ذلك. هذا هو الحج.

الحج رحلة مشقة يبذل فيها المسلم من نفسه ومن ماله. العبادات الإسلامية بعضها عبادات بدنية كالصلاة والصيام، وبعضها عبادات مالية كالزكاة، وبعضها يجمع بين البدن والمال مثل الحج، فهو عبادة بدنية مالية، يتحمّل الإنسان فيها المشقة: يبذل من بدنه، ويبذل من ماله.

وينبغي للمسلم أن يتحرّى المال الحلال. أن يحج من مال طيب، فالحج المبرور هو الذي يكون بالمال الطيب، وبالنية الخالصة، وألا يكون فيه رفث

ولا فسوق ولا جدال «... والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»<sup>(210)</sup>.

## 2- تدريب على المساواة:

في الحج يتدرب المسلم على تحمّل المكاره والمشقات، ويتدرب المسلم على معنى المساواة. الإسلام جاء وأعلن في الناس أنهم سواسية كأسنان المشط، وجاءت عبادات الإسلام تؤكد هذا مثل صلاة الجماعة، يقف كل إنسان بجوار من عن يمينه وعن شماله، الخفير بجوار الوزير، والصغير بجوار الكبير، والغني بجوار الفقير.

ولكن في الصلاة يظل الناس متميزين بملابسهم وشاراتهم، هذا يلبس جلبابًا، وهذا يلبس بدلة، وهذا يلبس جبة، وهذا يلبس ثوبًا غاليًا، وهذا يلبس ثوبًا رخيصًا، وهذا يضع عمامة على رأسه، وهذا يضع «غتره»، ولكن في الحج تجرد الناس من هذه الشارات المميزة كلّها، ولبسوا هذه الثياب التي هي أشبه بالأكفان.

بعض الناس يظن أن الممنوع هو «المخيط» فقط أي الذي دخلته الخياطة، لا، المقصود الصنعة، المقصود هو الثياب المفصلة على قدر الجسد، ولهذا لم استرح للثياب التي تصنع وفيها «الكباسيل»، ويلبس الإنسان شيئاً أشبه «بالتنورة»، لا، ليس هذا هو المقصود. المقصود أن يلبس الإنسان الثياب الطبيعية، وأن يتدرب على معنى المساواة، هذا هو ما يريده الإسلام.

(210) رواه مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأوله: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما...». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (342/1 برقم 582).

يقف الجميع في عرصة عرفات ... في ساحة عرفات، وقد تساووا أمام الله عز وجل، كلهم سواسية، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في أواسط أيام التشريق: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ...»<sup>(211)</sup>.

الحج تدريب على المساواة الحقيقية.

### 3- تدريب على الوحدة:

وهو تدريب على الوحدة أيضاً، هذه أمة واحدة، آمنت برب واحد، واتبعت رسولاً واحداً، وأدت شعائر واحدة، ولها هدف واحد، ولها منهج واحد. وفي الحج تتجلى هذه الوحدة: وحدة المشاعر، ووحدة الشعائر، ووحدة الهدف، ووحدة السلوك، ووحدة العمل، فالكل يؤدون أعمالاً واحدة، ووحدة القول والهتاف: «لبيك اللهم لبيك ...».

هذه الوحدة تجسد هذا المعنى الكبير: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ...} (212) [الأنبياء: 92]. ينبغي أن تقف الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضاً، وخصوصاً إذا حلت بساحتها الشدائد وأحاطت بها المحن والكربات، يجب أن تتجسد وحدتها حينئذ.

(211) قطعة من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم أواسط أيام التشريق، وقد رواها أحمد في «مسنده» من حديث أبي نضرة. انظر «الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأمان» (226/12 برقم 427). وأوردها الهيثمي في «مجمع الزوائد» (586/3 برقم 5622) ثم قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.  
(212) وتتمتها: {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون}.

الحج يجسد هذه الوحدة وهذا المعنى الكبير.

#### 4- تجسيد لمعنى السلام:

يجسد الحج كذلك معنى آخر، ويدرب المسلمين عليه، إنّه معنى «السلام». يتهمون المسلمين بأنهم دعاة حرب، والمسلمون دعاة سلام. ورحلة الحج تدريب على معنى السلام، هي رحلة سلام إلى أرض السلام في زمن السلام. أرض الحج أرض السلام: الأرض المقدسة ... الكعبة ... البيت الحرام، الذي من دخله كان آمناً، وقال فيه ابن الخطاب رضي الله عنه: «لو رأيت فيه قاتل أبي ما مسسته بأذى»، {وَأَدْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً...} [البقرة: 125]، أرض محرمة لا يُصَاد صيدها، ولا يُقَطع حشيشها، حتى صيد البر لا يمس ولا يذبح {وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا...} [المائدة: 96].

زمن الحج زمن السلام: لأن معظم أعمال الحج في ذي القعدة وذي الحجة، وهما شهران محرمان {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ...} [المائدة: 2]. جعل الله الأشهر الحرم هدنة إجبارية للمسلمين، يوقف فيها القتال وتُحَقن فيها الدماء، ويُصان فيها السلام. هكذا يعلم الله تعالى المسلمين في هذه الرحلة العظيمة: معنى السلام، وأعمال السلام.

#### 5- الحج مؤتمر عالمي:

والحج مؤتمر رباني للأمة الإسلامية، تجتمع فيه الأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها، مؤتمر لم يدع إليه ملك ولا أمير ولا رئيس، إنما دعا إليه رب العالمين عز وجل، دعا الناس إلى هذا المؤتمر، ليلتقوا على

كلمة سواء، على كلمة الإسلام، فينبغي للمسلمين أن يستفيدوا من هذا المؤتمر السنوي العظيم.

يلتقي كل عام نحو مليونين أو أكثر من المسلمين، فهل يستفيدون؟ هل يشهدون منافع لهم؟ هل يتدارسون مشكلاتهم؟ هل يتعاون أهل الرأي فيهم على ما يجب عمله؟ أم أن الناس يذهبون ويجيئون ولم يستفيدوا من هذا المؤتمر العظيم؟

إنّ أعداء الإسلام هم الذين يدركون خطر هذا المؤتمر، حتى إنّ أحدهم في مطالع هذا القرن - وهو من المبشرين العتاة - كتب تقريراً عن فشل التنصير في مصر وأسبابه قال فيه: سيظلّ الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن ... والأزهر ... واجتماع الجمعة الأسبوعي ... ومؤتمر الحج السنوي<sup>(213)</sup>!

هكذا قال هذا الرجل الذي يرصد الحياة الإسلامية: ما دام المصحف يقرأ ويرتل صباح مساء، وما دام حفاظه وقرأؤه بالملايين، وما دام الأزهر والعلماء موجودين يقولون كلمة الحق، ويعلمون الناس الدين، ويدعون إلى الله، وما دامت خطبة الجمعة الأسبوعية قائمة، يلتقي الناس عليها ويتعلمون دينهم، ويتذكرون ما نسوه، ويتنبهون لما غفلوا عنه، وما دام مؤتمر الحج

(213) ولذلك باءت محاولاتهم - والحمد لله - بالاخفاق والفشل، رغم المدارس التي أنشأوها، والمعاهد التي أسسوها، والأموال التي بذلوها، والكتب التي ورّعوها، والمجلات التي نشرها بين المسلمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].



السنوي يجمع المسلمين من أقاصي الأرض، يجمع شتاتهم، ويحيي مواتهم، ويذكّرهم بربهم ودينهم، ما دامت هذه الأربعة قائمة فلن يستطيع التبشير أن ينجح في مهمّته.

هذا ما ينبغي أن نستفيد منه نحن المسلمين من هذا المؤتمر العظيم، الذي يعقد سنويًا، وما يستطيع أحد أن يمنعه، ولا يستطيع أحد أن يتدخل في عقد هذا المؤتمر الرباني الإنساني العالمي العظيم.

يا أيها الإخوة:

إن النبي صلى الله عليه وسلم عرف قيمة هذا المؤتمر، وكان يعلن فيه القرارات العظيمة المهمة. في أول سنة حجّ فيها أبو بكر رضي الله عنه بالمسلمين، أعلن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الحج مبادئ مهمة: أعلن إنهاء العهود بينه وبين المشركين، وأعلن أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وفي السنة التالية حجّ النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه حجّته الوحيدة، حجّة الوداع وحجة البلاغ، فأعلن على الناس مبادئ الإسلام العالميّة الإنسانيّة، وقال: «... إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...»<sup>(214)</sup>، وأعلن بيانه العظيم على الناس قائلاً: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

(214) قطعة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في وصف حجّة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي رواه مسلم في «صحيحه»، انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (182/8) ط. دار الفكر.

نحن علينا أن نستفيد من هذا الحج، علينا أن نستفيد من حجنا نحن المسلمين، ونعلن على الدنيا كلها أن هذه الأمة لا زالت أمة متمسكة بالإيمان بربها ... بدينها ... بقرانها ... بمحمدّها ... برسولها، ولن تتخلى عن هذا الدين، وأنها تقف صفاً واحداً أمام كلّ عدوان على مقدّساتها، وأنها لن تفرّط في مسجدها الأقصى الذي ربطه القرآن بالمسجد الحرام في سورة معروفة، جعل هذا مبتدأ الإسلام وجعل الآخر منتقى الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ} [الإسراء: 1].

لن تفرّط الأمة في المسجد الأقصى، كما لم تفرّط في المسجد الحرام. علينا أن نعلن هذا في هذا الموسم وفي كل موسم، حتى يكون حجنا مبروراً، وذنوبنا مغفوراً، وسعيينا مشكوراً، وعملنا مبروراً، إن شاء الله.  
اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقى.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر: 10].

ادعوا الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد أيها الإخوة المسلمون:

لا زال العدوان الإسرائيلي الغاشم قائماً متبجحاً، لا يستحي من أحد، يتحدى العرب كلّ العرب، ويتحدى المسلمين كل المسلمين، ويتحدى العالم كلّ العالم، لأنه يعتزّ بترسانته النووية التي يملكها، ولا يملك أحد في المنطقة

شيئاً من ذلك، ويعتز بأوليائه وحلفائه من الأمريكان، والذي يؤيدونه في كل ما فعل، ويصدقونه في كل ما قال، ويسندونه في كلّ عدوان يقوم به.

لا زال هذا العواد الإسرائيلي على لبنان الشقيق قائماً، شامخاً برأسه، ثانياً لعطفه، مغترباً بنفسه.

لا زال هذا العدوان يأكل من كرومنا عناقيد العنب، ويطعمنا نحن من ترسانته «عناقيد الغضب»<sup>(215)</sup> الغضب علينا، الغضب على لبنان، الغضب على حزب الله الذي يدافع عن وطنه.

هل كان الدفاع عن الوطن خطأً أو خطيئةً. هل كان الدفاع عن الأوطان المحتلة جريمة؟ في أي عُرف؟ في أي فلسفة؟ في أي دين؟ في أيّ مذهب؟ في أيّ قانون؟ دلونا على ذلك.

أليس من حق الوطن المحتل أن يجند أبناءه للدفاع عنه أمام العدو المغتصب؟

لم يُجرم حزب الله حينما أطلق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل، إن له الحق كلّ الحق في أن يدافع عن نفسه، وإسرائيل هي المتحرشة دائماً، وهي البادئة دائماً.

وأحبّ أن أقول لكم أيّها الإخوة: المسألة ليست حزب الله، وليست صواريخ الكاتيوشا، هذه كلّها تعلات أشبه بما يقال: أنت الذي عكّرت عليّ الماء. إنه تحكم الذئب في الحمل، إن إسرائيل تريد أن تعلمنا إذا كنّا جهلنا،

(215) العملية التي قامت بها إسرائيل ضد لبنان في قانا، وراح ضحيتها أعداد كبيرة، سمتها إسرائيل «عناقيد الغضب» وكان ذلك في 18/4/1996م «القرضاوي».

وتنبهنا إذا كنا غفلنا، وأن تذكرنا إذا كنا نسينا: أنها سيده المنطقه، وأنها هي المتحكمة في الرقاب، تأمر وتنهي، وتحلّ وتحرم، وتفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، لا تُسأل عما تفعل.

هذا ما تريده إسرائيل.

ليست المسألة «حزب الله». المسألة: تركيع لبنان ... إذلال لبنان، وإذلال سوريا، وإذلال العرب، حتى يرضخوا لمشيئة إسرائيل، حتى يسير الجميع في ركاب إسرائيل، حتى يقول الجميع: سمعنا وأطعنا، حتى ينحني الجميع راكعين، ويطأطأوا أذلاء ساجدين.

وإسرائيل تفعل ذلك شامخة، لأنها ترى العجز العربي ... والذلّ العربي ... والهوان العربي ... والتمزق العربي، بحيث لا نرى - كما قلت لكم في الجمعة الماضية - صراخاً ... لا نرى احتجاجاً صارخاً، إنما نرى احتجاجات هامسة، والهمس ينيم اليقظان والصراخ يوقظ التّعسان.

هذا للأسف ما نراه.

إسرائيل متمادية في غيها ... في عدوانها، وهذا يثبت لنا ويؤكد لنا ما قلته من قبل وكررتة، ولا زلت أقوله وأكرره وأؤكدّه: أنّ الإرهابي الأكبر في هذه المنطقة ليس هو جماعة حماس وليس هو الجهاد الإسلامي، وليس هو حزب الله، فهؤلاء كلّهم أبطال يدافعون عن مقدساتهم وعن أوطانهم، الإرهابي الأكبر هو «إسرائيل».

إسرائيل قامت منذ قامت وقبل أن تقوم - حينما كانت عصابات - على الإرهاب.

من ممّا ينسى عصابات «الهاجاناة» وعصابات «الأرجون»؟ العصابات التي سفكت الدماء، ونهبت الأموال، وخرّبت الديار، وبقرت بطون النساء، وفعلت الأفاعيل، حتى فرّ الناس من بيوتهم مذعورين.

كانت هذه إسرائيل قبل أن تقوم لها دويلتها، وبعد أن قامت دويلتها أصبحت أكثر إرهابًا.

إنها «الإرهابي الأكبر» في المنطقة.

إنّ المسألة ليست «حزب الله»، إنها رسالة موجّهة إلى العرب ... كلّ العرب: أنّ إسرائيل - بطائراتها وقوّاتها المسلّحة - قادرة على الوصول إلى أيّ عاصمة عربية، لا يمنعها من ذلك مانع، ولا يصدها صاد، ولا يردّها راد، ولو أرادت إسرائيل ذلك لفعلت. من يمنعها؟ أين القوّة التي تردعها؟ لا نجد قوّة في بلاد العرب ولا في بلاد المسلمين تملك أن تردع إسرائيل، وأن ترد لها الصاع صاعًا واحدًا، أو نصف صاع، أو ربع صاع!! ولا نقول «الصاع صاعين» كما يقولون.

هذا ما نراه - أيها الإخوة - في موقفنا.

والآن يتنادون بوقف إطلاق النار؟ لماذا تسمّونه «وقف إطلاق النار»؟! وهل هناك نار متبادلة من الجانبين حتى يوقف إطلاق النار؟ لماذا لا تسمونه: إيقاف العدوان؟

وهب أنّ العدوان قد وقف، فما هي نتيجة آثار العدوان؟ البلاد التي هُجرت ونزح أهلوها، حوالي نصف مليون من الشيوخ والأطفال والنساء نزحوا هائمين على وجوههم، تاركين بيوتهم ومساكنهم، {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} [النساء: 98] ماذا تكون نتيجة وقف إطلاق النار؟ ماذا تفعلون بهؤلاء؟ ماذا تفعلون بالقرى التي هُدمت، ومحطات المياه والكهرباء التي حُطمت ومئات الملايين التي خسرتها لبنان، وهي تحاول أن تعمر أرضها التي خرّبتها الحروب الأهلية؟

لبنان مهدد باستمرار، كلما حاول أن يبني هدموا ما بناه، وذلك أنّ لبنان له طبيعة خاصة، إنّه بلد يمكن أن ينافس إسرائيل - في المستقبل - في سوق الاقتصاد، التي تريد إسرائيل أن تسيطر عليها وحدها. لبنان قد يكون له شيء في سوق المنافسة، فتريد إسرائيل أن تضرب لبنان حتى لا تقوم له قائمة، ولا يطمع أن يكون له نقير أو قطمير في تلك السوق.

إسرائيل تريد أن تتفرد بالمنطقة، تريد المنطقة ملكًا خالصًا لها، تصول فيها وتجول، وتعربد كما تشاء.

هذه هي إسرائيل.

إسرائيل كيان دخيل على المنطقة، قائم على الاغتصاب والعدوان، لا فرق في ذلك بين حزب «العمل» وحزب «الليكود»، لا فرق بين هذا وذاك.

سئل أعرابي كان عنده حماران سيئان - اسمهما: حمارا العبادي - : أيّ حماريك شرّ؟ فقال: هذا وهذا! أي كلاهما شر.

كلامها شرّ: العمل، والليكود. كما يقول الشاعر:

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع  
 {كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...} [الأعراف: 38]، لا فرق بين هذا وذاك  
 إطلاقًا. «بريز» سفاح أثيم، لا يقلّ عن «رابين» ولا عن «شامير» ولا عن

«بيجن»، كلهم سقّاحون.

ينبغي أن يعلم هذا الذين وضعوا أيديهم في أيدي «بريز» السقّاح القاتل، الذي لوّثت يده دماء اللبنانيين ... دماء الأطفال والنساء في قرية «قانا»، الذين قُتلوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، حتى الذين استظلّوا بعلم الأمم المتحدة ضُربوا، حتى الذين كانوا يركبون سيّارة الإسعاف ضُربوا ودُبحوا.

هذا سفاح ينبغي لمن وضع يده في يده، أن يستغفر الله عز وجل، ويتوب إليه، ويغسل يده سبع مرات إحداهن بالتراب.<sup>(216)</sup>

نحن أمام سقّاحين معتدين مارسوا الإثم، واستمرّوا عليه، واستمرّ أوه. وأحب أن أقول لهم: إنّ هذه الأمة لن تظل كذلك، وكما يقول الشاعر:

وإذا الذناب استتجت لك مرّة فحذار منها أن تعود ذناباً!  
 لن تظل الأمة تستنعج وتستضعف، سيظهر منها الأبطال الذين يأخذون بثأرهم من المعتدين عليها، وإن ذلك لقریب إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز، وعندنا بشائر القرآن والسنة والتاريخ والواقع {وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: 32]<sup>(217)</sup>.

يا أيها الإخوة:

(216) قياساً على مسألة تطهير الإناء إذا ولغ فيه الكلب، فقد روى مسلم في «صحيحه» وأبو داود في «سننه» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب»، وفي رواية: «إحداهن» عند البزار، وعلى صحتها فهي مطلقة يجب حملها على المقيدة. انظر «فيض القدير» للمناوي (272/4 برقم 5280)، و «سبل السلام» للصنعائي (37/1).  
 (217) وأولها: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}.

نحن مقبلون على العيد، وعلينا أن نستقبل هذا العيد بما ينبغي له، من توجه إلى الله عسع أن يمنّ على المسلمين بعيد يفرحون فيه الفرحة الحقيقية، يفرحون بنص الله: {وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ 4 بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم: 4، 5].

علينا أن نؤدي الشعائر التي طلبها الإسلام منّا، الإسلام شرع في عيد الفطر «صدقة الفطر» طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، وشرع في عيد الأضحى «الأضحى»، تذكيراً لسنة إبراهيم، وتوسعة على النفس وعلى الفقراء والمساكين. فالإسلام لا يريد أن تكون فرحة العيد مقصورة على الواجدين والموسرين على حين يحرم منها المعدمون والمعسرون، لذلك شرع «صدقة الفطر» في عيد الفطر، وشرع «الأضحى» في عيد الأضحى.

ويجوز للمسلم أن يضحي في بلد آخر. إذا كان هنا مسلم من باكستان أو بنجلادش أو من اليمن أو من مصر، وله أهل وأقارب هناك في بلده، يستطيع أن يوكلهم في أن يضحوّا عنه في بلد هو أشدّ حاجة من هذا البلد الذي وسّع عليه الله تعالى.

وكذلك يستطيع المسلم أن يشتري أضحية من بلد إسلامي يوكل من يضحي عنه هناك - في نيجيريا ... في السنغال ... في بنجلادش ... في الفلبين ... في البوسنة والهرسك ... في فلسطين، في الشيشان ... في أيّ بلد من هذه البلدان - فالمسلمون أمّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدّ على من سواهم، وهم جميعاً إخوة، وأوطان الإسلام يسميها الفقهاء «دار الإسلام»، فهي دار واحدة.



ولذلك أنا أستطيع أن أوكل أخي المسلم في بلد آخر أهله أشدّ حاجة، وأنا أضحيّ هنا إن كان عندي سعة أو أكتفي بشراء اللحم أو بأخذ اللحم من جاري وقريبي ولا حرج في ذلك أبدًا.

الإسلام أجاز نقل الزكاة، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم»<sup>(218)</sup> ولكن الفقهاء أجازوا نقل الزكاة لاعتبارات، كأن ينقلها الإنسان إلى قرابة له، أو إلى بلد أشدّ حاجة، أو إلى بلد فيه مجاعة أو فيه كارثة، لأن المسلمين متضامنون فيما بينهم، وهذا ما نقوله بالنسبة للأضحية.

أريد أن أنبه الإخوة إلى أننا سنصلي العيد بمشيئة الله تعالى في «أستاد نادي قطر الرياضي» نسأل الله أن يعيد علينا أمثال هذا العيد، وعلى أمتنا الكبرى، بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ويرضى.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى ونفوسها على المحبة، وعزائمها على الجهاد في سبيلك، ونيّاتها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

(218) متفق عليه من حديث ابن عباس.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم انصر اخوتنا في فلسطين ولبنان، وانصر اخوتنا في البوسنة والشيشان، وانصر اخوتنا في كشمير والسودان وانصر اخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، وخذ بأيدي اخوتنا المضطهدين والممتحنين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كرسهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم لا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: 10].

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذريّاتنا، ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم آمين.

{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*



أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن في يوم العيد ... عيد الأضحى، في يوم الحج الأكبر كما سمّاه الله تعالى وسمّاه رسوله صلى الله عليه وسلم. في هذا اليوم تُقضى معظم مناسك الحج: يذهب الحجاج إلى منى ليرموا جمرة العقبة - بعد أن وقفوا بالأمس في صعيد عرفات، وبعد أن أفاضوا إلى المزدلفة، وبعدها يذهبون إلى منى ليرجموا الشيطان اللعين - ثمّ يحلقون أو يقصّرون ويذبحون أو ينحرون، ويذهبون إلى الكعبة طائفين طواف الإفاضة {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: 29].

هذا يوم الحج الأكبر. في هذا اليوم يجتمع المسلمون من أنحاء العالم ممثلين من كل بلد، مليونان جاؤوا من شتّى البلدان، وشتّى الألوان، ومختلف الأجناس، ومختلف اللغات، ومختلف الطبقات. ولكن ذابت بينهم الفوارق، فلا يعرف أسوي من إفريقي، ولا عربي من عجمي، ولا غني من فقير، ولا أمير من خفير، لا أبيض ولا أسود، ولا سيّد ولا مسود، ولا حاكم، ولا محكوم، الكلّ سواسية في هذا الموقف أمام الله تعالى.

جاء الإسلام ليوحد الأمة بعباداته: الجماعة في الصلوات الخمس توحيد أهل الحي، الجمعة توحيد أكبر، العيد توحيد أكبر لأهل البلدة، الحج توحيد المسلمين جميعاً، يجمع هؤلاء المليونين أو الأكثر من مليونين، وقد جاؤوا الله محرمين، ملبين، ساعين، طائفين، قلوبهم خاشعة، عيونهم دامعة، أعناقهم لله خاضعة، أكفهم بالدعاء ضارعة.

من غير الإسلام يقدر أن يجمع هذه الملايين في صعيد واحد؟! الحج يبرز

قوة الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته: «رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة»<sup>(219)</sup>.

في هذا الحج تتجلى قوة الأمة الإسلامية.

نحن الأمة الإسلامية نملك ما لا يملك غيرنا، ولكننا للأسف لا نوظف ما نملكه، لا نحسن توظيف قدراتنا.

نحن الأمة الإسلامية نملك أكثر من ألف مليون من البشر «مليار وربع المليار أو ثلث المليار في أنحار العالم». نملك القوة العددية وهي نعمة من الله امتن بها على عباده حينما قال: {وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ} [الأعراف: 86].  
معنا قوة العدد.

معنا قوة المادة ... القوة المادية والاقتصادية. الأمة الإسلامية تملك من الثروات المذخورة والمطمورة والمنشورة ما لا يملك الآخرون. عندنا من الثروة الزراعية والثروة المعدنية والثروة المائية، ما لا يملك غيرنا. نملك أواسط القارات، ومنابت الرسالات، ومهابط الحضارات، الأمة الإسلامية تملك ما لا يملك غيرها.

ثم تملك هذه الأمة أعظم رسالة، تملك الرسالة الخالدة رسالة الإسلام ... رسالة الوسطية ... رسالة التوازن، الرسالة التي ربطت السماء بالأرض، ومزجت بين الروح والمادة، وجمعت بين الدنيا والآخرة، ووازنت بين العقل

(219) أورده ابن إسحاق في «سيرته» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في وصف عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة. انظر «تهذيب سيرة ابن هاشم» (ص 237) ط. دار البحوث العلمية بالكويت، تحقيق عبد السلام هارون.

والقلب، ووقفت بين حرية الفرد ومصالحة المجتمع.

نحن المسلمين وحدنا الذين نملك هذه الرسالة.

ونملك المصادر المعصومة التي لا تتغير ولا تتبدل. نملك الوثيقة الإلهية التي لا يملكها دين من الأديان ولا أمة من الأمم. نملك الوثيقة السماوية: القرآن الكريم، الذي أنزله الله، فبقى إلى يومنا هذا كما أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نقرأه مكتوبًا كما كتب في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

من غير الأمة الإسلامية يملك هذه الوثيقة الإلهية؟! نحن نملك: القوة البشرية، والقوة المادية، والقوة الروحية، ولكننا لا نوظف هذه القوى، كأنما تبرأنا منها. اليهود يقاوموننا باسم التوراة ونحن لا نقاومهم باسم القرآن، هم يتجمعون على التوراة ونحن لا نتجمع على القرآن، هم يتجمعون تحت راية اليهودية ونحن لا نتجمع تحت راية الإسلام، هم يحترمون يوم السبت ونحن لا نحترم يوم الجمعة، هم يقولون «الهيكل» ونحن لا نقول «المسجد الأقصى».

أخرجنا الدين من المعركة، أخرجنا الإيمان من المعركة، والمعركة في أساسها معركة دينية. اليهود خلطوا القومية بالدين، ونحن عزلنا القومية عن الدين.

اليهود جاؤوا من أنحاء الأرض، من بلاد شتى، إلى فلسطين - التي يسمونها: أرض الميعاد - باسم الدين ... باسم التوراة باسم التلمود.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينية، وكل من يريد إخراج الدين من

المعركة يخون الأمة، ويحرم الأمة أمضى أسلحتها، لا يمكن أن ننتصر على اليهود إلا بالإسلام، وبالإسلام وحده، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب. هم يريدون حرب الإسلام وإخراجه من المعركة تحت أسماء وعناوين شتى: الإرهاب حيناً، والعنف والتطرف حيناً، والأصولية حيناً، والمقصود هو «الإسلام»، هو تنحية الإسلام من المعركة، وإخراج الإسلام من القضية، لتبقى قضية قومية علمانية في نظرنا، وفي نظرهم هم تبقى قضية دينية توراتية تلمودية.

هذا ما ينبغي أن نعلمه أيها الإخوة.

إنّ ما جرى في المدّة الأخيرة من ضرب للبنان وتهجير لأبنائه بعد معركة «قانا» الشهيرة. نصف مليون هجّروا، وقتل من قتل من الأطفال ومن النساء ومن الشيوخ الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، أرادت إسرائيل أن تؤدبنا ... أن تلوّح لنا بالعصا الغليظة وتقول: إذا لم تسمعوا لقولي، ولم تطيعوا أمري، فهذا مصيركم.

ضربت إسرائيل وقتلت ودبّحت، ثم أوقفت إطلاق النار، كلّ ما فعلناه وما لهث اللاهثون من أجله: أن يوقف إطلاق النار!!

أهذا كل ما نريد؟!!

وعدوان المعتدى، واغتصاب المغتصب، وظلم الظالم، وقتل القاتل، يذهب بلا قصاص؟!!

جوّعوا الشعب الفلسطيني، وحاصروا الشعب الفلسطيني، وماذا صنعنا؟

جاء من يمثلون الشعب الفلسطيني، وغيرّوا الميثاق الوطني! وفي هذه

المرحلة بالذات التي ما كان ينبغي أن يفعل فيها هذا، لكنهم فعلوا هذا، وغيروا ما كان فيه تهديد لإسرائيل وترويع لإسرائيل.

هكذا طلبت إسرائيل وهكذا يجب أن تُجاب، لا ينبغي أن يرفض لها طلب، لا يصح أن نقول لها: لا، أو نقول لا: لم!!  
هذا ما جرى على أمتنا.

إنما يجي الحج ليعطي هذه الأمة «قوة».

الحج يذكرنا بأبي الأنبياء وأبينا «إبراهيم» عليه السلام الذي وضع الكعبة، ورفع قواعدها، هو وابنه «إسماعيل»: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127].

يربط الله هذه الأمة - وهي آخر الأمم - بأول بيت وضع في الأرض ... وبإبراهيم بالذات؟ لأنه الذي أمره الله أن يقيم الملة الحنيفية {قُلْ بَلَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة: 135]، {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67].

«إبراهيم» أقام الدين لله، حطّم الأصنام، وأبى إلا أن تكون عبادته لله، ودعاؤه لله، وتوجهه لله وحده لا شريك له.

«إبراهيم» هو داعي التوحيد، هو رمز هذا التوحيد الذي هو روح الإسلام، وجوهر هذا الدين، وروح هذه الأمة وحياتها كلّها.

«إبراهيم» ينبغي أن ترتبط به.

«إبراهيم» الذي ضحّى بوطنه وهاجر لله، وضحّى بنفسه فألقى في النار



من أجل توحيد الله، ولم يبال بما أصابه في سبيل الله، هددوه: {قَالُوا حَرِّقُوهُ  
وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ} [الأنبياء: 68] فما بالى إبراهيم بالتحريق ولا  
التهديد، ولكن الله حوّل النار إلى روح ورياحين وقال لها: { ... يَنَارُ كُونِي بَرْدًا  
وَسَلْمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } [الأنبياء: 69].

«إبراهيم» هو الذي ضحّى بولده، وقلده كبده، وقرّة عينه، ومُهجة قلبه.  
هو الذي ضحّى بابنه الوحيد «إسماعيل»، الذي وهبه الله له على الكبر،  
فتعلق به فؤاده، وكلما نما الولد نما حبه في قلبه وازداد تعلّقه به. وهنا غار الله  
على قلب خليله، وأراد أن يمتحنه بذبح هذا الولد، وكان ذلك في رؤيا منامية،  
لم يكن وحياً صريحاً ينزل به جبريل عليه، إنّما رآه في المنام: { ... يُبْنِيَّ إِنِّي  
أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ } [الصافات: 102]، متى كان ذلك؟  
حينما بلغ معه السعي، حينما شبّ عن الطوق، وأصبح يُرجى منه النفع لأبيه،  
في هذه الحالة جاء الامتحان {قَالَ يُبْنِيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا  
تَرَىٰ} [الصافات: 102]، هنا لم يكن في روعة موقف الوالد إلا موقف الولد،  
والوالد سرّ أبيه «ومن يشابهه أبه فما ظالم». هنا قال إسماعيل لأبيه: { ... أَفَعَلَّ  
مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات: 102]، نفذ الأوامر الإلهية  
التي عندك، حتى إنّ لم يقل له: أفعل بي ما تؤمر، كأنما فنى عن نفسه، وفرغ  
من ذاته، بل قال له: نفذ ما تؤمر {قَالَ يَا بَنِيَّ أَفَعَلَّ مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
مِنَ الصَّابِرِينَ} لم يدّع الشجاعة ولم يزعم البطولة، وإنّما وكلّ الأمر إلى الله  
وقال: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

وفعلًا صبر الوالد وصبر الولد، وسلّمًا: سلّم الوالد ولده وسلّم الولد عنقه  
للذبح، وأمسك الوالد بالسكين ليذبح هنا جاء الفرج، لقد نجح إبراهيم في

الامتحان، ليس القصد أن يُذبح الولد، إنّما القصد أن يمتثل الأمر، إنّما القصد أن يعرف أنّه مهما طلب منه فإنه منفذ، ولذلك جاء الفرج من السماء: {أَنْ يَأْتِرَهُمْ 104 قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَاءَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ 106 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصفات: 104 - 107].

لذلك شرعت الأضحية في هذا العيد ... عيد الأضحى، وقد روي: «ضَحُوا فإنها سنة أبيكم إبراهيم»<sup>(220)</sup>.

كلما ضحينا تذكرنا هذا الحدث العظيم ... هذا الموقف الجليل، من الخليل وابنه إسماعيل، تذكرنا كيف يرقى الإنسان إلى أن يضحى بأعز شيء عليه، وأحب شيء إليه، وأثر شيء لديه، ما دام ذلك في سبيل الله. ضحى إبراهيم بولده، وضحى ولده بنفسه، كل ذلك لله.

ما أجدنا - أيها الإخوة المسلمون - ونحن في هذا العيد أن نتعلم من إبراهيم وإسماعيل درس التضحية ... درس البذل لله ... درس الصبر لله ... درس الطاعة لله {قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصفات: 102].

إنّ الذي أذلّ هذه الأمة، ونكّس رأسها، وأرغم أنفها، وجعلها هيّنة عند أعدائها هو: عدم البذل، عدم التضحية.

إن هذه الأمة أصابها الوهن كما حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم: «...»

(220) رواه ابن ماجه من حديث زيد بن أرقم (3127) بلفظ «... ما هذه الأضاحي قال:

سنة أبيكم إبراهيم».

في «الزوائد»: في إسناده أبو داود واسمه نفيح بن الحارث وهو متروك واتهم بوضع الحديث.

ولينز عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حبّ الدنيا وكرهية الموت»<sup>(221)</sup>. هذا هو الوهن، هذا سرّ الوهن وسرّ الضعف: - حب الدنيا «تعلق الناس بالدنيا ... بالمصالح الشخصية والمادية» وكرهية الموت «تشبث الناس بالحياة ولو كانت ذليلة، وهو سبب الجبن».

إنما فتح الصحابة الفتوح، ودانت لهم البلدان، ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا، لأنهم هانت عليهم الدنيا، ولأنهم ما كانوا يباليون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، كما قال أبو بكر الخالد: يا خالد احرص على الموت توهب لك الحياة.

حرصوا على الموت فوهبوا الحياة.

كان خالد بن الوليد في حروبه مع فارس والروم، يدعوهم إلى أن يُسلموا فيسلموا، ويكتب الرسائل إلى قادتهم ويختمها بقوله: «وإلا - أي إذا رفضتم - غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

فإذا أصبحنا نحن نحب الحياة ونحرص على الحياة كما وصف الله اليهود من قبل: {وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} [البقرة: 69] أي حياة عزيزة أو ذليلة، كريمة أو مهينة. كان اليهود أحرص الناس على حياة، أصبحنا نحن

(221) أخرجه أبو داود في الملاحم من حديث ثوبان رضي الله عنه، وفيه راو مجهول وباقي رجاله ثقات، لكن رواه أحمد في «المسند» بنحوه من طريق آخر وسنده قوي، فصح به. انظر «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيد الأرنؤوط (16015 برقم 4224) وأوله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: «لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ...».

وقد ورثنا أخلاق اليهود قديماً.

فمما يؤسف له أن ما وصف الله به اليهود قديماً أصبح الكثيرون منّا يوصفون به. وُصف اليهود بالحرص على حياة أي حياة، وُصفوا بأنهم بخلاء بالمال، وُصفوا بالجبن {لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...} [الحشر: 14] نحن للأسف أصبحنا بما أُصيب به اليهود.

ما الذي جرى للأمة؟ هل تغيرت طبيعة الأمة؟

وصف الله اليهود بأنهم {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر: 14]، ونحن نرى أمتنا اليوم بأسها بينها شديد، يجفو بعضها بعضاً، ويعادي بعضها بعضاً، بل يقاتل بعضها بعضاً، كما رأينا في حرب العراق وإيران، ثم حرب العراق والكويت، أو العراق والخليج، وهو ما مزق الأمة إلى اليوم فلم يلتئم لها شمل. ولم تعقد لها قمة شاملة. وقد دعا بعض رجالات العرب - بعد العدوان على لبنان - إلى عقد قمة عربية من أجل لبنان، ولو قمة مصغرة، فما استجاب لذلك أحد، لأن الأمة أصبحت يضرب بعضها وجوه بعض، لا يجتمع شملها، ولذلك طمع فيها أعداؤها.

لا بدّ - أيها الإخوة - أن نحاول أن نجتمع شمل هذه الأمة ... أن نلّم شتاتها، ولا يجمعها شيء إلا الإسلام. الإسلام هو الذي يوحد الصفوف، هو الذي يجمع الشتيت، هو الذي يوحد المتفرق. أمّا إذا سرنا وراء غير الإسلام، فإننا سنتفرق شذر مذر، سنتفرق إلى يمين ويسار، واليمين درجات واليسار درجات. هناك يمين اليمين ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار ووسط اليسار ويمين اليسار، وهناك من قبلته كذا ومن ولاؤه لكذا، سنتفرق

الأمة، ولا يجمعها شيء إلا الإسلام ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

الأمة بخير، لقد ذهبت إلى أماكن شتى وأقطار شتى، ووجدت الأمة بخير. الأمة فيها الخير، كامن في أعماقها، نرى ذلك في هذه التجمعات على الإسلام، نرى ذلك في المليونين «بل أكثر من المليونين» من الحجاج، نرى ذلك في مواسم الحج والعمرة التي تمتلئ بالملايين، نرى ذلك في المساجد التي تمتلئ بالمصلين، نرى ذلك في هذه الصحوة الإسلامية التي حركت العقول والقلوب والعزائم. ولكن الأمة تحتاج إلى قيادة، تحتاج إلى من يقودها باسم الله فيفجر طاقاتها المكنونة، وهي طاقات هائلة لا يفجرها إلا الإيمان.

هذه الأمة لا تُقاد بالقوميّة، ولا بالاشتراكية، ولا بالديمقراطية، ولا بالثوريّة، ولا بأي شيء من هذا. إنّما تقاد حينما ترفع المصحف أمامها، وتعلن عليها: «لا إله إلا الله والله أكبر». حينما تقول: يا رياح الجنة هبّي، ويا كتائب الله سيرّي، تسير الأمة ورائك.

الأمة لا يمكن أن يجمعها شيء أو يحركها شيء إلا الإسلام، ولكن أعداء الأمة يعرفون ذلك، ولذلك يسعون إلى تفريقها «فرق تسد» لا بدّ من تفريق هذه الأمة بأيّ وسيلة، لا بدّ أن لا يكون لهذه الأمة شمل ملتئم!

في بعض البلاد يثيرون مسألة الأقليات غير المسلمة: الأقباط في مصر، النصارى في لبنان، وهكذا.

إذا لم توجد أقلية غير مسلمة، يثيرون المذهبية الإسلامية والطائفية الإسلامية: سنة وشيعة.

إذا لم يوجد سنّة وشيعة، يثيرون مسألة العرقية: عرب وبربر أو عرب وأكراد.

إذا لم يوجد حتى هذه العرقية يقولون: سلفي وصوفي، مذهبي ولا مذهبي، وهكذا، لا بدّ أن يحاولوا أن يوجدوا شيئاً يفرّق الأمة، ونحن نريد أن نجمع الأمة بكل طوائفها وبكلّ فصائلها.

ينبغي لأبناء الصحوة الإسلامية أن يدركوا هذه الحقيقة: أنّ أعداءنا يريدون أن يفرّقونا، وأن يمزّقونا شرّ ممزق، وألا يرتفع لنا علم، وألا نجتمع تحت راية. ولا بدّ أن ندرك كيدهم، وأن نرد كيدهم في نحورهم، وأن نعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم.

ينبغي أن نكون أكثر وعياً لما يكيدونه لنا أعداء الإسلام.

إنّ الإسلام - أيها الإخوة - في هذه الأونة مُحاصر من كل مكان، يُضرب الإسلام وللأسف بأيدي أبنائه ... بأيدي ولاته وحكّامه. خوفوا الحكام من الشعوب ... من الصحوة الإسلامية ... من الدعوة الإسلامية، فأصبح هناك هوة واسعة وفجوة عميقة بين الحكّام والمحكومين، ولا بدّ لنا أن نوعي الناس أنّ الجميع في خطر إذا لم يتحدوا على الإسلام، إذا لم يستقيموا على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لا مخلص لنا - أيها الإخوة - إلا بالإسلام، نقول ما قاله ابن الخطاب: نحن كُنّا أدلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، ومهما نطلب العزّ بغيره أدلّنا الله.

لا بدّ لنا أن نستمسك بهذا الدين، ونضحي في سبيله، ونبذل من أجله النفس والنفس، والغالي والرخيص، نقدّم أنفسنا ونقدّم أولادنا، كما قدمت الخنساء

أولادها الأربعة في معركة القادسية، وأوصتهم أن يُقدموا ولا يحجموا، وأن يثبتوا ولا يترددوا، حتى قتلوا كلهم في المعركة، ولما بلغها نعيمهم لم تلطم خدًا، ولم تشق جيبًا، ولكن قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وجعلهم شفعاء لي يوم القيامة!!

يا أيها الإخوة:

ما أوجنا إلى عيد تعلق فيه كلمة الإسلام، وترتفع فيه راية القرآن ما أوجنا إلى عيد بلا مشكلات ولا أحزان ولا دموع.  
نحاول أن نجد عيدًا من هذا النوع بحيث نبتسم ونضحك من قلوبنا ونفرح الفرحة الحقيقية، فلا نكاد نجد هذا العيد.

أبو الطيب المتنبي قال يومًا في عيد من الأعياد:

عيد بأية حال عُدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد  
أمّا الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدًا دونها بيد

استوحش الشاعر من العيد لفراق أحبته، لأنّ أحبته كانوا بعيدين عنه. ماذا يقول المتنبي لو رأى أعيادنا هذه، وأمّتنا تقاسي ما تقاسي، في فلسطين ولبنان، في البوسنة والشيشان، في كشمير والفلبين، في كثير من بلاد الإسلام. بعض ما تعانيه من صنع أعدائها، وبعض ما تعانيه من صنع أيديها، كما يحدث في أفغانستان، وكما يحدث في الصومال، وكما يحدث في كثير من بلاد الإسلام.

ما أوجنا إلى عيد نبتسم فيه، ونشعر بالفرحة الكبرى، ونقول: هذا هو العيد الأكبر {وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ 4 بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمِ 5 وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْفِ اللَّهُ وَعَدَّةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 4 - 6].  
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم،  
وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ  
الْمَصِيرُ} [غافر: 3]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، يسبح له ما في  
السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير،  
وأشهد أن سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، البشير  
الذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن  
دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها المسلمون:

في هذا اليوم الكريم لا يسعنا إلا أن نمدّ أيدينا إلى الله تعالى، نسأله أن  
ينصر أمتنا على أعدائها، وأن ينصر ديننا على أديان الشرك والكفر.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا،  
واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، وانصرنا على الصربيين الحاقدين  
وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الروس الجاحدين،  
وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم،  
وأذل دولتهم وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.



اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، اللهم أيدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم إنا نسألك أن تكرمنا ولا تهيننا، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم ول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفر للمسلمين المسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

عباد الله: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## 18 - عيد بأية حال عدت يا عيد

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

مرت علينا أيام العيد، وهنأ بعضنا بعضاً: عيدكم مبارك، وعساكم من عواده، وكل عام وأنتم بخير. وذبح الناس الذبائح، وأكلوا حتى امتلأت بطونهم، وجمعوا على موائدهم ما لذ وطاب من الطعام والشراب.

ومن قبل هذا العيد مر عيد آخر، قبل عيد الأضحى مر عيد الفطر، وقبل هذا وذاك مرت أعياد وأعياد.

ولكن العيد الحقيقي الذي ينبغي أن تبتسم له الشفاعة، وأن تفرح به القلوب، وأن تنتشرح به الصدور، وأن تعلن الأمة به الفرحة الكبرى: هو العيد الذي ينتصر فيه المسلمون انتصاراً حقيقياً، حين تعلق كلمة الإيمان، حين ترتفع راية القرآن، حين تحكم شريعة الإسلام، حينما تتحرر أرض الإسلام، حينما يصبح المسلمون سادة أنفسهم، حينما يصبح أمرهم بأيديهم ولا يكونون كما قال الشاعر:

ويُقضَى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود!  
العيد الذي ننتظره هو العيد الذي يصبح المسلمون فيه أحراراً سادة، هم الذين يُملون القرار، وهم الذين يتخذونه من عند أنفسهم.

حين يكون المسلمون قادرين على الدفاع عن حرمتهم، على الذود عن حماهم، لا يهتك لهم عرض، ولا تنتهك حرمة، لا يسفك دم، لا يهدم مسجد،

لا يدمر منزل، حينما يأتي هذا اليوم يحق لنا أن نقول: عيدكم مبارك، وكل عام وأنتم بخير.

أما أعيادنا اليوم فليست أعياداً، إنها أعياد لا طعم لها، لا معنى لها.

كيف نعيد؟ كيف نفرح؟ كيف نضحك؟ كيف يمتلئ التلفزيون بتلك البرامج المفرحة أو غير المفرحة، النافع وغير النافع منها، وإخوتنا المسلمون هنا وهناك يذبحون ... يقتلون ... يبادون ... ينهتكون؟ قولوا لي بالله كيف نفرح؟

كيف نفرح والمسجد الأقصى أسير في أيدي يهود، يتحكمون فيه، ويفعلون أفاعيلهم ليهدموه، وقيموا معبدهم على أنقاضه؟

كيف نفرح وأرض النبوات تنتهك فيها الحرمات، من اليهود أحرص الناس على حياة؟

كيف نفرح وإخوتنا في البوسنة والهرسك إلى اليوم يذوقون العذاب، ويشربون الكأس المرة، على أيدي أولئك الحاقدين الصليبيين المتوحشين؟

كيف نفرح وإخوتنا في جامو وكشمير يلقون من الوثنية المتعصبة البغيضة ما يلقون؟

كيف نفرح ولنا إخوة في كل مكان يشكون الاضطهاد، ويشكون مرارة الأذى، ويتجرعون الصاب والعلقم؟

كيف لأمتنا أن نفرح بالعيد وهذا حالنا؟

من قديم قال أبو الطيب المتنبي:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد  
 أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد  
 كان أبو الطيب يشكو الغربية ... الغربية عن الأهل والوطن، يشكو فراق  
 الأحبة، فليتنا نشكو مثل هذا.

إننا نشكو ما هو أوجع ... ما هو أشد إيلاًماً، نشكو مآسي حلت بالأمة،  
 فأخرت مسيرتها، ومزقت صفوفها، وأصبح أعداؤها يتحكمون فيها ولا  
 تستطيع أن ترد لهم أمراً.

ماذا نضع أمام هذه المصائب والكوارث والمآسي، ونحن عاجزون  
 مشلولو الأيدي أمام ما يحدث لنا ولإخوتنا هنا وهناك؟

نشرات الأخبار معظمها مآسي المسلمين، حتى قال لي بعض الإخوة: أكاد  
 أغلق التلفزيون كلما جاءت نشرة الأخبار، لأن الأخبار التي تنصدرها مآسي  
 إسلامية.

أحزان وراء أحزان، وهموم وراء هموم، هذا ما نراه في كل يوم.  
 المصائب تصابحنا وتماسينا، وتراوحنا وتغاديننا. لا نستطيع أن نغلق أعيننا،  
 ولا نستطيع أن نصم أسماعنا، أمام هذا الصراخ. لا يستطيع الإنسان أمام هذه  
 المشاهد، أن يغلق بصره وسمعه.

ماذا نضع؟

الأمة التي بوأها الله مكانة الشهادة على الناس، والتي جعلها خير أمة  
 أخرجت للناس، أمة محمد، أمة القرآن، أمة الإسلام، أمة الخلود، الأمة التي  
 بلغ تعدادها ملياًراً ونحو ربع المليار من البشر «ألف مليون ومائتا مليون من

الناس»، كثرة كغناء السيل.

مئات الملايين، ولكنها لا تستطيع أن تصنع شيئاً.

ما أكثر الناس، لا، بل ما أقلهم الله بعلم أني لم أقل فندا  
إني لافتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا  
مئات الملايين، ولكنها لا تغني عند الخطر، لا تفعل شيئاً يذكر.

ما الذي جرى لهذه الأمة؟ ما الذي جرى لها حتى يحدث لها ما حدث؟  
عندها وسائل القوة، عندها مقومات السيادة والريادة: عندها القدرة البشرية.  
عندها القدرة الاقتصادية، فهي تملك معظم منابع النفط، وتملك من المعادن،  
وتملك من الرقعة الزراعية. عندها الموارث الحضارية، عندها القوة  
الروحية لأنها تملك أعظم رسالة البشر، رسالة الإسلام الخالدة.

عندها مؤهلات السيادة، ولكنها لم تشكر نعمة الله على هذا، لم تستفد من  
هذه الطاقات وهذه القوى، تركت الإسلام، تركت مصدر عزها ومجدها،  
فتحكم فيها غيرها.

لا قيام لهذه الأمة ... لا عز لها ... لا انتصار لها ... لا وحدة لها ... لا  
سيادة لها، إلا بالاستمسك بعري الإسلام. حينما تتمسك بالإسلام سيعزها الله،  
إذا نصرت الله نصرها الله، إذا أعزت دين الله أعزها الله، إذا كانت مع الله  
كان الله معها: { ... إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ... } [محمد: 7]، { إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا  
غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران: 160].

ما الذي جرى لأمتنا حتى حدث لها ما حدث، ومرت عليها الأعياد وحالها

هكذا؟ كيف نفرح بالعيد؟ كيف نضحك للعيد وهذه حال أمتنا؟

نحاول أن نرسم البسمة على الشفاه، نحاول أن نرسم الإشراقة على الوجوه، نحاول أن نتظاهر بالفرح والسرور، ولكن هناك جراح عميقة غائرة في سويداء قلوبنا لا نستطيع أن ننساها، وإخوتنا في كل مكان يعانون مما نعرفه ونقرأه ونسمعه ونشاهده.

مشكلتنا في هذا العصر أن الأحداث أماننا، المسلمون قديماً ضاعت منهم الأندلس وحدث للأندلسيين ما حدث، ولكن ما كان الناس يرون هذا ولا يسمعون. كانوا يسمعون بعد أن يقع بأشهر أو بسنين، أما نحن الآن فنشاهد الأحداث لحظة بلحظة، فلا عذر لنا أمام هذه المآسي التي نشهدها ونسمعها ونعايشها.

إخوتنا في البوسنة حديث العالم كله الآن، صراع بين الوحشية الغادرة ... بين الجيس المسلح بأحدث الأسلحة وبين عزل ضعاف، صراع بين الذئاب والحملان، صراع بين الضفدعة والثعبان، صراع بين اللحم والسكين، لا تكافؤ، لا تقارب في القوى.

النظام العالمي الجديد، مجلس الأمن، هيئة الأمم المتحدة، ماذا صنعوا؟ حظروا على المسلمين أن ترسل إليهم الأسلحة، وإلا أتاحت الفرصة للتساوي في القتل! هكذا قال أحد السياسيين البريطانيين! أي لا ينبغي أن يحدث التساوي في هذا، يمكن طرف من قتل الطرف الآخر حتى لا يستمر القتال، يتاح لطرف أن يقتل وعلى الطرف الآخر أن يستكين ويصبر!!

ماذا فعل النظام العالمي الجديد المزعوم؟ ماذا فعلت الهيئات الدولية؟ لم

تصنع شيئاً إلا الكلام، يقال: سنفعل وسنفعل، وما فعلوا ولن يفعلوا إلا بعد أن تذهب أراضي المسلمين وديارهم ويمزقوا شر ممزق، ولا يبقى لهم إلا شيء لا قيمة له. هنالك يدعون إلى إنهاء القضية والمصالحة! أي مصالحة؟! على أي شيء؟!!

ماذا فعل المؤتمر الإسلامي الذي اجتمع من قبل في جدة. واجتمع في إسلام آباد، وسيجتمع من بعد في مكان كذا؟ ماذا صنع هؤلاء؟ كلام في كلام. وكما قال الشاعر:

إن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حديد  
حتى كلامنا إذا تكلمنا فهو كلام خافت، أشبه بالهمس الذي ينيم اليقظان لا بالصراخ الذي يوقظ النائم، ويحرك الساكن، صوت خافت، صوت ضعيف.  
كان من أوصاف عمر رضي الله عنه أنه كان إذا تكلم أسمع. رأت إحدى الصحابيات بعض الشباب يمشون متماوتين، فسألت من هؤلاء؟ قالوا لها: هؤلاء نساك عباد، فقالت: كان عمر ناسكاً، ولكنه كان إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وهذا هو الناسك حقاً.  
هذه مظاهرة القوة، أما نحن اليوم فننكلم فلا نسمع، ونمشي فلا نسرع، ونطعم فلا نشبع، ونضرب فلا نوجع. هذه حال أمتنا.

انظروا ماذا تفعل إسرائيل. نحن نركض وراءها، نلهث من خلفها، نتنازل عن شيء بعد شيء، وهي كأنما تخرج لنا لسانها، تسخر منا، تستهزئ بنا. كلما أسرفنا في التذلل، أسرفت في التمتع والتدلل، كلما بالغنا في الانحناء، بالغت في الإباء، كلما زدنا تنازلاً زادت تعالياً، وهكذا. أبناء القردة والخنازير

الذين غضب الله عليهم في كتبه، أصبحوا يسخرون منا. صاحب الدار يركض وراء اللص، يرجوه أن يدع له حجرة من بيته ... من داره الكبيرة التي اغتصبها، واللص لا يريد أن يترك له حتى هذه الحجرة!! هم يقولون للفلسطين الآن! اذهبوا إلى الأردن، ليس لكم مكان في فلسطين. وهذه المفاوضات التي يركضون وراءها تضييع للأوقات، ليس هناك عمل مجد إلا الجهاد في سبيل الله، ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، هذا ما قاله الشاعر العربي من قديم بحكم الفطرة والأنفة:

وكنت إذا قوم غزوني فهل أنا في ذا يالهمذان ظالم؟  
متى تحمل القلب الذكي وأنفًا حميًا تجتنبك المراغم  
ترى ألم يعد لنا قلوب ذكية، أو نفوس أبيية، أو أنوف حمية، أو صوارم  
عربية، ندافع بها عن أنفسنا، حتى تجتنبنا المراغم، وحتى نتحرر من  
المظالم؟؟

ما الذي حدث لنا؟ كنا نغزو فأصبحنا نغزي، كنا نقود فأصبحنا نقاد، كنا  
سادة العالم فأصبحنا في ذيل القافلة.  
لا بد من رجعة إلى الله تعالى.

إن إسرائيل تريد أن تصبح هي سيدة المنطقة، وهي الآن تقول: أنا التي  
أحمي العالم! ومم تحميه؟ من الإسلام. ثم تسمى هذا الإسلام شيئاً اخترعته  
هذه الأيام، وهو اسم: الأصولية! بدل أن يقولوا «الإسلام» بصراحة يقولوا:  
نحن نحمي العالم من الأصولية!

ما الأصولية؟ هي الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ... إلى تحكيم



الشريعة، عودة هذه الأمة إلى جذورها، إلى ذاتيتها، أن لا تخضع لغيرها، أن لا ترضى بغير كتاب الله منهاجًا، وبغير رسول الله صلى الله عليه وسلم إمامًا.

تحدث حوادث إرهاب في أمكنة من بلاد المسلمين ونحن لا نقرها، فليصقونها بالإسلام، وينسبونها إلا «الأصوليين» لبيغضوا الناس فيهم، فيسمون الإسلام: «الأصولية»، أو يسمونه «تطرفًا»، أو «تشددًا»، أو «إرهابًا»! والإسلام لا يقر أن يقتل إنسان بريء بغير حق، ولكن هذا ما يحدث في كل أنحاء العالم، فلماذا يركز على حوادث تحدث في بلاد المسلمين وحدها، ويتخذ منها ذريعة لضرب الإسلام، وضرب التدين؟

وأصبح يكتب في صحف سيارة: إن التدين هو مصدر هذا الخطر كله! التدين ما دام موجودًا فهو الذي يفرز التطرف، ويفرز الأصوليين! لا بد إذن من سياسة قائمة على فلسفة سموها: «تجفيف المنابع». بمعنى: أنه ينبغي في الإعلام وفي التعليم وفي الثقافة أن تُحذف الأشياء التي من شأنها أن تنشئ العقلية المسلمة، والنفسية المسلمة، والشخصية المسلمة.

وهذا ما فعلوه في عدد من البلدان<sup>(222)</sup>، حذفوا من مناهج التعليم كل ما يثير حمية المسلم ... كل ما يخلق فيه الاعتزاز بدينه ... كل ما يبعث فيه روح الجهاد ... كل ما يثير فيه الغيرة على دينه وعلى أمته.

هذا ما يحدث في بلاد كثيرة. يغرسون في الطفل منذ نعومة أظفاره ما يسمى «نسبية الحقائق»، أي: أن الحقائق ليست مطلقة، إذا كنا نحن ندعو إلى

(222) مثل تركيا وتونس بصراحة، وفي بلاد أخرى بخبث وتدرج. «القرضاوي».

التوحيد ونؤمن بالتوحيد، فهناك من يؤمن بالتثليث، وهناك من يرى أن الإله يتجلى في شجرة أو بقرة أو نهر أو صنم، هناك وثنية، ومعظم العالم وثنيون، هؤلاء بشر مثلنا من حقهم أن نحترمهم وأن نقر بدياناتهم!!

إذا كنا نؤمن برسالة محمد فهناك من لا يؤمن بها، هناك من يؤمنون برسلة آخرين، وهناك من لا يؤمنون برسالات سماوية. إذا كنا نؤمن بالآخرة وأن هناك جنة ونارًا، فهناك أناس يقولون بتناسخ الأرواح، وهناك آخرون يقولون: إنه لا جنة ولا نار!!

هذه هي «النسبية» التي يتحدثون عنها، سوفسطائية جديدة.

هذا ما يجري في بعض البلدان، وتحاول بلاد أخرى أن تقلدهم.

«تجفيف منابع» هو الخطر الذي نراه الآن في كل مكان.

لقد قرأت في إحدى الصحف - في صحيفة يومية سيارة في دولة خليجية - أشياء تُذهل الإنسان، لا يكاد الإنسان يتصورها، كيف يحدث هذا في بلد عربي مسلم، ولا تهيج الدنيا؟ ولا يقذف هذا الكاتب بالحجارة من الأطفال في الشوارع؟ كيف يحدث أن يكتب إنسان يدين التاريخ الإسلامي كله ... يدين الفتح الإسلامي كله؟ ويقول: الروم كانوا عادلين والمسلمون في حربهم للروم كانوا ظالمين! المعتصم الذي نتحدث عنه ونقول «وامعتصماه»، كان رجلًا ظالمًا، ذهب إلى أناس فقتلهم في بلادهم من أجل امرأة! والمسلمون حينما ذهبوا إلى الأندلس كانوا غزاة لقوم مسالمين، ولذلك حق لأهل البلاد أن يطردوهم، وأن يستردوا بلادهم من هؤلاء الغزاة! ويقول: إن «إسرائيل» اسم معروف في كتبنا وفي قرآننا وفي الكتب المقدسة، لم يكن للعرب حق

فيها، هي حق بني إسرائيل، وهذا وطنهم وقد استردوه، فليس لفئة أن تدعي أنها صاحبة الحق!

هذا يُكتب في صحفنا، هذا ما لم يقله اليهود، وما لم يقله «هرتزل» ولا «ابن جريون»، هؤلاء لم يقولوا إنهم أصحاب الحق وحدهم، بل قالوا: نقسم الأرض بيننا، أما هذا فيقول: لا، ليس لنا - نحن أصحاب الأرض كما نزع - حق في هذا!!

جهل هذا الشخص المتعالم أن الروم كانوا مستعمرين لبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وأن المسلمين كانوا محررين لهذه الشعوب، وأن الأندلسيين هم الذين استعانوا بالمسلمين لينقذوهم، وأن بني إسرائيل لم تقم دولتهم في فلسطين أكثر من أربعمئة (400) سنة، وأنهم حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحين خرجوا منها لم تكن خالية، فقد كان فيها أهلها، أهل فلسطين.

وهو يدافع عن الماسونية ويقول: افتحوا المحافل الماسونية، الماسونية، هيئة خيرية إنسانية!!

الماسونية - أيها الإخوة - أداة من أدوات اليهودية العالمية، ومن أدوات الصهيونية، للتأثير على العالم وسياسته.

أي عيد هذا الذي يقال فيه هذا الكلام ويمر بسهولة؟

أي عيد هذا الذي يحدث فيه ما يحدث لأمتنا الكبرى، من المحيط إلى المحيط، أمة الألف وتلت الألف من الملايين؟

منذ نحو ستين سنة كتب أحد الشعراء (223) في أحد الأعياد، قصيدة، يبكي فيها حال المسلمين، ومما قاله في قصيدته:

قالوا: عجبنا ما لشعرك باكيًا في العيد، ما هذا بشأن معيّد؟  
ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ورموه في قفص وقالوا:  
كيف يغرد العصفور إذ قصّ جناحه ونتف ريشه ووضع في القفص؟ هل  
يستطيع أن يغرد؟ إنه ينوح ولا يغرد.

وهذه هي حالنا ما لم نصطح على الله تعالى، ما لم نقرع باب الله بالتوبة،  
ما لم نرجع إلى أنفسنا، ما لم نقل ما قال أبونا آدم وأما حواء: { ... رَبَّنَا ظَلَمْنَا  
أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخُسْرَيْنِ } [الأعراف: 23].

ليس معنى هذا - أيها الإخوة - أنه ليس هناك بصيص من أمل، وأن  
الصورة سوداء من كل جوانبها. إننا حين نتألم، فهذا دليل حياتنا. تكالب  
الأعداء علينا يدل على أننا أحياء، فالأموات لا يعاديهم أحد.

المبشرات كثيرة أيها الإخوة. فبجوار هذا هناك صور مشرقة:

المساجد ممتلئة بالمصلين والحمد لله، موسم الحج عامل بالحجاج، اثنان  
من الملايين حجّوا هذا العام. الذين يقرأون الكتاب الإسلامي بالملايين،  
المنادون بتطبيق الشريعة جماهير غفيرة في كل مكان، صوت الإسلام لا  
زال مرتفعًا.

الإخوة في البوسنة والهرسك - رغم ضعفهم ووهن حالهم، وعدم وجود

(223) هو الشاعر المصري الكبير: محمود غنيم، والقصيدة نشرت في مجلة «الرسالة».

سلاح في أيديهم - قاوموا ولا زالوا يقاومون، كانوا يظنون أن «سراييفو» ستسقط بعد ثلاثة أسابيع، فمر عليها سنة، ومر عليها بعد السنة شهر وشهر، وهي صامدة.

قالت إسرائيل: إن الانتفاضة ستنتهي بعد أسابيع، وإن ثورة المساجد ستنتفي بعد أيام أو أشهر على الأكثر. ولكن الجذوة لم تنطفئ، ظل أطفال الحجارة يكبرون ويكبرون، إلى أن أصبح الأشبال أسوداً، وأصبحوا يخيفون إسرائيل في كل مكان.

رغم تكسير العظام، ورغم إزهاق الأرواح، ورغم سفك الدماء، ورغم الاعتقال والسجون، لا زال أشبال الحجارة يعملون.

وإسرائيل تحاول أن تعوض عن هذا بحركتها في كل مكان، في المنطقة وفي غير المنطقة، حتى ذهبت إلى الهند وقالت لهم: نحن معكم ضد الإسلاميين ... ضد الأصولية الإسلامية. واجتمع الاثنان كما قال الله تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...} [المائدة: 82].

لا زال المجاهدون يعملون، وإخوتنا في كشمير لا زالوا يجاهدون.

هناك إذاً ولا شك صور طيبة.

ذهب أحد الصحفيين الكنديين إلى البوسنة وإلى مدينة «سيرفتشا»، وعاش الإخوة هناك، فأدهشه صلاتهم وقوتهم واستمسакهم بدينهم، رغم حداثة رجوعهم إلى الدين، فقد كانوا تحت حكم الشيوعية.

أعجبه هؤلاء فعاش بينهم، ودخل في دينهم، وتزوج منهم، وأصبح واحداً منهم. ثم أراد أن يودعهم وقال: إني مشتاق إلى أن أذهب إلى فلسطين، وأريد

أن أزور المبعدين في «مرج الزهور»، هؤلاء الصامدين الذين لم يركعوا أمام ضغط اليهود، لم يحنوا رؤوسهم، لم يبطأوا ظهورهم أمام وعد أو وعيد ... أمام إغراء أو تهديد، رفضوا أن يعودوا إلا جميعاً، أو يبقوا في هذه الأرض حتى تكون لهم مقابر.

أراد أن يذهب إلى هؤلاء فقال له الإخوة في البوسنة: نريد أن نبعث لك شيئاً لإخواننا ... هدية ... مساعدة، فماذا نبعث؟

جمعوا ما معهم فما استطاعوا أن يجمعوا إلا اثني عشر دولاراً. قالوا: خذ هذه الدولارات الاثني عشر وأعطها لإخواننا مساعدة وهدية منا لهم. كانت رمزاً، ليست شيئاً عظيماً، ولكنها شيء عظيم في قيمته لا في مادته ... في كيفية لا في كميته.

ذهب الآخر الكندي إلى أرض المبعدين في «مرج الزهور»، وبلغهم رسالة إخوانهم، وأنهم معهم بقلوبهم، وأنهم يتمنون لو تحررت أرضهم ليأتوا إلى فلسطين ليجاهدوا معهم. وقال لهم: إنهم لم يستطيعوا أن يجمعوا لك إلا اثني عشر دولاراً، ويرجون أن تقبلوها منهم.

وبكى الإخوة وقالوا: الإخوة في البوسنة يهتمهم أمر إخوانهم في فلسطين، ولم يشغلهم ما هم فيه من مصائب ومأس؟! هذا هو شأن المسلم، لا يشغل بأمره الخاص عن أمر إخوانه.

ولهذا قال الإخوة: اجمعوا كل ما تستطيعون لنرد الهدية بهدية مثلها. كان النبي عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويكافئ عليها، فلنكافئ إخواننا على هديتهم. فجمعوا كل ما يستطيعون جمعه، مما معهم ومما حولهم، حتى جمعوا

«اثنى عشر ألف دولار»، وقالوا: هذه هديتنا إلى إخواننا.

هذه هي الروح الإسلامية أيها الإخوة.

الإسلام بخير، مهما حدث ما حدث يستطيع المسلمون أن يفعلوا الكثير.

سألني بعض الإخوة عما كتبه الأستاذ «فهمي هويدي» في صحيفة «الشرق» وفي «الأهرام» وفي غيرهما: أن إنقاذ البوسنة مقدم على فريضة الحج. قلت له: لسنا في حاجة إلى أن نوقف الفريضة، بل لو أن الذين يحجون متطوعين تبرعوا بقيمة حج التطوع، لجمعنا المليارات.

المليونان اللذان حجا هذا العام، في العادة لا يوجد أكثر من ثمنهم أو سبعهم يحجون للمرة الأولى، ومعظم الحجاج دائماً ممن حجوا مرتين وثلاثاً وعشرًا وعشرين وأربعين، أعرف أناسًا حجوا أكثر من أربعين مرة.

هؤلاء الذين يحجوا حج التطوع لو أنهم بذلوا نفقة هذا الحج لله عز وجل، وأعانوا إخوانهم، لكان هذا أفضل مرات ومرات من حج التطوع.

وفي رمضان، قالوا: كان هناك في ليلة السابع والعشرين نحو مليونين في الحرم الشريف. فلو أن هؤلاء دفعوا نفقة هذه العمرة - وهي عمرة تطوع - ولو أن المسلمين دفعوا زكاة الفطر هذا العام لمساعدة الإخوة في البوسنة - ومعظم المسلمين في العالم يؤدون زكاة الفطر - لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير، وأن يجمعوا الكثير.

ولكن من الذي يقول فيسمع له؟ من ينادي المسلمين؟

كانت لنا قديمًا خلافة، يستطيع الخليفة أن يقول: يا أيها المسلمون في

مشارك الأرض ومغاربها، ابذلوا لإخوانكم في فلسطين، أو في البوسنة والهرسك، فيستجيب الناس للخليفة، ويطيعون أولي الأمر منهم.

نصارى الكاثوليك لهم بابا في الفاتيكان، والنصارى البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمي، والأقباط الأرثوذكس لهم بطريرك أو بابا في مصر، وهكذا، كل جماعة لهم قيادة دينية إلا المسلمين.

كان قديماً هناك من يسمى «شيخ الإسلام»، يستطيع أن ينادي المسلمين فيستجيب الناس له. ولكن هذا لا يوجد الآن، لأن العلماء أصبحوا في ركاب السياسة، أفسدتهم السياسة، فلم تعد الشعوب تثق بعلمائها، ويقولون: العلماء في كل بلد تبع للسلطة الحاكمة، ولذلك العلماء في البلاد الاشتراكية كانوا يؤيدون الاشتراكية، وفي البلاد غير الاشتراكية يهاجمون الاشتراكية، وهكذا.

المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة، كما قال محب الدين الخطيب رحمه الله من قديم.

نحن في حاجة إلى قيادة، وفي حاجة إلى وعي ... إلى عقل يفهم الإسلام، ويفهم الحياة، ويفقه سنن الله تعالى، وإلى قلب يؤمن بالإسلام ويحب الله ورسوله، وإلى إرادة تنفذ أحكام الإسلام وتلتزم به.

لقد وجدنا من الناس من ينكر إرسال قيمة الأضحية إلى الإخوة في البلاد التي تموت من الجوع، ويقول: لا يجوز نقل الأضحية، وهناك من يقول: لا يجوز نقل زكاة المال، ومن يقول: لا يجوز نقل زكاة الفطر! هؤلاء يريدون أن يختصروا دار الإسلام في مدينة، وأن يختصروا أمة الإسلام في قبيلة، وأن يكرسوا هذه التجزئة التي ما أنزل الله بها من سلطان.



الإسلام أمة واحدة، والمسلمون أمة، هكذا سماهم الله، وليسوا أمماً. وأوطان الإسلام دار اسمها «دار الإسلام»، والمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه...»<sup>(224)</sup> أي: لا يخذله ولا يتركه يواجه المصائب وحده، فكيف يقال هذا؟

ما الذي جرى لهذه الأمة حتى وجدنا مثل هذه الأقوال العجيبة والغريبة التي تصدر ما بين الحين والحين؟

الأمة الإسلامية أمة واحدة، وينبغي لكل واحد منها أن يهتم بأمر إخوانه. اهتم بإخوانك في شدتهم حتى يهتموا بك في شدتك. لا معنى للإيمان إذا عشت وحدك، إذا قلت: أنا وليخرب العالم ... أنا ولتنتهد الدنيا! أين الإسلام إذن؟ أين الإخوة أين الرابطة التي تربطك بأخيك؟ ليس هناك رابطة أقوى من العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من الإسلام. يا أيها الإخوة:

إنها آلام ودموع وزفرات ونفثات لا يستطيع الإنسان أن يكتمها في نفسه، لا بد أن تنفس، لا بد للمصدر من نفسه، لا بد للمكلم من زفرة، لا بد للمتألم من دمة. فهذه دمعائنا، وهذه نفثائنا، ولا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور

(224) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (647/2 برقم 1386، 703/2 برقم 1569).

الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، فيا أيها الإخوة:

نسيت أن أضيف إلى كتاب الذل صفحة، لا بد أن نضيفها إلى هذا الكتاب الأسود، وهي صفحة أولئك الذين ذهبوا يحجون إلى بيت المقدس ... إلى المسجد الأقصى!!

لقد سألتني مندوب صحيفة «الشرق» عن هذه المأساة، فقلت له: أي حج؟ هل يعرف المسلمون حجاً غير بيت الله الحرام؟ إن الحج المفروض على هذه الأمة هو حج البيت من استطاع إليه سبيلاً<sup>(225)</sup>.

الذين يسمون زيارة بيت المقدس حجاً هم النصارى، أما نحن فحجنا إلى بيت الله.

المسجد الأقصى عندنا أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها<sup>(226)</sup> وزيارته ليست فرضاً، هي سنة ... أمر مستحب.

(225) كما قال الله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ 96 فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 96، 97].

وقال صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن غير واحد من الصحابة. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (167/1 - 168 برقم 183).

(226) قال صلى الله عليه وسلم: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي

ولكن إنما تُستحب زيارة المسجد الأقصى حينما نكون نحن سادته، أما أن نذهب إليه تحت أسنة رماح بني صهيون، وبتأشيرة من إسرائيل، ونزوره تحت العلم الإسرائيلي الخفاق، ويستقبلنا الإسرائيليون ليجلسونا في أفخم الفنادق، فهذه ليست زيارة للمسجد الأقصى، هذا هو الذل الذي نأباه.

نحن في زمان الذل العربي الإسلامي، ذللنا حتى أصبحنا نذهب إلى بيت المقدس تحت الحماية الصهيونية الإسرائيلية.

ليس المطلوب منها أن نذهب إلى المسجد الأقصى لنصلي فيه، بل المطلوب منا أن نقود الجهاد لنحرر المسجد الأقصى، وأن نضع ما صنع صلاح الدين من قبل، حين حرر المسجد الأقصى بعد أن ظل تسعين عامًا في يد الصليبيين.

نحن في حاجة إلى «صلاح» من جديد، نحن في حاجة إلى «قطز» من جديد، نحن في حاجة إلى أبطال من جديد، يرفضون الهوان، ويستعصون على الذل والانحناء، ويقولون لإسرائيل ومن وراء إسرائيل: لا، إما أن نعيش أعزاء، وإما أن نموت شهداء، {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِيَّاتِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة: 52].

ما معنى زيارة المسجد الأقصى وإسرائيل هي التي تتحكم فيه، تُدخل من

---

وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد، ورواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص. «فيض القدير» للمناوي (403/6 برقم 9802).

تشاء وتخرج من تشاء، وتبقى من تشاء وتطرد من تشاء؟! أهذا الذي يسعى إليه المسلم؟! كان الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله يتمنى أن يطيل الله عمره حتى يصلي في المسجد الأقصى، كانت هذه أمنية حياته، وكان صادقاً، ولذلك تأمر عليه المتآمرون حتى قتلوه. ولكنه كان يريد أن يصلي في المسجد الأقصى «الحز» ، وليس المسجد الأقصى تحت صهيون.

أما الذين يصلون في المسجد الأقصى في حرسة الصهاينة، فهذا أمر ميسور لكل من أراده، وقد فعلها من فعلها.

ما الذي حدث لهذه الأمة؟

هذا زمان النذل العربي الإسلامي، أصبحنا نترضى إسرائيل، أصبح هناك من يقول: تعالوا أيها اليهود إلى مواطنكم القديمة، وخذوا أملاككم واستردوا التعويضات. وأصبح هناك من يريد أن يزور إسرائيل، وأن يتقرب من بني إسرائيل!!

أين الثورية؟ أين جبهة الصمود والتصدي؟ أين الكلام الكثير الكبير؟ أين هذا كله؟

لقد ضاع وضعنا معه، ولم يبق إلا هؤلاء الفتية، فتية «حماس» وفتية «الجهاد»، فتية «ثورة المساجد»، الذين يقاتلون في سبيل الله حتى ينصرهم الله عز وجل. قد تكون المسألة أكبر منهم، وقد تكون إمكانات العدو أعظم وأخطر، ولكننا مطالبون أن نعد ما اتطعنا من قوة، وأن نترك الباقي على الله عز وجل: { ... كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: 249]، { ... وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ  
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ { [الحشر: 2].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها  
معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل  
خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ  
عزيز مقتدر.

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ { [الحشر: 10].

عباد الله: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه،  
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ { [العنكبوت: 45].

## 19- لماذا لا يستجيب الله دعائنا؟

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

سألني أحد الإخوة سؤالاً. قال: اجتمع في صعيد عرفات وفي الأراضي المقدسة أكثر من مليونين من الحجاج، ذهبوا إلى تلك البلاد متطهرين، وطافوا بيت الله عاكفين ومتعبدين، وهرولوا بين الصفا والمروة قانتين ذاكرين، ووقفوا في عرفات ملبين خاشعين، داعين محرمين، ومتجردين من زينة الدنيا وزخرفها. هؤلاء جميعاً دعوا الله تعالى أن ينصر الحق على الباطل، وأن ينصر الإسلام على الكائدين له، وأن ينصر المسلمين على عدوهم، وأن يرد كيد الكافرين في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأن يخرج أمة الإسلام من محنتها، ويكشف عنها غمتها، ويفرج كربتها.

وشارك مع هؤلاء الحجاج والمعتمرين من الطائفين والساعين والواقفين ملايين من المسلمين في أنحاء الأرض، صاموا يوم عرفة، وابتهلوا إلى الله عز وجل ضارعين أن يؤيد الإسلام ويعز المسلمين.

هذه الدعوات التي سعدت إلى الله تعالى خاشعة ضارعة لماذا لم يستجب لها، في مثل هذا المكان وهذا الزمان؟ المكان مكان مقدس، والزمان زمان مبارك، والقلوب قلوب خاشعة، والألسنة ألسنة طاهرة، فلماذا لم يستجب الله تعالى هذه الدعوات؟ لماذا لا تزال الأمة تحت الحصار؟ لماذا لا تزال

تضرب من يمين ويسار؟ لماذا يظل أعداؤها يتحكمون فيها تحكم السادة في العبيد؟ لماذا تتلقى الأمة الضربات من هنا وهناك؟ أليست هذه الأمة هي القائمة على الدين الحق، الشهيدة على الناس؟ أليست هذه الدعوات صادرة من قلوب مخلصه؟

هكذا سألني أحد الإخوة، وهكذا كان السؤال، فهل لهذا من جواب؟ والجواب أيها الإخوة:

أن استجابة الدعاء لها شروط، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: استجابة الدعاء لها مدى معلوم، ووقت محدّد، يجيب الله تعالى فيه الدعاء في الوقت الذي يريد وبالكيفية التي يريد.

للدعاء شروط. فيا ترى هل نفذنا شروط الدعاء؟

الدعاء وأنت في المعركة:

1- إن من شروط الدعاء على الأعداء: أن تدعو الله وأنت تواجه الأعداء أن تدعو الله وأنت في الميدان، لا تتخلى عن الجهاد، ولا تتخلى عن البذل والتضحية.

هكذا دعاء المسلمون يوم بدر حينما واجهوا المشركين، وكانوا أقل عددًا وأضعف عدة، وأضال استعدادًا. كان المشركون حوالي الألف، وكان المسمون ثلاثمائة يزيدون قليلًا. كان مع المشركين مائة فرس، والمسلمون لم يكن معهم إلا فرسان. المشركون خرجوا للحرب، والمسلمون خرجوا للقاء القافلة ... للقاء العير.

ولكن حينما فرض على المسلمين أن يواجهوا المعركة، واستغاثوا بالله،

ودعوا الله عز وجل، رفعوا أيديهم إلى السماء: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ} [الأنفال: 9]. استغاثوا بالله فأعانتهم، أغاث لهفتهم وأجاب دعوتهم، لأنهم دعوا وهم مستعدون للمعركة.

النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله ويلح عليه في الدعاء، ويقول: «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، الله إن تهلك هذه العصاة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض - فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأناه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك» (227).

هذا هو الدعاء، الدعاء في قلب المعركة.

يحدثنا القرآن عن أصحاب طالوت وكانوا قلة، كانوا في عدد أهل بدر - ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً - وحينما رأوا جنود جالوت وهم أكثر عدداً وأقوى عدة، قالوا أو قال الكثيرون منهم: {لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَفُوا إِلَهِ [من أهل الإيمان] كَمْ مِّنَ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ 249 وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ [أصبحوا وجهًا لوجهه وصفًا لصف] قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [هكذا دعوا وهم في قلب المعركة وفي أتون المعركة، فماذا كانت النتيجة؟] 250 فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَانتَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ

(227) أخرجه مسلم من حديث عمر رضي الله عنه. انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (84/12 - 85)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.



وَأَلْحَمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} [البقرة: 249 - 251].

المشكل أننا ندعو الله ونحن بعيدون عن المعركة، ندعو الله أن ينصر الإسلام وأن يعز المسلمين ونحن قعود على جنوبنا، ولا نريد أن نبذل أنفسنا ولا أموالاً، ولا نضحي بغالٍ ولا رخيص، وما هكذا يستجاب الدعاء.

إنما يستجيب الله الدعاء من قوم بذلوا ما يستطيعون، وتركوا الله ما لا يستطيعون. الله هو الذي يكمل النقص ويسد الثغرات، لأن النصر من عنده.

كان المسلمون في بدر قليلاً، فكثرتهم الله بالملائكة: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]. الملائكة نزلت في بدر، والملائكة نزلت في الخندق، والملائكة نزلت في حنين، ولو أراد الله أن ينزل علينا الملائكة اليوم لأنزلها، ولكن الملائكة لا تنزل في فراغ. إنما تنزل على قوم مؤمنين مجاهدين باذلين مضحين {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ ءَامَنُوا} لا بد أن يوجد الذين آمنوا في الأرض، حتى تنزل عليهم الملائكة من السماء، بشرى من الله لهم وتثبيتاً من الله لهم.

لا بد لكي يُستجاب الدعاء أن تكون في قلب المعركة.

وصل الخط مع الله:

2- ولا بد لكي يستجاب الدعاء أن تكون الخطوط موصولة بيننا وبين الله تعالى. إذا كان الخط مقطوعاً وظللت تستنجد بشرطة النجدة أو بشرطة الإطفاء أو رجال الإسعاف، فلن يستجيب لك أحد. الخطّ مقطوع بينك وبينهم، مهما حاولت أن تتكلم وتصرح مهما رفعت صوتك وجهرت

بقولك، فلن يسمعك أحد.

صل الخط بينك وبين من تنادي يسمعك، صل الخط بينك وبين الله يستجب لك.

نحن قطعنا الخطوط ما بيننا وبين ربنا: بما نفعل من معاصي ... بما نرتكب من موبقات ... بإعراضنا عن شرع الله وحكمه ... بارتكابنا لأشياء مما حرم الله عز وجل ... بتهاوننا في فرائض الله ... بتركنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك ندعو فلا يُستجاب لنا.

في الحديث: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»<sup>(228)</sup>.

لا بد أن نطهر مجتمعاتنا من المآثم ... من الجرائم ... من المنكرات، حتى تكون مجتمعات مسلمة بحق.

الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ 40 [لا ينصر الله إلا من ينصره، فمن هم الذين ينصرون الله؟] [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِاللَّهِ عُقْبَةُ الْأُمُورِ] [الحج: 40، 41]. هؤلاء الذين يستحقون نصر الله.

(228) قال الزين العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» أخرجه البزار من حديث عمر بن الخطاب، والطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف، وللتزمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال: «أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» قال: هذا حديث حسن (308/2).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7]. وإذا نصركم الله فلن تُخذلوا ولن تُغلبوا، من استنصر بالله فلن يغلب، من اعترز بالله فلن يذل، من استكثر بالله فلن يقل، من استغنى بالله فلن يفتقر، من استقوى بالله فلن يضعف أبداً: {إِن يَنصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: 160].

لا بد أن تكون الخطوط موصولة بالله عز وجل.

الإخلاص وصدق العبودية لله:

3- وأول ما يصل الخطوط بيننا وبين الله هو: إخلاص النية، وإخلاص العمل لله. أن نجرد القلوب لله، أن نطهرها من حب الدنيا، وحب الذات، أن نعلقها بالآخرة، وبالله تعالى.

إذا ظللنا نركض وراء الدنيا عبيداً لها، نسعى وراء متاعها، نركض خلف شهواتها، فلن يستجيب الله لنا.

لا بد أن نكون عبيداً لله، خالصين لله، الله تعالى يقول: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]. انظر إلى قوله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي} هذه الإضافة لها معنى. لا بد أن تكون عبداً لله ... أن تتشعر بالعبودية لله وحده.

أما إذا كنت عبداً للشيطان ... عبداً للدنيا ... عبداً للدينار، والدرهم ... عبداً للكاس والطاس ... عبداً للمرأة وللغريزة، إذا كنت عبداً لأي شيء من ذلك فلن يستجيب الله دعائك.

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}: هو أقرب ما يكون إلى عباده، أقرب

إليهم من حبل الوريد، أقرب إديهم من آبائهم وأمهاتهم، أقرب إليهم من أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولهذا قال في هذه الآية: {فَاتِي قَرِيبٌ} ولم يقل: «فقل إني قريب»، كأنه يقول: إنه لا حاجة إلى واسطة بيني وبين عبادي إذا دعوا فإني قريب منهم، أنا معهم حيثما كانوا، ولم يقل: هم: أقرباء مني.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعاء يوماً: «أربعوا على أنفسكم، اشفقوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»<sup>(229)</sup>، «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم»<sup>(230)</sup>.

جاء في بعض الأحاديث: «لو عرفتم الله حق معرفته لزالتم بدعائكم الجبال»<sup>(231)</sup>. إن الله لا يعجزه شيء، ولا يبعد على قدرته شيء، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82].

المشركون في ساعة الشدة يدعون الله عز وجل، فيستجيب الله لهم، لماذا؟

(229) قطعة من حديث أبي موسى الأشعري المتفق على صحته «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (66/5 برقم 1283).

(230) هذه الزيادة لمسلم في «صحيحه»، عن أبي عثمان عن أبي موسى. انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (27/17)، «كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفق الصوت بالذكر».

(231) أخرجه الحكيم الترمذي عن معاذ بن جبل، وأوله: «لو خفتم الله تعالى حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه...»، ورمز له السيوطي بعلامة الضعف «فيض القدير» للمناوي (319/5 برقم 7448).

ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالتم بدعائكم الجبال» وضعفه الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (97/4).

لأنهم يدعون مخلصين له الدين: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ [في هذه الحالة والموت يطاردهم، والهلاك من يمينهم ويسارهم] دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ 22 فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [يونس: 22].

المهم أنه في ساعة الشدة ... في ساعة الأزمة، حينما تبلغ الأزمة ذروتها، يتجرد الإنسان من كل الآلهة الزائفة، لا ينادي: هبل ولا مناة ولا اللات ولا العزى، ولكن يقول: يا رب، يقولها من أعماقه ... من سويداء قلبه، مخلصاً لله الدين.

وما دام قد أخلص الدين لله، وعاد إلى الفطرة، أي: إلى التوحيد الخالص ودعاه دعاء المضطر المغلوب، فإن الله يستجيب دعاءه، وينجيه من الكرب.

من المهم جداً أن ندعو الله مخلصين له الدين حتى يستجيب لنا.

لا بد أن في دعائنا خللاً، لم تتمحض النية لله، لم يكن الدعاء خالصاً - كما ينبغي - لله رب العالمين، شابته الشوائب وكدرته الكدورات.

التطهر من الحرام:

4- ومن ناحية أخرى، فإن من شروط استجابة الدعاء: أن تكون متطهراً من الحرام في مأكلك ومشربك وملبسك ومعيشتك. أن تعيش على الحلال وتتعفف عن الحرام.

إما إذا كنت تأكل الحرام، وتشرب الحرام، وتلبس الحرام وتتغذى بالحرام، فهيهات أن يستجيب الله لك. لقد جاء هذا في الحديث الصحيح الذي رواه

الإمام مسلم عن أبي هريرة<sup>(232)</sup>: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين [أمر الجميع بأكل الطيبات] فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثم ذكر [أي: النبي صلى الله عليه وسلم] الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُدِّي بالحرام [جسمه تغذى على الحرام ونبت من حرام]. فأنى يستجاب لذلك؟». عيشه حرام في حرام، وهو يطيل السفر، والسفر من مظنة الاستجابة، خصوصاً مع الشعث والغبرة، ولعله في سفر حج أو عمرة أو طلب رزق أو طلب علم.

مع هذا السفر، ومع أنه أشعث أغبر، ومع أنه يرفع يديه إلى السماء، ومع قوله يا رب يا رب، ومع تكرار الدعاء والإلحاح على الله وهذا كله من مرشحات الاستجابة للدعاء، مع هذا كله يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنى يستجاب لذلك؟» هيهات أن يُستجاب.

ولذلك لما سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له: «أطب طعمتك تُستجب دعوتك»<sup>(233)</sup>، يعني: اجعل طعامك ومعيشتك من حلال طيب قبل كل شيء، تكن مستجاب الدعوة.

(232) رواه عنه أيضاً الإمام الترمذي وهو من أحاديث «الأربعين النووية». انظر:

«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (2/502 - 503، برقم 957).

(233) قال العلامة العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» أخرجه الطبراني في «الأوسط»

من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (2/89) ط. دار المعرفة بيروت.

هؤلاء الذين يدعون الله: كم منهم من يعيش على الحلال الصرف، لا يأكل الحرام، لا يأكل الفوائد الربوية، لا يتعامل بمعاملات محظورة، لا يطمع في حقوق الآخرين، لا يظلم عماله ولا موظفيه، لا يأكل عرق أجير، لا يأخذ مالا بغير حق؟ كم من الناس طهر رزقه ... طهر دخله من كل حرام أو شبهة حرام؟ «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتفع فيه ...»<sup>(234)</sup>.

لكي يستجب الله دعاءنا لا بد أن نصل ما بيننا وبين ربنا: بتحري الحلال والبعد عن الحرام، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بإخلاص النية لله تعالى، بالوقوف عند أمر الله ونهيه بأن نكون كما أراد الله لنا «مخلصين له الدين»، ندعوه رغباً ورهباً كما وصف الله عباده الصالحين وأنبياءه الصادقين: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ} [الأنبياء: 90]، رغباً فيما عند الله ورهباً مما عند الله، رغباً في الجنة ورهباً من النار، رغباً في مثوبة الله وفضله ورهباً من عقوبة الله وعدله.

نحن في حاجة إلى تطهير هذه القلوب ووصلها بالله عز وجل، حتى إذا دعونا الله دعونا بحرارة وحرقة، جازمين بدعائنا، موقنين بالإجابة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي أن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم مسألته، فإنه لا مكروه له»<sup>(235)</sup>.

(234) قطعة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه، وهو من أحاديث «الأربعين النووية». انظر: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (506/2 برقم 966).

(235) متفق على صحته، من حديث أبي هريرة ومن حديث أنس رضي الله عنهما. انظر:

ينبغي أن ندعو الله مخلصين له الدين وأن نكون مسلمين حقاً، ذوي قلوب حية لا قلوب ميتة.

ذهب إبراهيم بن أدهم إلى سوق البصرة، فاجتمع عليه الناس وقالوا له: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال لهم: لأن قلوبكم قد ماتت بعدة أشياء: أولها: أنكم عرفته الله ولم تؤدوا حقه، وثانيها: أنكم زعمتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته، وثالثها: أنكم زعمتم أن الموت حق ولم تستعدوا له، رابعها: آمنتم أن الجنة حق ولم تستعدوا لها، وخامسها: أيقنتم أن النار حق ولم تهربوا منها، سادسها: أنكم قمتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم، وأنكم ... وأنكم.

قلوبكم ماتت، والقلوب الميتة لا يستجاب دعاؤها، إنما يستجيب الله الدعاء من قلب حي، ولا يستجيب الله الدعاء من قلب غافل أو قلب ميت.

دعاء المكروب:

التقم يونس الحوت حينما خرج من قومه مغاضباً لهم، لم يصبر عليهم وتركهم، فعاقبه الله بأن ركب في السفينة، وكان العدد فيها أكثر مما ينبغي، وفي وسط البحر قالوا: لا بد أن نلقي بعض الركاب من السفينة، عملوا قرعة فخرج السهم عليه، أعادوا القرعة مرة ومرة، وفي كل مرة يجيء السهم عليه، رموه في البحر، فالتقمه حوت ضخم ... حوت كبير، وكان المفروض أن يصبح هذا الحوت قبراً له، ولكنه نادى في الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت: {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}



[الأنبياء: 87].

بهذه الكلمات الموجزة نادى ذون النون - أي: صاحب الحوت - ربه،  
كلمات تتضمن:

1 - التوحيد: «لا إله إلا أنت».

2- والتنزيه: «سبحانك» أنزهك عن الظلم، أنت لم تظلمني، أنا الذي ظلمت  
نفسي.

3- والاعتراف: «إني كنت من الظالمين».

فنجاه الله من الغم، وأخرجه من الكرب، ولفظه الحوت على الشاطئ نتيجة  
هذا الدعاء الخالص: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ}  
[الأنبياء: 88] إذا وقعوا في مثل ما وقع فيه يونس، ودعوا الله بمثل دعائه...  
بحرارة وإخلاص وأمل. ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم «دعوة ذي  
النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من  
الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»، وفي  
رواية: فقال رجل يا رسول الله، هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تسمع إلى قول الله عز وجل:  
{وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ}»<sup>(236)</sup>.

(236) الحديث رواه الترمذي، واللفظ له، والنسائي، والحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي  
الله عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في «تفسيره»  
وعزاه للمسند، وصحح شاكر إسناده، أما الزيادة فهي للحاكم في رواية له. «المنتقى من  
كتاب الترغيب والترهيب» (476/1 برقم 922، 529/2 - 530 برقم 1041).

يا أيها الإخوة:

نحن ندعو الله كثيرًا ولكننا في حاجة إلى أن نحقق شروط الدعاء، حتى يستجيب الله تعالى لنا، وهو يستجيب لنا في الوقت الذي يشاء، وبالكيفية التي يشاء.

الاستمرار في الدعاء:

نحن لا نعرف متى يستجيب الله لنا، المهم أن نستمر في الدعاء، وأن نلح على الله عز وجل ولا نياس، ولا نستعجل، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجب، يقول: دعوت فلم يستجب لي»<sup>(237)</sup>. وفي رواية: قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»<sup>(238)</sup> يمل ويترك الدعاء.

ألح على الله باستمرار، لا تياس من روح الله: {إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87]. الدعاء مطلوب لأنه عبادة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة»<sup>(239)</sup> ثم تلا قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي [أي: دعائي، فوضع كلمة

(237) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (477/1 برقم 926).

(238) رواه مسلم والترمذي، وانظر تعليق الشيخ القرضاوي عليه في كتابه . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (477/1 برقم 926).

(239) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، الذي رواه أبو داود، والترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (472/1 برقم 913).

العبادة موضع الدعاء] سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ { [غافر: 60].

كيف يستجاب الدعاء:

ومن ناحية أخرى لا ندري كيف يستجيب الله لنا؟ وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته «يحقق له أمنيته وطلبته عاجلاً» وإما أن يدخرها له في الآخرة «مثوبة عند الله عز وجل» وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» «يكف عنه بلاء كان سيحل به» فقال الصحابة: إذن نُكْثِرُ «ما دامت المسألة رابحة رابحة إذن نكثر من الدعاء» قال: «الله أكثر»<sup>(240)</sup>، أي ما عند الله أكثر مما تسألون، وفي الحديث القدسي: «... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان منهم مسألتة، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر...»<sup>(241)</sup> المخيط هو ما يخاط به الثوب كالإبرة، فإذا وضعتها في الخليج أو في المحيط ماذا تنقص منه؟ لا تنقص منه شيئاً.

لندعو الله أيها الإخوة، لنستمر في الدعاء، ولنحاول أن نحقق شروط الدعاء حتى يستجيب الله لنا، وينصرنا على عدوه وعدونا، ويعز دينه، ويعلي كلمته، ويرفع رايته في الأرض، وما ذلك على الله بعزيز. أقول قولي هذا

(240) رواه أحمد، والبخاري، وأبو يعلى، بأسانيد جيدة، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد،

ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (473/1 برقم 916).

(241) قطعة من حديث أبي ذر رضي الله عنه، الذي رواه مسلم في «صحيحه». «المنتقى

من كتاب الترغيب والترهيب» (471/1، 475 برقم 911).

وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.  
الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في هذا الأسبوع حدث حادثان كبيران في عالم الغرب، كلا الحدثين يدل على أن للصهيونية يدًا طويلة، أصبحت هذه اليد تتال العالم كله، وتؤثر فيه، تؤثر على الصحافة وعلى الإعلام، وتؤثر على المؤسسات الأكاديمية والتربوية، وتؤثر على المؤسسات القضائية والحكومية.

في هذا الأسبوع حكم القضاء الأمريكي على الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس». حكم عليه بتسليمه لإسرائيل ... إعطائه لقمة سائغة لإسرائيل ... تقديمه هدية أو مكافأة لصاحب مجزرة قانا «بيريز».

«بيريز» الذي يجب أن يحاكم في محكمة عالمية، على مجزرتة التي ارتكبتها وقتل فيها من قتل، حتى دانتها الأمم المتحدة نفسها. «بيريز» الذي فعل ما فعل، يكافأ بأن يُسلم إليه رئيس المكتب السياسي لحماس.

ماذا جنى موسى أبو مرزوق؟

ما جنى موسى أبو مرزوق جنائية، ولا اجترم جريمة، إلا أنه كان يجاهد جهاداً مشروعاً للدفاع عن وطنه الذي احتل وأرضه التي اغتصبت. وهذا حق مشروع لكل إنسان في كل دساتير العالم، وموثيق حقوق الإنسان، تقرر ذلك الأديان والمذاهب والفلسفات السماوية والأرضية، كلها تقرر حق الإنسان في الدفاع عن وطنه.

وهو كان يجاهد بالكلمة ... بالعمل السياسي، لا بالعمل العسكري. ولكن إسرائيل استطاعت أن تؤثر في القضاء الأمريكي، الذي أصبح يتحيز لإسرائيل، وكل شيء في أمريكا أصبح متحيزاً لإسرائيل في هذا العهد، حتى قالت صحف إسرائيل نفسها تصف الرئيس الأمريكي: إنه أصبح كالولد الصغير المطيع لإسرائيل.

أين العالم الإسلامي ليحتج على هذا؟

أين أمة العرب وأمة الإسلام؟ هذا أمر لا يجوز أن يُسكت عليه.

هذا الحدث الأول في هذا الأسبوع.

وشيء آخر حدث أيضاً قبله، وهو الحكم على المفكر الفرنسي المعروف «روجيه جارودي» أو «رجاء جارودي»، الذي حكم عليه القضاء الفرنسي من أجل كتاب كتبه هو «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»، وهذا الكتاب نشره نشرًا محدودًا في دار لا توزع منشوراتها على الجماهير، إنما تتوزع منشوراتها على المشتركين فيها.

حوكم رجاء جارودي وحُكم عليه بالسجن سنة، وتغريمه ثلاثمائة ألف «فرنك فرنسي».

ما هي جريمة جارودي؟

ليس له جريمة إلا أنه قال الحقيقة أو بعض الحقيقة. قال: إن ما نشره اليهود عن المذابح التي أجريت عليهم قبل الحرب العالمية، وفي خلال الحرب العالمية، من أفران الغاز التي أهلكت ستة ملايين يهودي، ليس بصحيح. هذا رقم مبالغ فيه جدًا، لأن اليهود في أوروبا كلها حسب احصاءات

ذكرها في كتابه، لم يبلغوا هذا المبلغ، وأن اليهود أنفسهم غيروا هذه الأرقام، كانوا يقولون أن أحد المعسكرات في ألمانيا قتل فيه أربعة ملايين يهودي حرقاً، وظلوا يقللون الرقم حتى أوصلوه إلى مليون.

وهناك أشياء كثيرة لا زالت ملفاتها لم تفتح، من ملفات الحرب العالمية الثانية، وحينما تفتح هذه الملفات سيظهر أن هناك أكاذيب كثيرة، روجها اليهود.

ثم يقول: وهب أن «هتلر» ظلم اليهود أو أحرقهم، ما ذنب الفلسطينيين حتى يدفعوا ثمن جريمة لم يرتكبوها، ويُخرجوا من ديارهم بغير حق، ويُشردوا من فلسطين؟ ما علاقة هذا بهذا؟ الرجل يقول الحقيقة، وذكر أدلة كثيرة في كتابه، أدلة علمية ومنطقية، ومع هذا قامت الدنيا ضده ولم تقعد. فُتحت النار عليه من كل مكان، وانطلقت كلاب جهنم تنهش في لحمه وعظمه، وتشيع عنه الإشاعات، حتى وقَّتوا في هذا الوقت حملة عليه في البلاد الإسلامية. تتهمه بالردة عن الإسلام، وهذا الرجل يقول: أنا ما ارتددت عن الإسلام، كل ما فعلته أني أدافع عن الإسلام وعن العرب وعن فلسطين، وما أنكرت السنة ويكفينا منه هذا.

وهب أنه ارتد، أو هب أنه لم يدخل في الإسلام - كما قال الشيخ ابن باز رحمه الله ليكن هو رجلاً حرّاً، رجلاً مفكراً، يقاوم أكاذيب الصهيونية، ويتكلم بالحقائق وبالأرقام وبالمنطق. فلماذا يصنع به هكذا؟ لماذا تسلط عليه أجهزة الإعلام، وتقول عنه ما تقول، ولا يمكن من حق الدفاع؟

أرسل رده على هؤلاء الذين كتبوا عنه، وقال: إن المشكل أن هؤلاء الذين

هاجموني لم يقرأوا ما كتبت، إنما هم مندفعون لعلة أو لأخرى، ولسبب أن  
لآخر. دفعتهم الصهيونية أو دفعت لهم الصهيونية، لينشعوا عرض الرجل،  
ويقولوا فيه ما ليس بحق.

ثم إذا رد على تلك الكتب وأرسل إليها لم تتشر رده صحيفة واحدة. أين  
حقوق الإنسان؟ أين الحرية في بلاد الحرية والنور والديمقراطية، إذا كان  
الإنسان لا يمكن من حق الدفاع عن نفسه؟! وهو حق مكفول في العالم كله.  
من حقا أن ترد على من اتهمك، أو أساء إليك في صحيفة، هذا حق اعترف  
به العالم.

ولكن إذا كان هذا الحق يمس الصهيونية أو يمس إسرائيل، فكل الحقوق  
مهذرة، وكل الحقوق غير معترف بها.  
هذا هو الذي يجري عليه العالم.

ترى هل أصبح العالم عالمًا ظالمًا؟ هل أصبح عالمًا جائرًا؟ هل أصبحت  
حرية الإنسان وحقوق الإنسان يعمل بها إذا كانت ضد أهل الحق، ولكن إذا  
كانت في مصلحة أهل الحق، فإن هذه الحقوق لا قيمة لها ولا وزن لها، ولا  
يعمل بها أحد؟ هاتان قضيتان أثيرتا في أسبوع واحد أيها الإخوة.

وهذا يدلنا على أننا أمام عدو خبيث ماكر، أمام الصهيونية، العالمية، التي  
أصبحت تؤثر في الإعلام، وتؤثر في القضاء، وتؤثر في كل نواحي الحياة،  
وخصوصًا في الغرب عامة، وفي أمريكا خاصة. وذلك بما تملك من مال،  
وبما تملك من دهاء، وبما تملك من وسائل، منها المقبول ومنها غير المقبول،  
منها المشروع ومنها غير المشروع، بل معظمها غير مشروع.

ولكن إسرائيل لا تتورع عن وسيلة ما، إسرائيل تصل إلى ما تريد بكل وسيلة، ولو كان ذلك «الدم»، ولو كان ذلك «القتل»، ولو كان ذلك «الالتهام بالباطل والكذب والافتراء».

إننا لن نستسلم، سنظل نقاوم ونقاوم، ونصير ونصابر، ونرابط، ونحن منصورون إن شاء الله. النصر لنا، قد يتأخر قليلاً، ولكنه آت لا ريب فيه. يقيننا بهذا يقين مطلق، لأن معنا وعد الله ووعد رسوله {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47].

اللهم انصر دينك على الأباطيل، اللهم انصر المسلمين على أعدائهم.

اللهم ارفع راية الحق، اللهم ارفع راية الإيمان، اللهم أعل كلمة الإسلام.

اللهم اجعل كلمتك هي العليا، واجعل كلمة أعدائك هي السفلى.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا

تؤثر علينا، وارض عنا وارضنا.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على

المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير

العمل. اللهم ول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا، وأرفع مقتك

وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا

يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد

الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود،

وانصرنا على الصربيين، وانصرنا على الروس، وانصرنا على الهندوس،



وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الإسلام، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: 147].

عباد الله: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

\* \* \*

20 - الوقت في حياة المسلم<sup>(242)</sup>

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

هذه آخر جمعة في هذا العام الهجري: العام الثالث بعد الأربعمائة والألف من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقفة لحساب النفس:

ومن واجب الإنسان المسلم أن يقف مع نفسه كلما مر عام ليحاسبها على عام مضى، ماذا صنع فيه؟ ماذا قدم فيه؟ ماذا هبأ من زاد لآخرته؟ ماذا كسب وماذا خسر؟ كما يفعل التاجر الناجح على رأس كل عام: يجرد دفاتره، ويراجع سجلاته، ويعرف كم خسر وكم ربح؟ وفيم خسر وفيم ربح؟ وما أسباب الخسائر؟ وما أسباب الأرباح؟ وذلك ليتفادى أسباب الخسارة، وليزيد من أسباب الربح.

هذا في أمر الدنيا ... في ربح دنيوي، قد ينتفع به وقد لا ينتفع، وإذا انتفع به حيناً فقد لا يدوم النفع له كثيراً، وإذا دام من الزمن فهو نفسه لا يدوم {قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا 77 أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} [النساء: 77، 78].

(242) للشيخ القرضاوي طُظظ كتاب بهذا العنوان، يدور الكلام فيه حول عناية القرآن والسنة بالوقت، وخصائصه، وتنظيمه والنظرة الصحيحة إلى الزمن «أمسه ويومه وغده».

لا بد من وقفة إن لم تكن كل يوم لمحاسبة النفس فلتكن كل أسبوع، فإن لم تكن كل أسبوع فلتكن كل شهر، فإن لم تكن كل شهر فلتكن كل عام، يحاسب الإنسان نفسه فيه: ماذا فعل؟

جرت عادة الناس كلما مضى عام من حياتهم أن يحتفلوا بما يسمى «عيد ميلادهم»، عادة غريبة لها طقوس وتقاليد: طعام يؤكل، وشموع توقد ثم تطفأ. وكان أولى بالإنسان العاقل بدل هذه البدع، ويدل هذه التقاليد المستوردة، أن يقف وقفة متأنية مع نفسه يحاسب نفسه: ماذا قدم في عام؟ وأن يبكي على نفسه. على تقصيره ... على تفریطه في جنب الله، وفي حق نفسه وفي حقوق الناس، ولكن الناس لا يفعلون.

الوقت هو الحياة:

الوقت يمضي يوماً بعد يوم، والوقت هو العمر، الوقت - كما قال رجل من أئمة هذا العصر «الشيخ حسن البناء» - هو الحياة.

الناس يقولون: الوقت من ذهب. ولكن ما الذهب؟ وما الفضة؟ وما الماس؟ وما الجواهر؟ كلها ماديّات، ولكن الوقت أغلى من هذه الجواهر الثمينة كلها، الوقت هو «الحياة».

ما هي «حياتك» أيها الإنسان؟ هي: الوقت الذي تقضيه من المهد إلى اللحد، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، من صرخة الوضع إلى أنه النزع.

هذا الوقت هو «حياتك»، فإذا أضعت وقتك فقد أضعت حياتك. الذين يقولون: تعالوا نقتل وقتنا! هؤلاء حين يقتلون أوقاتهم إنما يقتلون أنفسهم، ولا يشعرون، ينتحرون انتحاراً بطيباً.

جريمة تبديد الوقت:

أعظم الجرائم التي ترتكب، هي الجرائم التي نرتكبها في حق الوقت. أعظم الإسراف والتبديد، هو تبديد الأوقات، إنه أعظم من تبديد الأموال.

نحن نرى أمتنا تضيع أوقاتها سدى، تذهب الأوقات والأعمار عبثاً. قلما تجد في الناس من ينتج، قلما تجد من يحسن عملاً، في الليل سهر وبطالة وكلام فارغ، وفي النهار كلام في أعراض الناس، حتى الناس في أعمالهم ووظائفهم الرسمية لا يكادون يعملون.

أمتنا لا تعمل:

رأيت الناس في أوروبا وأمريكا يتعبون في أعمالهم، يعانون ويعرفون من الصباح إلى المساء يوماً كاملاً، من فترتين، ويعودون إلى بيوتهم مكودين ليقضوا بعض الوقت مع أسرهم وأولادهم. ولكن الناس في بلادنا وحدها قلما يعملون، ولذلك يسهرون إلى ما بعد منتصف الليل، ويتسكعون في الشوارع هنا وهناك في انحاء النهار لا يعملون حتى لديناهم.

نحن لا ننتج، نتكل على غيرنا في استيراد أهم أمورنا، ومقومات حياتنا ... القوت الذي نتغذى به نستورده من غيرنا، بلاد المسلمين والعرب بلاد زراعية، ومع هذا لا نكتفي بما عندها، لا بد أن تمد يدها لتستورد القوت ... الحبوب والغذاء واللحوم والمصنوعات الكبيرة والثقيلة كلها نستوردها.

السلاح الذي ندافع به عن وجودنا لا نصنعه بل نستمده من غيرنا، لماذا؟ لأننا لا نعمل، نحن أمة لا تعمل، تضيع أوقاتها سدى، الفرد يضيع وقته، والأسرة يضيع وقتها، والناس يضيعون أوقاتهم.

لكل وقت حق:

الوقت له قيمة عظيمة في الإسلام، ولهذا أقسم الله تعالى به في كتابه، أقسم بأجزائه، أقسم بالفجر، وأقسم بالضحي، وأقسم بالعصر، وأقسم بالليل، وأقسم بالنهار، لماذا هذا القسم كله؟ إن الله إذا أقسم بشيء فإنما يقسم به ليلفت أنظارنا إلى أهميته وإلى خطورته، حتى نتفكر في أجزاء الوقت كله: فجره وضحاؤه وعصره وليله ونهاره.

قسم الله الفرائض والواجبات على الأوقات، حتى نشعر بكل جزء من أجزاء الوقت. إذا انكشف نقاب الليل الأسود عن وجه الصباح الأبيض قام مؤذن يؤذن: الله أكبر الله أكبر ... حي على الصلاة ... حي على الفلاح ... الصلاة خير من النوم، يشعرونا بقيمة نهار جديد، وصبح جديد. فإذا قام قائم الظهيرة وزالت الشمس من كبد السماء، قام مؤذن جديد يؤذن للظهر، فإذا صار ظل كل شيء مثله أذن أذان العصر، فإذا غرب قرص الشمس كان المغرب، فإذا غاب الشفق الأحمر كانت العشاء.

كل هذا إشعار بأن لكل وقت حقًا يجب أن يؤدي، يجب ألا يهمل.

خطر التسويف:

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، لأنه يعمل في عمرك، كما قال عمر ابن عبد العزيز: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما». يعملان فيك: يقطعان في عمرك، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويقصران كل طويل. في كل صبيحة تصطبح بها تقترب من القبر خطوة، وتبتعد عن الميلاد خطوة، فأنت مولود لتموت.

لدوا للموت وابنوا للخراب فلكم يصير إلى التراب  
 فها أنت في كل يوم تعيشه إنما تقطع جزءًا من عمرك، يقول الإمام الحسن  
 البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجتمعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك»  
 طويت صفحة من كتابك، سقطت ورقة من شجرتك، انهد جدار من بنيانك.

وما المرء إلا راكب ظهر على سفر يفنيه باليوم والشهر  
 بيت ويضحى كل يوم وليلة بعيدًا عن الدنيا قريبًا إلى القبر  
 الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، لا تؤخر عمل الليل إلى النهار،  
 ولا عمل النهار إلى الليل، ولا عمل اليوم إلى الغد.

ولا أؤخر شغل اليوم عن إلى غد، إن يوم العاجزين غد!  
 وما أكثر عجزنا نحن المسلمين الآن، حيث نؤخر ونسوف في أعمالنا.

وقد حذر سلفنا من التسويف، وقالوا: «سوف» جند من جنود إبليس. لا  
 تقل: سوف أتوب... سوف أعمل. ما يدريك أنك ستبقى إلى أن تعمل؟ هل  
 ضمنت عمرك؟ هل ضمنت أنك ستعيش؟ من كتب لك صغًا أنك حينما تخرج  
 من البيت ستعود إليه سالمًا؟ من أعطاك عهدًا على أنك حينما تلبس ثوبك أنت  
 الذي يتزعه ولن تتزعه يد الغاسل؟ من ضمن لك ذلك؟

إن الناس في عصرنا كثيرًا، ما يموتون فجأة بالذبح أو بالسكتة أو  
 بالحوادث، لعلك تركب طائرة فتسقط بك، لعل إنسانًا يدهمك وأنت تركب  
 السيارة فيقتلك، ما اسرع الموت، وما أغفل الناس عنه!

تزود من التقوى فإنك لا إذا جن ليل: هل تعيش إلى  
 فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينًا من

وكم من فتى يصبح ويمسي وقد نسجت أكفانه وهو لا  
هل تذكرت هذا وأنت تودع عامًا وتستقبل عامًا؟

على الإنسان المسلم أن يقف ليحاسب نفسه على عام مضى: ماذا قدم فيه  
العام اثنا عشر شهرًا، الشهر ثلاثون يومًا، اليوم أربع وعشرون ساعة،  
الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية. كل هذا سيسألك الله عنه.

كم من نفس يتردد؟ وكم من عرق ينبض؟ وكم من عين طرفت؟

وكم لله عليك من نعمة تغمرك من قرنك إلى قدمك في هذه اللحظات  
والثواني والأنفاس؟ الله سائلك عنه.

المسلم ينشد الترقى:

كان بعض السلف يقول: من كان يومه كأمره فهو مغبون، ومن كان يومه  
شرًا من أمره فهو ملعون!

من كان يومه كأمره، لا يتقدم ولا يترقى، فهذا كان السلف يعتبرونه  
مغبونًا، كالتاجر الخائب الذي لا يربح، فهو محافظ على ما هو عليه في تقدمه  
أو في تأخره.

أما من كان يومه شرًا من أمره، فهو ملعون، والعياذ بالله. كان يصلي  
حاضرًا فأصبح يصلي قضاء، كان يتنقل فأصبح يقتصر على الفرائض، كان  
يترك المكروهات فأصبح لا يترك إلا المحرمات، كان يرتكب الصغائر  
فأصبح يرتكب الكبائر، وهكذا يتجه إلى الانحدار.

«من كان يومه كأمره فهو مغبون، ومن كان يومه شرًا من أمره فهو

ملعون»، والمسلم يسأل الله ألا يكون من ملعونين ولا من المغبونين، يحاول أن يرتقي بنفسه دائماً، يتطلع إلى الأعلى، كما في الحديث: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن»<sup>(243)</sup>، أسأل ربك أعلى المقامات. المسلم طموح دائماً إلى العلا، لا يكتفي بأن يكون في ذيل القافلة، وإنما يحب أن يكون في الطليعة ... في مأخذ الزمام من القافلة، أن يكون في الأمام هكذا الإنسان المؤمن.

إننا في هذه الوقفة في ختام العام يجب أن نتدارك ما فتننا، أن نعرف قيمة الأوقات، وقيمة العمر الذي أنعم الله به علينا، فإننا سنسأل عنه يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»<sup>(244)</sup>. أربعة أسئلة رئيسية، اثنان منها يخصان الوقت: سؤال عن العمر عامة وعن الشباب خاصة. والشباب هو مرحلة الحيوية الدافقة، مرحلة الطاقة والقدرة على الانتاج، مرحلة الأمل والعزيمة.

اغتنم خمسا قبل خمس:

ولذلك وعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال له: «اغتنم خمسا قبل

(243) رواه البخاري عن أبي هريرة في الجهاد (2790) وفي التوحيد (7423).

(244) قال المنذري: رواه البزار، والطبراني بإسناد صحيح، واللفظ له. وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (929/2) برقم (2255).



خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»<sup>(245)</sup>.

«شبابك قبل هرمك»: أنت في فترة الشباب قادر على الانتاج، قادر على العمل، قادر على الجهاد، قادر على أن تؤدي لدينك ودنياك، لنفسك ولأمتك، فلا تضع شبابك هدراً، لا تقتد بأولئك الفارغين اللاهين، اقتد بشباب الأمة في الأزمنة الماضية، بعلي بن أبي طالب بمصعب بن عمير، بأسامة بن زيد، بمحمد بن القاسم بن محمد، بالقيادة الفاتحين الذين قادوا الجيوش وملأوا الدنيا عملاً ودينياً وهم في العقد الثاني من عمرهم!

اغتم شبابك قبل هرمك، إياك أن تضيع هذا الشباب في الغفلة والمعصية، حاول أن تكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - : «وشباب نشأ في عبادة الله عز وجل»<sup>(246)</sup>، ومثل هذا: شابة نشأت في عبادة الله عز وجل، فما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء.

فإذا كنت قد زلت قدمك يوماً فوقع في المعصية فباب التوبة مفتوح على مصراعيه، أسرع وبادر وقف على عتبة ربك نادماً مستغفراً قائلاً: { ... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: 23]. فالله تعالى يحب التائبين، وحبه للشباب التائب أشد، تب إلى الله توبة نصوحاً.

(245) رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي . «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (868/2 - 869) برقم (2089)، و«شرح السنة» للبعوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط (224/14) برقم (4021).  
(246) قطعة من حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (287/1) برقم (457)، و«فيض القدير» للمناوي (88/4) برقم (4645).

«وصحتك قبل سقمك»: أنت الآن صحيح البدن معافي، هذه العافية نعمة من نعم الله تعالى عليك، فلا تستغل عافيتك في شر، ولا تضن بها عن خير، ولا تبخل بها عن طاعة. استغل هذه الصحة في طاعة الله، في عمل الخير وخير العمل. قدم لآخرتك، قدم لك رصيذاً ينفعك عند الله، إذا كان الناس يحاولون أن يزيدوا رصيدهم في البنوك من مال لا ينفع يوم يبحث الناس عما ينفع - {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89] - فحاول أن تزيد رصيذك عند الله من الخير ... من الطاعة ... من بذل المعروف.

اغتنم صحتك قبل سقمك، قبل أن تصاب بالسقم وبالأمراض، وما أكثر الأمراض المعقدة والمعوقة والمعطلة، فتقول: ليتني فعلت أيام الصحة، وليتني فعلت أيام الشباب، فما هي الفرصة أمامك.

«وغناك قبل فقرك»: إذا كنت متمكناً من شيء الآن: مال ... جاه ... أو أي مقدره فأعمل بها خيراً قبل أن تفتقر منها، وتخلوا يداك منها. قد تكون اليوم صاحب مال وغداً لا مال لك، قد تكون صاحب منصب وغداً لا منصب لك، قد تكون صاحب عزوة وغداً لا عزوة لك.

«وفراغك قبل شغلك»: إذا وجدت عندك فراغاً فاستغله فيما يعود عليك وعلى دينك وعلى أمتك بالخير. للأسف أن الكثيرين لا يشعرون بنعمة الفراغ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»<sup>(247)</sup> الصحة والفراغ لا يعرف قيمتهما كثير من

(247) رواه البخاري، وأحمد، والترمذي، والدارمي وابن ماجه «شرح السنة» للبخاري

الناس، إذا كان عندك فراغ فلا تضيعه في العبث كما يفعل الكثيرون.  
ساعة وساعة:

ليس معنى هذا أننا نريد أن يظل الناس في عبادة ليلاً ونهاراً، لا يعملون  
لدنياهم ولا يروحون عن أنفسهم، لا، لا بد من «ساعة وساعة» كما قال النبي  
صلى الله عليه وسلم لحنظلة.

ذهب الصحابي حنظلة الأنصاري إلى أهل بيته فداعبهم وضاحكهم، ثم  
تذكر ما كان عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من رقة القلب، ومن  
نزول الدمع، ومن خشية الله، فقال: نافق حنظلة، أنا عند رسول الله بحال وفي  
بيتي وبين أولادي بحال! وخرج في الطريق يعدو وهو يقول: نافق حنظلة  
نافق حنظلة. حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال: نافق حنظلة يا رسول  
الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك؟» قال يا رسول الله نكون  
عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا  
الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر  
لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»  
ثلاث مرات (248).

المشكلة أن بعض الناس يريدون أن يجعلوا ثلاثاً وعشرين ساعة لقلوبهم،  
ولا يدخرون إلا ساعة واحدة لربهم، وربما لا تكون لله تعالى خالصة. لا، لا

بتحقيق شعيب الأرنؤوط (223/14) برقم (4020).

(248) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بد أن نقسم ما بين حظوظ أنفسنا وحق ربنا علينا.

لا مانع من الترويج ولا مانع من الترفيه في حدود الحلال، وفي حدود تنظيم الوقت وتقسيمه. نحن لا ننظم أوقاتنا ولا نقسم أوقاتنا بين المهم وغير المهم، بين الواجب وأوجب الواجب، بين المندوب والمباح، لا بد من تقسيم الوقت.

جدول المحاسبة:

كان بعض الصالحين في عصرنا هذا يعمل لنفسه «جدول محاسبة» يحاسب فيه نفسه، وكل يوم يسأل نفسه، ويعطي نفسه علامة «درجة» كما يفعل المدرس مع التلميذ: هل صليت الصلوات في أوقاتها؟ هل أديتها في جماعة؟ هل حضر فيها قلبك وخشعت فيها لربك؟ هل قرأت وردك من القرآن؟ هل انتفعت بقراءته؟ هل قدمت خيرًا أو عونًا لأحد الناس؟ هل أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر؟ هل شعرت بتقصير فاستغفرت الله؟ هل كذا... هل كذا؟ هو يسأل نفسه ويجيب، وهكذا ينبغي أن يفعل الإنسان. أما أن تضيع الأوقات يومًا بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع، وشهرًا بعد شهر، وعامًا بعد عام، فهذا ما سيكون السؤال عنه عسيرًا أمام الله يوم القيامة.

اغتنم حياتك قبل موتك:

«وحياتك قبل موتك»: اغتنم حياتك قبل أن يأتي وقت تقول: «رب ارجعون لعلني أعمل صالحًا فيما تركت»، وهيئات هيئات! الناس لا يعرفون قيمة الوقت وقيمة العمر إلا ساعة الموت. حينما يأتي ملك الموت ليقبضك، هنالك تتمنى لو أجلت يومًا أو نصف يوم، ساعة أو نصف ساعة، أو دقيقة،

تسبح الله فيها، وهيئات هيهات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهَمُوا أَمْوَالَكُم مَّا رَزَقَكُمْ مِن قَبْلِ  
 أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّن  
 الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: 9 -  
 11].

لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ولا لحظة واحدة، الأجل محدود «أوقات  
 معدودة، وأنفاس معدودة»، ولذلك تأهب من الآن قبل أن تقول هذه القولة،  
 ولا يرد عليك. انتهاز الفرصة، وانتفع بوقتك.

قالوا: إن أكثر الناس غبطة لأهل المساجد هم أهل القبور، أهل القبور  
 يقولون: من يعيدنا إلى المسجد نصلي فيه ركعتين، أو نسبح لله فيه تسبيحة،  
 أو نهلل تهليلية، أو نكبر تكبيرة، وأهل المساجد لا يقدرين قيمة ما هم فيه.

الوقت ثمين فاعرف قيمته، ومن قيمته أنه إذا مضى لا يعود، كما قال  
 الحسن البصري: «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق  
 جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم  
 القيامة».

إذا مضى الوقت لا يعود، حاول أن تتدارك ما فات {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ  
 وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: 62]. جعل الليل يخلف  
 النهار والنهار يخلف الليل، فمن فاتته عمل في النهار حاول أن يتداركه في  
 الليل، ومن قصر في الليل حاول أن يتدارك ذلك في النهار.

التوبة بابها مفتوح { ... وَتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

[النور: 31].

واستقبلوا العام الجديد بعزم صادق، ونية سالحة، وتوبة خالصة لله تعالى،  
عسى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا وغدنا خيرًا من يومنا.  
توبوا إلى الله واستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.  
الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كان الناس في هذه البلاد في الأزمنة الماضية، يعرفون قيمة أوقاتهم  
ويصرفونها في طاعة الله. كانوا يسيرون على نظام الحياة اليومي للمسلم،  
ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين.

كنت أرى الناس ينامون بعد صلاة العشاء، ويستيقظون قبل صلاة الفجر،  
فتدب الحياة في المدينة كلها من قبل الفجر.

ثم تغيرت الحياة فأصبح الناس يسهرون سهرًا طويلًا، ولا يستيقظون إلا  
بعد طلوع الشمس، فيضيعون الصلاة، ويضيعون الوقت الجميل ... وقت  
البكور، الذي دعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالبركة فقال: «اللهم بارك  
لأمتي في بكورها»<sup>(249)</sup>.

(249) وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم من أول النهار، وكان صخر  
الغامدي - راوي الحديث - تاجرًا فكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله.  
رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في  
«صحيحه». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (499/2 - 500) برقم (945)،  
وانظر «شرح السنة» للبخاري بتحقيق شعيب الأرنؤوط (20/11) برقم (2673).

كان الناس يستقبلون الصباح الجميل في نداوته وطراوته وطهارته قبل أن تلوته أنفاس العصاة، فيستفيدون من الوقت مبكرًا. ولكن الناس الآن أصبحوا يسهرون ويقضون كثيرًا من الليل، ولا يستيقظون إلا متأخرين.

ما أجددنا أن نحاول أن نعود إلى نظام الحياة اليومي للإنسان المسلم، وأن نستغل أوقاتنا فيما يرضي الله تعالى.

السلف الصالح ألفوا كتبًا سموها: «عمل اليوم والليلة»<sup>(250)</sup>. ماذا يفعل المسلم في يومه وليلته؟ ماذا يقول حينما ينام؟ وماذا يقول حينما يستيقظ من نومه؟ وماذا يقول عندما يأكل، وعندما يشرب، وعندما يلبس ثوبه، وعندما يخرج من بيته، وعندما يدخله، وعندما يركب دابته؟ ... إلخ. كل شيء له ذكر خاص به وله دعاء مأثور، وله أدب من الآداب.

ليحرص المسلم على مراعاة هذه الآداب، حتى يكون دائمًا ذاكراً لله تعالى، حامداً له، مراقباً لله في أعماله، يرقب الله في سره ونجواه، في جلوته وخلوته، في البيت وفي الطريق وفي العمل «اتق الله حيثما كنت...»<sup>(251)</sup>، {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ...} [البقرة: 115].

(250) وهي كتب تبين الأقوال والأعمال الدينية المطلوبة من المسلم في يومه وليلته وصباحه ومساءه، ومن أشهرها كتاب «عمل اليوم والليلة» للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ)، وقد حققه الدكتور فاروق حمادة، وللحافظ ابن السني تلميذ النسائي كتاب بنفس العنوان.

(251) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، عن أبي ذر رضي الله عنه، وهو من أحاديث «الأربعين النووية»، وتتمته: «... وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (712/2) برقم (1594).

نسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجرننا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقى.

اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم انصرنا على أعداء المسلمين، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم انصرنا على كل من عاون اليهود، اللهم انصرنا على الطغاة والظالمين والملحدين في كل مكان. اللهم انصرنا نصرًا تؤيد به الدين، وتعلي به كلمة الحق واليقين.

{ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ } [آل عمران: 147].

اللهم آمين { ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ

اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: 45].

\* \* \*